أحمد حماني

صراع بين السنة والبدعة

أو
القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس

الجزء الأول

نشر

الاهـــــــداء

الى اللذين عاشا متحابـين فى اللـه متصافيين فى العشرة ، متعاونين عـلى البـر والتقوى . وكانا ـ فى حياتهما ـ مثال الصدق والصفاء ، والطهر والوفاء . والعمل الصالح الجاد النافع المتواصل فى تواضع وإخلاص وإنكار للذات ، وتفان فى أداء الواجبات ، فى خدمة الله والأمة والوطن .

الى من كان لهما أكبر أثر فى حياتي وفى حياة كثير من الناس ـ بما بذلا من تضحيات غالية ، وبما سال مـن دمهما فى سبيل اللـه .

الى أكرم الناس عنـدي ، وأعزهم عـلي ، وأحبهم الي ، الى عبد الحميد بن بـاديس ، وأحمد بوشمـال أقدم هذا العمـل المتـواضع .

أحمـد حمـاني

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد النبي الكريم

رب يسّر وأعن

هذا الكتاب

مقدمة :

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له،ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله ، أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة (*) .

واما بعد ، فهذا كتاب : (صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس) أردنا منه أولا أن يكون بابا من كتاب يتحدث عن الحركة الإصلاحية الحديثة في الجزائر،فأبى إلا أن يكون كتابا كاملا في حجم محترم ، وكاد يكون مستقلا عن أصله بموضوعاته المتشعبة ، وجوانبه المتفرعة ، وفصوله المتعددة،وأحداثه المتنوعة ، وصفحاته الكثيرة .

(*) بهذه الخطبة من الآثار النبوية كان ابن باديس رحمه الله يبتدي دروسه للعامة غالبا .

في هذا الكتاب سيجد القارئ فصلا طويلا عن السنة والبدعة وعن الصراع بينهما منذ فجر الاسلام وحتى الآن وموقف أئمة الإسلام الأعلام من السنة يلتزمونها قولا وفعلا، ويعضون عليها بالنواجذ . ومن البدعة يمقتونها ويحذرون منها ويهينونها ويبذلون كل وسعهم لطمس معالمها وإخفات صوت أهلهـــا .

وسيجد القارئ كيف نشأت الحركة الإصلاحية الحديثة وكيف امتدت الى بلادنا ، وماذا آثرته في نهضتنا ، وفي نجاح أمتنا في استرجاع شخصيتها والقضاء على عوامل فنائها ، وستبرز أمامه شخصية زعيم الإصلاح ببلادنا الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وماذا عمل لإحياء السنة وإماتة البدعة . وما بذل في ذلك من مساعي حميدة ، وماذا لقي من اذى شديد في نفسه وماله ومن الذي قام في وجهه واعترض سبيله . وما هي الدواعي العلنية والبواعث السرية ؟ سيجد القارئ القصة الكاملة لحادثة مريبة هي حادثة السطو بالشيخ عبد الحميد بن باديس ذات مساء من شتاء 1345 هـ (1926 م) وكانت حادثة مدبرة بأحكام وقعت من المعتدين عن عمد وتربص وسبق أصرار وكادت تؤدى بحياته وتؤدى الى ذبحه كما تذبح الشاة،لولا ان نجاه الله من يد الجاني ... لو لا .

ما هي الأسباب القريبة والبعيدة لهذا السطو ؟ كيف ومتى وأين وقع ؟ من هو الجاني وما هو مصيره ومن كان وراءه يدفعه لاقتراف إثمه ؟ ما هي حقيقة فرقته الدينية وحقيقتهم السياسية ؟ شخصيات عجيبة ! ، أقوال خطيرة ولوازم فظيعة ، وتهم شنيعة ، وجهل كبير ، وإصرار عجيب ، هل ماتت فكرتهم الباطنية وبدعتهم في القول بالحلول وبوحدة الوجود ؟ أم هي ما تزال كامنة تحاول الظهور والعودة الى ميدان الحياة والرواج ؟ من هم فرسانها بالأمـــس ؟

اتصالات مريبة بأهل الريب والتخريب في الخارج وفي الداخل، دور الاستعمار الكريه في الحماية والرعاية والتأييد لكل ما يهدم الاسلام ويسبب للمسلمين الخراب والدمار ، إغلاق المساجد في وجوه العلماء المصلحين من دعاة السنة وإماتة البدعة . وبناة النهضة الاسلامية الوطنية واليقظة القومية العربية ـ وفتح أبوابها ـ بل فتح أبواب الثكنات العسكرية لـ (تحضين)

البدع و (تفريخها) وتمكين اهلها من كامل حريتهم لنشرها والإعلان بها فى مظاهرات بالشوارع ٠

ثروة فكرية عظيمة من النثر الفني الأدبي والعلمي ، ومن الشعر العربي الفحل،المشرق البيان ، المتين البنيان،الرائع على مدى الزمان ٠

هذا ما نحاول أن نقدمه فى هـذا الكتاب معروضا بامانة مـع التحري والتدقيق والشرح ــ اذا لزم شرح ــ والتحقيق ٠

وقد تعرضنا لبعض التراجم أثناء العرض حاولنا فيها ان نعرف بها تعريفا صحيحا برجال عظماء منا لعبوا أدوارا أساسية فى نهضتنا ، وكان لهم اثـر عظيم على أمتنا ، فمنهم من اجتهد فأصاب . ومنهم من اجتهد فأخطأ ، ولا يتهم أحد فى عقيدته ، ولا تحوم شبهة حول قصده ، وفى عرضنا لمواقفهم اعتراف بفضلهم وتسجيل لآثارهم ، ولـم نقصد ان نؤرخ لهم،فان للتاريخ أربـابـه المختصين به ، وما نحن الا بعض الشاهدين على ما سمعنا ورأينا ، فاذا كان للمؤرخين فيما روينا معونة على أداء مهمتهم فذلك ما يسعدنا . وان وقع سهو أو خطأ فان الانسان معرض للغفلات والنسيان،وعليهم ان يدفعوا ذلك بحجة وبرهـــان ٠

وما هذه المحاولة منا فى التنويه بأستاذنا ، وإمام المصلحين فينا،سـوى مجهود صغير نشارك بـه من سبقنا مـن الأساتذة الجامعين لآثاره المنوهين بأخباره ، وفى طليعتهم أخونا الكريم الوزير المصلح العظيم الشيخ عبد الرحمن شيبان . فقد بذل مجهودا كبيرا فى إحياء آثار الشيخ والتنويه بشأنه والمحافظة على ذكره بالقول والفعل وبالاسلوب الأمثل ، ولا أعني انه أمر بنشر مجالس التذكير من تفسير بعض آيات القرآن التى كتبها أستاذنا بقلمه ، ونشرها فى شهابه ، أو شرح أحاديث نبـوية منتقاة ووكـــل الإشراف عليهـا وتحقيقها واعدادها للنشر لأكفإ الرجال لعالم كبـير تنازل عن أعماله الخاصة المفيدة لأداء هذا الواجب الأكيد . وهو أخونا العلامة محمد الصالح الصديق عضــو المجلس الاسلامى الأعلى والمؤلف الشهير، بمشاركة تلميذين نجيبين من تلاميذ ابن باديس الثقات وأوفاهم له وأنبههم ذكرا الشيخ على شنتير ، والشيخ علي مرحوم،وكلاهما من اعضاء المجلس الاسلامى الأعلى . فجاء عملهم كاملا متقنـا

بريئا مما يتعرض له مثله من تشويه وتحريف ، لا أعني هذا فقط ـ وان كان لا يستهان به ـ ولكن أعني ان الشيخ شيبان كان حريصا شديد الحرص على إحياء ذكرى ابن باديس وتثبيت شخصيته وأخلاقه لا فى فكرة أجيالنا ، ولكن فى أنفسهم وأخلاقهم، بأمره ان يعتمد أئمتنا وعلماؤنا فى التربية الاسلامية الصحيحة والقومية الوطنية لناشئتنا وأجيالنا على هذه الآثار الشاهدة بعظمة شخصية شيخنا ، اذ لا يكفي فى ذلك الخطب والمحاضرات فى الاحتفالات السنوية تقال وتسمع، وانما الذى يفيد هو تقديم مثل هذه الآثار لابن باديس التى تربط شخصيته بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد رأيت الأخ شيبان يستنطق الأئمة في حفل رسمي وبحضور أكبر المسؤولين في الدولة عمن يملك منهم تفسير ابن باديس حتى اذا كان الجواب سلبيا أظهر حسرته الكبرى ، ثم أمر بتوفيره لهم وأمرهم أن يعتمدوا عليه ، ثم رأيت من بعد ذلك بعض هؤلاء الشبان المعتادين بيوت الله الثائرين على الأوضاع الفاسدة فى الدين وفي الاخلاق يلقى درسا على الجمع الكبير الذى غص به احد مساجد الجمعة موضوعه عباد الرحمن ، وبتفسير ابن باديس ، فأعجبت به ورأيته قد وفق في أدائه، وبرهن على حسن فهمه، وأداه بروح من نفحات شخصية ابن باديس ، وآمنت أن ما أراده شيبان قد أدركنا بعضه .

ثم انه ما فعل ذلك لأغراض شخصية أو منافع مادية ، ولكن لإيمان عميق وتفهم دقيق ، وحب مكين لشخصية ابن باديس ولدوره العظيم فى خدمة دينه وأمته ووطنه ، ولاقتناع تام باننا اذا ربينا أجيالنا على منهاجه وأحيينا فيهم مبادئه فى التربية والتعليم نكون قد وجهناهم على أقوم خطة فى الاعتزاز بالدين وبالقومية الصحيحة ، وبالوطنية العميقة السليمة، وبالجامعة المتينة لشملنا المبنية على أقانيم ثلاثة هى الدعامة القومية والأساس المتين لوحدتنا والضمان الأكيد لوجودنا أمة قوية عظيمة : (**الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا**) .

وعبد الحميد عاش للاسلام ، والعربية ، والجزائر ، وهو منا وإلينا، فهو الشخصية الجزائرية القوية المصلحة الجامعة التى يمكن ان نجد فيها المثل الأعلى والقدوة الحسنة لأبنائنا مثل ما يجد الآخرون فى شخصياتهم العظمى، وقد أنعم الله به علينا فلنشكر الله على نعمته ، وقد امتن الله سبحانه على

المسلمين جميعهم ، وعلى العرب انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، وان هذا الرسول ـ من أنفسهم ـ عزيز عليه عنتهم، حريص عليهم، بالمؤمنين رؤوف رحيم . فمن نعم اللــه على أمة ان يكون الرجل القوي الأمين القدوة منهم. والأخ شيبان مقتنع بهذا وطالما صرح بأن علينا أن نشكر اللــه الذى انعم علينا بابن باديس وأمثاله . ولو لم يكن لنا لكان علينا (ان نشتريه) يقول هذا ردا على من عمى عليه الحق ، أو استكثر مـن اهتمامنا بابن باديس وعنايتنا العظمى بآثاره وذكراه مع القصد الصحيح من ذلك ، والخطأ الواضح في اعتراض ذلك عن حسن نية أو عن سوء نية ، فلو كان ما نفعله لابن باديس ـ بعد وفاته ـ تحكما منا وتحزبا ـ وحاشا اللــه ـ لكان حكمة ما فعلنا ونعما هو ، ولكن الرجل من عباد الله المؤمنين المتقين ، جاءته العناية من الله الذى وعد فى كتابه العزيز انه سيجعل ـ برحمته ـ للمؤمنين العاملين الصالحات ودا فاذا أحب عبدا ورضي عنه نودى فى السماء بـذلك فاحبه أهل السماء ووضع له القبول في الأرض ، وهذا ما كان ـ ان شاء الله ـ لابن باديس، فعبثا يحاول الشيطان ان يطفىء نور الله بالفم !

ومن قبل عناية الشيخ شيبان بآثار ابن باديس وتعميمها للانتفاع بهـا سبق الأخ الشيخ محمد الصالح رمضان أحد نجباء تلاميذه بمحاولة أولى نشر فيها من إملاء الشيخ ابن باديس على طلابه فى علم التوحيد . واعتمد فيهـــا أسلوبا رائعا مفيدا مدعما بحجج من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلـم، مجنبة للناشئة من عقـم (براهين) كلامية مبنية على المنطـق والفلسفة اليونانية .

ثم كان أول من جمع ونشر تفسير ابن باديس ـ مجموعا ـ فهذا عمـل مشكور نرجو ان يجدد طبع أكبر كمية ممكنة من العقائد اذا كانت قد اختفت مـن السـوق .

ثم جاء من بعده الدكتور عمار طالبي فحاول ان يجمع كل آثار ابن باديس ويخرجها فى كتاب نفيس كان الفضل فى نشره لصديقنا الاستاذ (أبو داود) والأستاذ مرازقة الكتبيين الناشرين بالجزائر ، ولكن هذا الكتاب مع الأسف لم يكن وافيا بالغرض؛ فكم ترك مما كتبه ابن باديس ، أو كتب عنه وكـــاد يقتصر على ما كتب فى مجلة الشهاب الشهرية، ولم يعرج ـ الا قليلا ـ عـلى

ما كان له من آثار فى المنتقد أو فى الشهاب الأسبوعى ، أو فى جرائد جمعية العلماء : السنة ، والشريعة ، والصراط ، والبصائر ، وله فيهن افتتاحيات ومقالات كثيرة ما تزال بموضوعاتها حية الى الآن ٠

وجاء من بعدهما الدكتور رابح تركي فعالج بروح الدراسة العميقة والبحث العلمي جانبا من جوانب شخصية ابن باديس وأعماله ، جانب التربية والتعليم، فوفق فى عمله ، واستحق الشكر عليه ٠

كل هؤلاء ـ وغيرهم ـ سبقوا الى الميدان مشكورين،وبقيت جوانب كثيرة تحتاج الى القاء الضوء عليها،ومنها هذا الجانب الذى عالجناه فى هذا الكتاب، فمع أهميته بقي مجهولا لا يكاد يذكر إلا عرضا مع أهميته البالغة فى حياة أمتنا وحياته،اذ كان بداية انقلاب خطير فى تاريخ النهضة القومية وانتصارها الديني والفكري والسياسى ، وفى بروز شخصيته ٠

لقد كاد ابن باديس يدفع حياته الغالية ثمنا لإخلاصه وإتقانه لعمله ونصحه لأمته وشجاعته ٠

فنحن نلقي ضوءا على هذا الجانب من حياته ونقدمه تداركا على من سبقنا ولحاقا بقافلتهم مع الاعتراف بفضلهم وشكرهم على عملهم،ومن لم يشكر الناس لم يشكر اللـه ٠

ثم لا يسعني ـ قبل ختام هذه الكلمة ـ إلا ان أنوه بما يبذله الأخ الكريم عبد الحميد عياط من مجهودات عظيمة مثمرة فى سبيل بث الثقافة الاسلامية والوعي القومي فى خدمة وطنه على أسس سليمة ، وتلك احدى المهام التى كتبها على نفسه عبد الحميد الأول ، وكانت الوسائل محدودة،والمال نـزرا، والامكانيات تكاد تكون بدائية ، ومع ذلك فقد كان لعمله المتواضع مفعول ثـورة كبـرى قلبت الأوضاع ٠ ولا شـك ان"دار البعث"التى يشرف عليها عبد الحميد الثاني بحكمة وحنكة وحزم وقوة وسداد راي واخلاص كامل ـ ان شاء الله ـ لله وللوطن ستؤدى مهمتها على أكمل الوجوه ، ولابد أن يظهـر اثرها ولو بعد حين ٠

ومن فضل هذا الأخ انه طلب مني ـ منذ بضع سنوات ـ ان اقدم له مـا أشاء لطبعه ونشره ثقة بأخيه وحسن ظن ، فوقع ذلك فى نفسي ، ولكن الظروف

لم تساعدني ، غير ان كتابه الأخير الذى عين لي موضوع تاريخ ابن باديس وألح فيه على تناول حركته العلمية الاصلاحية ،مشاركة فى إحياء ذكراه على أكمل الوجوه من تلاميذه وإخوانه،دفعني الى العمل،ورأيت المشاركة من أوكد الواجبات ، وسأقدم له ما أستطيع فى هذا الموضوع وفى غيره ان شاء اللـه مما كتبت وأنتجت من محاضرات وفتاوى ومقالات ·

واني أسأل اللـه الكريم،رب العرش العظيم،ان يهدينا،ويصلح بالنـا ، ويسدد خطانا ، ويلزمنا كلمـة التقوى، ويجعلنا ـ فى عصرنا ـ أحـق بها وأهلها انه سميع مجيب ، رحمان رحيم ، وصلى اللـه على محمد وعلى آله ، وصحبه ، والذين اتبعوا منهاجهم الى يـوم الـدين ، وسلام عـلى المرسلين ، والحمد للـه رب العالمين ·

أحمـد حمـاني

القسم الأول

السنـــة والبـــدعـة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ٠

كلمة السنة تطلق ـ لغة ـ عن الطريقة ، سنة كل أحد ما عهدت منـــه المحافظة عليه والإكثار منه كان ذلك فى الامور الحميدة أو غيرها (1) ٠ وقال الخطابى : (أصلها الطريقة المحمودة ، فاذا أطلقت انصرفت اليهـا ، وقـــد تستعمل فى غيرها مقيدة) ٠

وقال بعضهم : (السنة هى الطريقة المعتادة سواء كانت حسنة أو سيئة) وبرهن على ذلك بما صح فى الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم : (من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة) وقوله : (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع) الحديث رواه البخاري ٠ ففى كل من الحديثين أطلقت على الحسن والسيء من طرائق السلوك ٠

وللسنة استعمال فى اصطلاح المحدثين وفى اصطلاح الفقهاء ، فهى عند المحدثين (أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء قبل البعثة أو بعدها ، وفى اصطلاح الأصوليين ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير) (2) ٠

---

(1) الامدى ـ فى الاحكام ـ مبحث السنة ٠

(2) كتاب السنة للدكتور مصطفى السباعى ، ص 47 ٠

والأمثلة لا تخفى ، فمثال القول : (بني الاسلام على خمس) ومثال الفعل ما نقل عنه من صفات الصلوات ، ومناسك الحج ، وآداب الصيام، ومثال التقرير ما وقع أمامه من فعل أصحابه ولم ينكر عليهم مثل ما وقع يوم قريظة عندما قال لهم : (لا يصلين العصر أحدكم إلا في بني قريظة) فان بعضهم فهم انه يريد من ذلك حثهم على السعي والتعجيل لا تأخير الصلاة عن وقتها، فلما حل وقتها صلوها مخالفين ظاهر الأمر ، وفهم بعضهم النهي عن إيقاع الصلاة قبل الوصول فأخروها حتى بلغوا قريظة بعد غروب الشمس فصلوها ، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم كل فريق من الفريقين على ما أداه اليه اجتهاده في فهم النص . ومثاله أيضا ان خالد بن الوليد أكل أمامه لحم الضب فلم ينكر عليه .

وتطلق في اصطلاح الفقهاء - على ما ليس بواجب مما فعله صلى الله عليه وسلم وواظب عليه وتركه في بعض الأحيان لغير عذر ، وهذا ما يأتي في قولهم مثلا : (سنن الوضوء ، سنن الصلاة) فهي (ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة) (3) .

وتطلق السنة - في اصطلاح الفقهاء - أيضا على ما يقابل البدعة ، ومن ذلك قولهم : (طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا) (4) والمراد بطلاق السنة ما جاء موافقا لما جاء في السنة من طلاق المرأة في طهر لم يمسها فيه طلقة واحدة من غير أن يتبعها بطلقة أخرى حتى تخرج من عدتها ، وبطلاق البدعة ما خالف شيئا من ذلك كأن يطلقها في حيض ، أو طلقتين في كلمة أو ثلاثا الخ ...

فالمراد بالسنة - المقابلة للبدعة - ان يكون الفعل موافقا لما جاءت به الشريعة من فعل أو ترك أعم من ان يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا ، فصاحب البدعة هو من خلاف ما جاء عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم أعم من ان يكون مأمورا به أو منهيا عليه .

---

(3) السنة 48 .
(4) ارشاد الفحول للشوكاني مبحث السنة .

ومن اخترع شيئا من عنده ليعبد الله به فهو مبتدع ، ومن ترك شيئا مباحا يريد ان يتقرب بتركه الى الله فهو مبتدع،يبين ذلك ما صح من ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعوا واستقلوا ما يتعبدون به وأرادوا ان يجتهدوا فى العبادة فالتزم بعضهم ان يقوم الليل ـ تهجدا ـ ولا ينام ، والتزم آخر ان يصوم الدهر ولا يفطر ، وعزم ثالث ان لا يقرب امرأة ويختصي، وقال رابع انا لا آكل اللحم ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب وخطب فقال : (ما بال أقوام يقترحون أشياء ليست فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ، اما أنا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر ، وآكل اللحم وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) رواه البخاري ·

فمن الواجب ان يتهم المرء رأيه ، ولو زين له وان يتبع نبيه فى كل ما جاء به لأنه أعرف منه بمصلحته ·

بعثـــة الأنبيـــاء

وانما وجب اتباع النبي فى كل ما جاء به لأنه هو الذى عينه ربنا لهدايتنا وعصمه ، فاتباعه خير ونجاة،والمخالفة عن امره شر وهلاك · فقد بعث الله النبيئين الى خلقه هادين ومهتدين ، مبشرين ومنذرين،لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل ، وانزل معهم الكتاب من عنده ، وجعل طاعته من طاعة رسوله ومعصيته من معصيته : « **وما ارسلْنَا من رسول الا ليُطاعَ بإذن الله** » « **من يُطع الرسولَ فقد أطاعَ الله ومن تولّى فما أرسلناك عليهِمْ حفيظاً** » ·

وكان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ خير خلقه ـ خاتم النبيئين وإمام المرسلين ، ارسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فبلّغ رسالته،وأدّى أمانته ، وجاهد فى الله حق جهاده ـ وشهد الله له،وكفى به شهيدا ـ بالتبليغ والجهاد ، فقال تعالى : « **اليومَ اكملتُ لكُم دينَكُم وأتممْتُ عليكُم نعمتِي ورَضِيتُ لكمُ الاسلامَ ديناً** » بعد ان قال من قبل : « **يَاأيُّها الرسُولُ بلِّغ ما أُنزل اليك من ربك ، وان لم تَفعل فما بلّغْت رسالاَته ، والله يعصِمُكَ من الناس** » فلو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا مما أوحي اليه لم يبلغه لما صحت الشهادة بأن الله قد أكمل دينه وأتم به علينا نعمته · فآية إكمال الدين التى نزلت قبل وفاة رسوله صلى الله عليه وسلم بنحو تسعين

يوما أعظم شهادة بالتبليغ شهد له بها مولاه الذى استشهده فى حجة الوداع بقوله : أثناء خطبته (اللهم فاشهد) وقد أعلن الله رضاه عن رسوله وعن الذين جاهدوا معه فى قوله : « **لكن الرسولُ والذين آمنوا معَه جاهدُوا بأموالهمْ وأنفسهمْ ، وأولئك لهمُ الخيراتُ وأولئكَ همُ المفلحُونَ** » ٠

لهذا كان خير القرون ذلكم القرن ، وخير الناس ـ فداهم أبي وأمي ـ أولئك الناس الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ٠ ولهذا كانت سنة خلفائه الراشدين ـ من بعده سنة لنا أوصى باتباعها والاقتداء بها ،كما أوجب الله الاقتداء به فى قوله : « **لقدْ كانَ لكُم فى رسولِ اللهِ إسوةٌ حسنةٌ** » وقوله : « **ومَا آتَاكُم الرسولُ فخُذُوه ومَا نهَاكُم عنهُ فانتهُوا** » وكان مما أتى به وجوب التزام سنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده فى قوله : ـ فى الحديث الصحيح ـ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ٠٠٠ » ٠

ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاء ليبلغ ما أنزل اليه من ربه ، وقد آتاه الله القرآن ومثله معه ، فهو يبين لنا القرآن ، ويشرع الأحكام فيما يوحى اليه ، فمهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم العظمى هى بيان ما أنزل اليه من القرآن كما قال تعالى : « **وأنزلنا اليكَ الذكرَ لتبيّنَ للناسِ ما نُزّل إليهم** » لأن القرآن الكريم فيه المجمل وفيه المبهم مما يحتاج الى بيان وتوضيح من صاحب الرسالة ولا يجوز ان يبقى دون بيان،ولا يؤخر البيان عن وقت الحاجة ٠

فالله سبحانه أوجب الصلاة والزكاة بقوله تعالى : « **وأقيمُوا الصَّلاة وآتوا الزكاة** » والصلاة المأمور بها فى الآية مجملة ، اذ الصلاة ـ فى لغة العرب ـ الدعاء فما هى الصلاة التى أمرنا بها فى هذه الآية وفى غيرها ؟ لقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يجب علينا منها فى اليوم والليلة وبين كيفيتها ، وعدد ركعاتها ، وأوقاتها وأقوالها ، وأفعالها ، والنوافل منها والسنن ، بين ذلك بأقواله وبأفعاله وقال : (صلوًا كما رأيتموني أصلي) ٠

وما قيل فى الصلاة يقال مثله فى الزكاة فانها جاءت فى الآية مجملة فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نصابها ومقدارها ، وما تجب فيه من الأموال ومالا ، وهكذا الصيام ، وهكذا الحج الواجب بقوله تعالى : « **ولله على الناسِ حجّ البيتِ من استطاعَ إليه سبيلاً** » بينه بقوله ، وبفعله ـ فى حجة الوداع ـ وقال (خذوا عني مناسككم) ٠

وكما بين الرسول عليه الصلاة والسلام ما انزل اليه فانه كان يشرع الأحكام بما يوحى اليه ، فكل ما جاء به وبلغه الى الثقلين فهو من عند اللـه ولا يجوز الشك فيه ولا التردد عنده ، ومن فعل ذلك كان من الهالكين ، ففي الحديث عن أبي رافع انه صلى اللـه عليه وسلم قال : (لا الفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه (زاد في حديث المقداد ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله) (5) ·

ومما شرعه الله لنتعبده به ، ونتقرب اليه بفعله ذكره ، قال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا اذكُروا اللّهَ ذكراً كثيراً وسبِّحوهُ بكرةً وأصيلاً** »· وقال : « **واذكروا اللّه في أيام معدوداتٍ** » · وقال في معرض المدح والوعد بالمغفرة والأجر العظيم « **والذاكرينَ اللهَ كثيراً والذاكراتِ** » ·

وقال في أولي الألباب انهم : « **الذين يذكُرون اللّهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبِهم ويتفكّرون في خلقِ السماوَات والأرضِ ···** » ·

وأفضل أنواع ذكر الله ما ذكره به الأنبياء والمرسلون مما ورد في كتاب الله ، وما صحت روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في الحديث : (أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي لا الـه الا الله) والصلاة على النبي صلى اللـه عليه وسلم مما يذكر اللـه به لأنها دعاء للـه ان يرحم عبده ورسوله ويعلي درجته ،ولما جاء الأمر بها في قوله تعالى : « **يأيُّها الذِين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً** » لم يبادر الصحابة ـ وهم البلغاء الفصحاء لاختراع صلوات من عندهم وتأليف كلام من وضعهم ، لكنهم جاءوا اليه وقالوا : (يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟) فعلمهم الصلاة الإبراهيمية وهي مشهورة معلومة يصلي بها عليه المؤمنون في تشهدهم في الصلاة،ومما روى من صيغها (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) (6) · فأفضل صلاة على النبي ما علمه لأصحابه ، والقول بأن صلاة أخرى تفوقها ـ كصلاة

---

(5) الشفاء للقاضي عياض ، ج 2 ، ص 17 في فصل مخالفة أمره بدعة ·
(6) الشفاء : ج 2 ، ص 69 من فصل كيفية الصلاة عليه ·

الفاتح المزعومة ـ بـل تعدل ختمات من القرآن ـ انما هو وحي من الشيطان ونسبتها الى النبي وانه علمها لمنتحلها ليبلغها لاتباعه زور وبهتان ، ومن افظع ما يفتريه إنسان ، لأنـه اتهام للنبي بأنه كتم شيئا من الرسالة وذلك أجهـل الجهـــل ٠

اتبـاع السنـة حتـم :

لا يتحقق إيمان المسلم حتى يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ويذعن اليه ، ويرضى به ، وقد زعم قوم من أهل الكتاب انهم : « **أبناءُ الله وأحِبّاؤُه** » ولم يتبعوا رسول الله مع ما جاءهم من الأمر في كتبهم فقال فيهم : « **قُل إن كنتمْ تُحبّون اللهَ فاتّبعوني يحْبِبْكُم اللّه** » ٠ ورد بعض المنافقين ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم « **فلاَ وربّك لا يؤمنُون حتّى يُحَكّموك فيماَ شجَر بينَهُم ثمّ لا يجِدُوا فى أنفُسهم حرجًا ممّا قضيْتَ ويُسلّموا تَسليماً** » ورد حكم الرسول علامة الارتياب كما يبين قوله تعالى : « **وإذاَ دُعُوا الى الله ورسُوله لِيحكُمَ بينهم إذاَ فريقٌ منهم مُعرِضون وان يكُنْ لهم الحَقُّ يَأتوا اليهِ مُذعِنين ، أفِى قلوُبهم مَرضٌ أم ارتابوا أمْ يخافون أن يَحِيفَ اللـّه عليهـم ورسولُهُ بلْ أُولئكَ همُ الظّالمُونَ** » ٠

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أسوتنا وقدوتنا في كل تصرفاتنا ، فما فعله فعلناه وما تركه ونهى عنه تركناه ، قال تعالى : « **لَقدْ كانَ لكُم فى رسولِ الله إسْوةٌ حسنةٌ لمن كانَ يرجُو اللّهَ واليومَ الآخرَ** » وقال : « **وما آتاكُم الرسولُ فخذوُه وما نهاكُم عنه فانتَهوُا ، واتقوُا اللّهَ** » ٠

فاتباع السنة فلاح ونجاح ، ومخالفتها ضلال وهلاك ، قال الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز : (سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور بعده سننا الأخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله،وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فى رأي من خالفها،من اقتدى بها فهو مهتد ، ومن انتصر بها فهو منصور ، ومـن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه اللهما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا) (7) ٠

---

(7) الشفاء : ج 2 ، ص 13 ٠

وقد يكون الفعل فى ذاته مشروعا مرغوبا فيه اذا جاء على وجهه اعتبر من أجل الطاعات وأعظم القربات كالصلاة والتهجد والصوم ، ولكنه اذا لم يفعل على مقتضى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى وقته أو فى كيفيته أو فى الغلو فى العبادة به ، كان بدعة ، لأنه خالف سنته فانقلب الى معصية ، وعدوان ، يغضب الله ولا يرضيه ويستوجب عقابه لاثوابه ·

قال تعالى : « **فلْيَحْذَرِ الذين يُخالِفُون عن أمرهِ أن تُصيبَهُم فتنةٌ أو يُصيبَهُم عذابٌ أليمٌ** » اذ مخالفة الرسول شقاق له ومحادة ، والله يقال : « **ومن يُشاقِقِ الرسولَ من بعدِما تبيَّنَ له الهُدَى ويتَّبعْ غيرَ سبيلِ المؤْمنين نُوَلِّهِ ما تَولَّى ونُصْلِهِ جهنَّم وساءتْ مصيراً** » ·

وروى القاضى أبو بكر بن العربى فى الأحكام أن سفيان بن عيينة قال : (سمعت ملك بن أنس وأتاه رجل فقال : يأبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال : من ذى الحليفة ، من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : انى أريد أن أحرم من المسجد ، فقال : لا تفعل فاني أخشى عليك الفتنة ، قال : وأي فتنة فى هذا ؟ وانما هى أميال أزيدها ، قال : وأي فتنة أعظم من ان ترى انك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انى سمعت الله يقول : « **فلْيَحْذَرِ الذين يُخالِفُون عن أمره أن تصيبَهم فتنةٌ أو يصيبَهم عذابٌ اليمٌ** » (8) ·

ولعن ابن مسعود رضي الله عنه : (الواشمات والمستوشمات والمتنمصات المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فجاءته امرأة فقالت ··· بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال : وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله،فقالت المرأة لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه) ، قال تعالى : « **ومَا آتاكُم الرسولُ فخذوه ،وما نهاكم عنه فانتهوا** » والحديث فى مسلم ·

ورأى عبد الرحمن بن يزيد محرما عليه ثيابه فنهاه ، فقال ائتنى بآية فقرأ عليه الآية السابقة ·

---

(8) أحكام القرآن عند تفسير هذه الآية ·

وكان طاووس يصلي ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس ـ أى نهاه عن فعلها ـ فقال طاووس انما نهى عنهما ان تتخذا سنة ، فقال ابن عباس قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة بعد العصر فلا أدرى أتعذب عليهما أم تؤجر لأن الله تعالى قال : « **وما كان لمؤمنٍ ولا مُؤمنةٍ إذا قضى الله ورسولُه أمراً أن تكون لهمُ الخِيَرَةُ من أمرهم** » (9) .

---

(9) أصول الفقه للخضرى ، ص 239 بتصرف قليل .

البدعة والتغليظ فيها

كل ما خرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية أو الفعلية أو الاقرارية ، وخالف طريقته وهديه وما جاء به من الدين فهو بدعة لأنه جاء على غير مثال مما شرعه الله ورسوله للخلق .

والبدعة ـ لغة ـ مأخوذة من مادة (بدع) ـ الاختراع على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى : « **بديعُ السموات والأرض** » أى مخترعهما على غير مثال سابق ، وقوله : « **قلْ ما كنتُ بِدْعًا من الرُّسل** » ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله الى العباد بل تقدمنى كثير من الرسل ، ويقال ابتدع فلان بدعة يعني اخترع طريقة لم يسبقه اليها سابق ، ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هى البدعة ، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة ، فمن هذا سمي العمل الذى لا دليل عليه فى الشرع بدعة (*) .

وقد رد الشارع البدعة وحذر منها وحكم عليها بانها فى النار ، ففى الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال : (من أحدث من أمرنا ما ليس منه فهو رد) أى مردود على صاحبه ، وفى صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم حدث ان الله لعن من أحدث حدثا فى المدينة أو آوى محدثا ، ولا يختص لعن المحدث بمن كان فى المدينة ، وانما ذكرت للغليظ .

وفى حديث العرباض بن سارية بعد ان حث على التزام سنته وسنة الخلفاء المهديين من بعده حذر من البدعة وحكم عليها بالنار فقال : (فعليكم بسنتى

(*) راجع الاعتصام للشاطبى .

وسنة الخلفاء الراشدين ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة) زاد فى حديث جابر : (وكل ضلالة فى النار) .

وقد عرف العلماء البدعة بانها : (طريقة فى الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه) .

فالصحابة الذين اجتمعوا ـ وهم خيار الخيار ـ رأوا أنفسهم مقصرين فى العبادة فأرادوا ان يقترحوا الاجتهاد فى التهجد وفى الصيام وفى ترك اللذات والشهوات المباحة تقربا الى الله وما كتب الله ذلك عليهم ، نهاهم الله ورسوله عن الإقدام عليها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : (فمن رغب عن سنتي فليس مني) ، وهذا وعيد شديد لا أعظم منه ، ان يتبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سماه الله فى كتابه اعتداء اذ أنزل فيه قوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لا تُحَرِّموا طيباتِ ما أحلَّ اللهُ لكم ولا تَعْتَدُوا ان الله لا يحب المُعْتَدِين** » .

وانما سماه اعتداء لأن التشريع لا يكون الا من الله أو من رسول الله بأمره واذنه،وهو اذا وقع من غيرهما من نوع الشرك كما تدل عليه الآيات كقوله تعالى : « **قلْ أرَأَيتُم ما انزلَ اللهُ لكم من رِزقٍ فجعلتُم منهُ حَرَاماً وحَلالاً، قل آللَّهُ أَذِن لكم أم على الله تَفتَرون** » وقوله : « **أمْ لهُم شركاءُ شَرَعُوا لهم من الدّين ما لمْ يَأذنْ بهِ اللَّهُ** » وقوله فى أهل الكتاب : « **اتَّخَذوا أحبارَهم ورهبانَهم أرباباً من دون الله** » روى الترمذي وغيره من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرّموا عليهم شيئا حرموه» (1)

قال أبو بكر بن العربي : (فيه دليل على ان التحريم والتحليل لله وحده وهذا مثل قوله : « **ولاَ يُحرِّمون ما حرَّم اللهُ ورسولُه** » بل يجعلون التحريم لغيره) اهـ .

فالمبتدع كل من اخترع ما يتقرب به الى الله بفعل أو بترك ، كأن يترك تناول ما أحل الله له تناوله من غير عذر شرعي ،كما تقدم فيمن أراد ان يترك

---

(1) الاحكام لابن بكر بن العربى ، الطبعة الاخيرة ـ دار المعارف ، بيروت ، ص 927 .

أكل اللحم تقربا ـ في زعمه ـ الى الله أو يترك مقاربة النساء ، والاختصاء ، وهذا مثل ما وقع لقوم عيسى عليه السلام فيما ابتدعوا من رهبانية لم تكتب عليهم أرادوا بها ابتغاء وجه الله وخالفوا سننته في الخلق والعمران،فلم ينفعهم اختراعهم ، وقال الله فيهم : « **وجَعلْنا في قلوب الذين اتَّبعوه رأفةً ورحمة ، ورهبانيَّةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابْتغَاء رضوانِ اللـهِ فما رعَوْها حق رعايتها ، فآتينا الذين آمنـوا مِنهم أجْرَهم وكثيرٌ منهم فاسقون** » فآل أمرهم الى الفسق وذلك عكس ما أرادوه من الترهب ، وهو مشاهد واقع ٠

قال أبو اسحاق الشاطبي «تارك المطلوبات الشرعية ندبا أو وجوبا على ضربين احدهما ان يتركها لغير التدين ، إما كسلا أو تضييعا أو ما أشبه ذلك ، فهذا الضرب راجع الى المخالفة للأمة فان كان في واجب فمعصية ، وان كان في ندب فليس بمعصية اذا كان الترك جزئيا ، فان كان كليا فمعصية (2) ٠

والثاني ان يتركها تدينا،فهذا الضرب من قبيل البدع حيث تدين بضـد ما شرع الله ٠٠٠ » ثم قال : (٠٠ فقوله في الحد ـ أي حد البدعة ـ طريقـة مخترعة تضاهي الشرعية يشمل البدعة التركية كما يشمل غيرها) ثم قال : (ان المبتدع معاند للشرع مشاق له ، لان الشارع قد عين لمطالب العباد طرقا خاصة وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد،وأخبر ان الخير فيها ، وان الشر في تعديها الى غير ذلك لأن الله يعلم ونحن لا نعلم ، وانما ارسـل الرسول رحمة للعالمين) اهـ ٠

فالمبتدع راد لهذا كله،فانه يزعم ان ثم طرقا أخر ليس ما حصره الشارع بمحصور ولا ما عينه بمتعين كأن الشارع يعلم ونحن أيضا نعلم ، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع انه علم ما لم يعلمه الشارع ، وهذا ان كان مقصودا للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع ، وان كان غير مقصود فهو في ضلال مبين(3) ٠

وعن ابن الماجشون ـ من اصحاب مالك ـ قال : سمعت مالكا يقول : (من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم ان محمدا خان الرسالة،لأن الله

---

(2) الاعتصام ، ج 1 ، ص 25 ٠

(3) الاعتصام ، ج 1 ، ص 29 ٠

يقـول « **اليـوم اكملت لكم دينكم** » فما لم يكـن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينـــا) (4) ٠

ثم قال الشاطبى : (ان المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهى للشارع٠٠٠ وصير نفسه نظيرا ومضاهيا حيث شرع مع الشارع وفتح للخلاف بابا ، وانه متبع لهواه ، والله يقول : « **٠٠ ولا تطِعْ من أغفَلْنا قلبَه عن ذِكرِنا واتَّبَع هواه** » فجعل الأمر محصورا بين أمرين : اتباع الذكر واتباع الهوى ، وقال : « **ومن أضلُّ ممَّن اِتبعَ هواه** » تأملوا هذه الآية فهى صريحة فى ان من لم يتبع هدى اللـه فى هوى نفسه فلا أحد أضل منه ، وهذا شأن المبتدع فانه اتبع هواه بغير هدى من الله ، وهدى الله هو القرآن (5) ٠

وعن ابن مسعود فى قوله تعـالى : « **يوْم تبْيَضُّ وجـوهٌ وتسْوَدُّ وجوه** » (تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة) (6) ٠

بغـض السلـف للبـدعة وأهلهـــا

ما زالت البدعة ممقوتة مبغوضة لأن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم حذر منها وجعلها فى النار ، وأول مـن أبغضها من بعده صحابته ، ثم الذين اتبعوهم باحسان من عهدهم الى الآن ٠

ففى الصحيح ان حذيفة رضي الله عنه قال : (يا رسول اللـه هل بعد هذا الخير شر ؟ قال : نعم قوم يستنون بغـير سنتي ويهتدون بغير هديي) ، وعن أبى هريرة ـ رواه ابن وضاح ـ ان رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قال : (سيكون فى أمتى دجالون كذابون يأتونكم ببدع من الحديث لم تسمعوه انتم ولا أباؤكم فإياكم وإياهم ، لا يفتنونكم) وروى أيضا عن عائشة : (من اتى صاحب بدعة ليوقره فقد اعان على هدم الاسلام) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) وعنه انه قال : (عليكم بالعلم قبل ان يقبض ٠٠٠ وستجدون أقواما يزعمون انهم يدعون الى كتاب الله ٠ وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم واياكم والتبدع والتنطع

(4) الاعتصام ، ج 1 ، ص 28 ٠
(5) راجع الاعتصام ص 30 وما بعدها ٠
(6) الاعتصام ، ص 35 ٠

والتعمق،وعليكم بالعتيق ··· لا تبتدعوا ولا تنطعوا ولا تعمقوا وعليكم بالعتيق خذوا ما تعرفون ودعوا ما تنكرون ، القصد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة) (7) ·

ومن أقوال مالك بن انس رضى الله عنه : (لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) وانما صلح أولها بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله ، وكان كثيرا ما ينشد :

وخير أمور الناس ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

وعن الحسن بن أبي الحسن : لا تجالس صاحب بدعة فانه يمرض قلبك ، وعن أبى قلابة ــ وهو من الفقهاء ذوى الألباب ــ (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فاني لا آمن ان يغمسوكم فى ضلالتهم ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون) ·

وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبة له : (الا واني لست بمبتدع ولكني متبع) ·

المتصوفة والبدعة

من أهل التصوف علماء عرفوا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتزموا الحق واستقاموا على الطريقة كما أمر الله فى قوله : « **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا** » وأي طغيان أعظم من الخروج عن سنة رسول الله (ص) · هؤلاء العلماء القرآنيون المقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم مقتوا البدعة وأهلها وحذروا منها ومنهم ·

قال أبو القاسم القشيرى ــ وهو عمود نحلتهم ــ : (انهم انما اختصوا باسم التصوف لانهم انفراد به عن أهل البدع (8) · وقال الفضيل بن عياض وهو من أجل عبادهم) ·

(من جلس مع صاحب البدعة لم يعط الحكمة) ، وقال أبو بكر بن سعدان من أصحاب الجنيد : (الاعتصام بالله هو الامتناع من الغفلة والمعاصي والبدع والضلالات) (9) ·

---

(7) انظر الاعتصام صفحة : 54 ــ 55 وما قبلهما وما بعدهما من الجزء الاول.
(8) الاعتصام : ص 63 ·
(9) الاعتصام : ص 67 ·

وقال الجنيد ـ وهو إمامهم الاعظم ـ (مذهبنا مقيد بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الامر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة) (10) ٠

وسئل أبو علي الروزبارى عمن يسمع الملاهي ويقول : هى لي حلال لأني قد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الأحوال فقال : نعم ، ولكن الى سقر ! (11)

وقد نقل أبو اسحاق الشاطبي كثيرا من أقوالهم ثم قال : (كلامهم فى هذا الباب يطول، وقد نقلنا من جملة ممن اشتهر منهم ما ينيف عن أربعين شيخا جميعهم يشير أو يصرح بان الابتداع ضلال، والسلوك عليه تيه، واستعماله رمي فى عماية ، وانه مناف لطلب النجاة، وصاحبه غير محفوظ، وموكول الى نفسه، ومطرود عن نيل الحكمة ، وان الصوفية الذين نسبت اليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آدابها بعد الناس عن البدع وأهلها) (12) ٠

هل فى البدع مستحسن ومستهجن ؟

كذلك قال بعضهم ، ونسب الى عز الدين بن عبد السلام وانه قسم البدع الى مستحسنة وغير مستحسنة، وجعلها مما تعتريه الأحكام الخمسة: الوجوب ، والندب ، والحرام ، والكراهة ، والإباحة ، وضرب مثلا لما هو واجب منها بجمع المصحف وكتابته، وبالعلوم الحادثة لخدمة الشريعة ، ولكن ظاهر الحديث ـ بل صريح نصه ـ ينفي هذا التقسيم لأنه عليه الصلاة والسلام يقول : (كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار) فليس فى البدع مستحسن لا يقبحه الشرع ، بل كل بدعة فهى مقبوحة ٠

واما جمع المصحف والعلوم الشرعية والمساعدة على خدمة الشريعة فلا يصدق عليها تعريف البدعة ٠

---

(10) الاعتصام : ص 69 ٠
(11) الاعتصام : ص 70 ٠
(12) الاعتصام : ص 71 ٠

بل يصدق على جمع المصحف وكتابته انه سنة أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بالتزامها وحث عليها فى قوله صلى الله عليه وسلم : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) وجمع المصحف مما اجمع عليه الخلفاء الأربعة؛ شرع فيه أبو بكر وعمر وأكمله عثمان ، وصرح على انه لو لم يفعل قبله لفعله ، فتسميته بدعة – اذا صحت – تسمية مجازية ، كذلك جمع عمر الناس فى صلاة التراويح على قارئ واحد سماه بدعة مجازا ، والا فهى سنة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبفعله وتركها النبيء (ص) شفقتة على أمته ان تفرض عليهم فلما أمن الفرض أمر بها عمر. وكذلك وضع علم النحو ، فقد كان بأمر من علي بن أبى طالب لأبى الأسود الدؤلي كما هو مذكور فى تاريخ النحو،ومثل النحو غيره من علوم العربية ، وكذلك علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه ، كل هذه لا يصدق عليها انها بدع ٠

فان البدعة (عبارة عن طريقة فى الدين مخترعة تضاهي الشرعية بقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه) (13) ٠

فالبدعة خاصتها انها خارجة عما رسمه الشارع ، وبهذه الخاصة ينفصل عنها كل ما يظهر لبادى الرأي انه مخترع مما هو متعلق بالدين ، فعلم النحو والصرف واللغة ، وأصول الفقه ، وأصول الدين وكل العلوم الخادمة للشريعة ان لم توجد فى الزمان الأول ، فان أصولها موجودة ، فبالنحو يتوصل للنطق الصحيح بألفاظ القرآن ، وبعلوم اللسان يهتدى الى الصواب فى الكتاب والسنة،وبأصول الفقه يمكن استقراء كليات الأدلة لتكون نصب عين المجتهد والطالب ٠

وتصنيفها على الوجه الذى صنفت عليه مخترع حقا ، ولكن فى الحديث ما يدل على جواز الإقدام عليه وحتى لو سلم انه لا دليل عليه بالخصوص ، فالمصلحة المرسلة تقتضيه والشرع – بجملته يدل على اعتباره – فليس ببدعة البتة ٠

برهان ذلك اننا لو اعتبرنا ذلك بدعة للزم ان يكون جمع المصحف وكتابته قبيحا ، وهو باطل بإجماع ، فليس اذاً ببدعة ، فلابد له من دليل شرعي ،

---

(13) الاعتصام : ص 19 ٠

وليس له دليل شرعي الا المصلحة وهو ماخوذ من جملة الشريعة ، واذا ثبت جزئي فى المصلحة المرسلة ثبت مطلق المصلحة واستدل بها ، لهذا لا ينبغى ان يسمى وضع كل علم متصل بالشريعة بدعة ، فلا النحو ببدعة،ولا أصول الفقه ، ولا أصول الكلام ، ولا غير ذلك .

قال الشاطبي فى هذا المبحث النفيس : (من سماه بدعة فإما على المجاز كما سمى عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه قيام الناس فى ليالي رمضان بدعة ، وإما جهـلا بمواقع السنة والبدعة فلا يكون قـول مـن قال ذلك معتدا بـه ولا معتمدا عليه) .

واما المضاهاة للشرعية الواردة فى تعريف البدعة فان المراد ان المبتدع يشابه ببدعته الأعمال الشرعية ، والحقيقة انها ليست كذلك،كمن نذر الصيام قائما ، ومن نذر الانقطاع للعبادة ، ومن نذر الاقتصار فى الأكل على صنف ، وكمن التزم كيفية خاصة معينة كالذكر بهيئة اجتماع على صوت واحـــد ، وكالتزام عبادات معينة فى أوقات معينة ليس لها أصل فى الشريعة كصـوم نصف شعبان وقيام ليلته ، فالمبتدع يضاهي بها السنة ليلبس بها على الغير، (لذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمور تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه فى أهل الخير) (14) .

وقد يكون باعث المبتدع على ابتداعه ان يبعث فى النفوس النشاط ، فقد تمل النفوس وتسأم العبادات الرتيبة ، فاذا جدد لها أمر لا تعهده حصل لها نشاط آخر لا يكون لها مع البقاء مع الأمر الأول كما قيل : (لكل جديد لذة) .

قال الشاطبي : (وقد تبين بهذا القيد ـ يعني قيد المضاهاة للشرعية ، ان البدع لا تدخل فى العادات ، فكل ما اخترع مـن الطرق فى الدين ممـا يضاهي المشروع ـ ولم يقصد به التعبد ـ فقد خرج عن هذه التسمية كالمغارم الملزمة على الأموال وغيرها على نسبة مخصوصة ، وقدر مخصوص مما يشبـه فرض الزكوات ، ولم يكـن اليها ضرورة ، وكذلك اتخاذ المناخل ، وغســل اليدين بالاشنان وما اشبه ذلك من الأمور التى لم تكن من قبل فانها لا تسمى بـــدعـــا ...) .

---

(14) الاعتصام : ص 21 ، ج 1 وما بعدها .

ومما تقدم يتبين ان البدعة واحدة قبيحة كلها ، ضلالة كلها ، فى النار هى وصاحبها ، وليس فيها مستحسن بل كل ابتداع مستهجن ، وما يتوهم انه بدعة كجمع المصحف وكتابته وكالعلوم التى تخدم الشريعة ليس ببدعة أصلا بل قامت على شرعيتها أدلة الشريعة ، واما الأمور العادية فأصلها الإباحة وهى خاضعة للضروزة ، والمصلحة ، مجارية لها ٠ والله أعلم ٠

التـآمر بالمعـروف والتنـاهي عـن المنكـر
مـن نصـر السنـة وقمـع البـدعة

أوجب اللـه على الأمـة الاسلامية التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكـر لحراسة مجتمعهم عـن الآفات الطارئة ودوام سلامتهم فى دينهـم وأخلاقهـم واستنقامتهم فى تصرفاتهم ، وقـد شرع ذلك ووجب بمثـل قـوله تعـالى : « **وَلْتَكُن منكمْ أمةٌ يدعُون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكرِ وأولئك هم المفلحون** » ، وقـوله : « **كُنتمُ خيرَ امـَّة أُخرِجَت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عـن المنكر وتؤمنون باللـه** » ومـدح فى كتابـه المتآمرين بالمعروف المتناهين عن المنكر فى قوله تعالى : « **مِنْ أهل الكتاب أمةٌ قائمةٌ يتلوُن آيـاتِ الله آناءَ الليلِ وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويُسَارعون فى الخيرات وأولئك من الصَّالحين** » .

وفى الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

وقـد جاء التحذير والوعيد بالعقاب الشديد لمن أخلـوا بهذا الواجب ، وتركوا التآمر بالمعروف أو انهمكوا فى فعل المنكر أو سكتوا عنه ، قال تعالى : « **لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوُد وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يَتَنَاهَوْن عن منكر فعلوه لبئْس ما كانوا يفعلون** » . وانما قص اللـه علينا ذلك من شأنهم لنعتبر بهم ونحذر أن يقع

لنا مثل ما وقع لهم من عصيان الله ، أو من العدوان أو من السكوت عن المنكرات · وقد جاء التحذير الخاص بنا الموحى به الى نبينا فبلغه الينا فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) ·

وهذه الوظيفة الجليلة ـ فى مجتمع المسلمين ـ خير ضمان لاستقامتهم ودوام حراسة يقظة لأخلاقهم ، من ان يتطرق اليها الخلل والفساد ، ويقوم بها جميع المسلمين كل بما يستطيع فى محيطه وحسب علمه ومعرفته ، ثم يختص بها طائفة منهم استعدت لذلك ، وتسلحت بالعلم والمعرفة ، وبالشجاعة والإخلاص ، وهم العلماء الذين ورثوا النبوة فى القيام بالدعوة ، ورفع الله درجتهم ، وجعلهم فى هذه الأمة كأنبياء بنى إسرائيل ·

ومنذ عصر الصحابة رضوان الله عنهم كان هؤلاء العلماء يؤدون واجبهم كل بما استطاع ، فانه لما بدا قرن الشيطان ، وظهرت البدع واقبلت الفتن سجلوا مواقف خالدة،فبادروا بالإنكار وأدوا مهمتهم ، ولاشك ان من أشد أنواع المنكر ظهور البدع ، لان البدعة تهدد الشريعة نفسها بتشريعات جديدة فى المسلمين يحدثها المبتدعون · وكان من أول ما ظهر من البدع القول بالقدر وهو أصل الاعتزال ، وبلغت فتنة المعتزلة أوجها حينما اجبروا المسلمين على القول بخلق القرآن ، وكذلك كان من البدع تأويل آيات القرآن على غير وجهها ورفع السلاح على أهل القبلة ، وشق الطاعة ،وتفريق الجماعة ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ·

الصـــراع المستمـر :

ان الصراع بين السنة والبدعة لقائم مستمر منذ القديم ، وعلى مدى الأجيال والقـرون ، لأنـه ـ فى الحقيقـة ـ صراع بـين الشريعة وقيامها ، ودوامها واستمرارها نقيـة كما جاء بها صاحبها ، وبـين محاولة هدمها وتحريفها ، ومحق دولتها وأهلها ·

فعلها في افتراق الكلمة :

فالعلماء لم يسكتوا عنها ، بل كانوا منذ عهد الصحابة ، وعلى طول الزمن وحتى الآن يعلنون إنكارها والحرب عليها وعلى أهلها ، لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فى لعن من أحدث حدثا فى المدينة أو آوى محدثا ، ولا مفهوم لتقيده بالمدينة وانما جاء للتغليظ . وانما لعن صاحب البدعة لأن عمله من أكبر الدواعي لفتنة المسلمين وانحرافهم عن الطريق السوي والمحجة البيضاء وافتراق كلمتهم ، ومن هذا حذرهم كتاب الله وسنة رسول الله .

قال الله سبحانه : « **وأَنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبِعُوه ولا تَتَّبعوا السبُلَ فتَفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » وقال : « **إن الذين فرَّقوا دينَهم وكانوا شيعاً لستَ منهم في شيء** » وقال : « **ولا تكونُوا كالذين تَفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءَهُم البيِّنَاتُ وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ** » . قال قتادة – من أهل التفسير – (يعني أهل البدع) ومثله عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وخطب عثمان رضي الله عنه ، وهو ولي الأمر وأمير المؤمنين ، وقد أمروا بالسمع والطاعة ولو تأمر عليهم عبد حبشي ، فشاغب عليه مشاغبون وقطعوا كلامه وتراموا بالبطحاء فارتفع صوت من بعض حجر أمهات المؤمنين تقول : (ألا ان نبيكم قد برىء ممن فرق دينه وتحزب) وتلت الآية : « **إن الذين فرَّقوا دينَهم وكانوا شيعا** » الآية . والمتكلمة هي أم المؤمنين هند بنت أبى أمية – أم سلمة – رضي الله عنها : وكانت من أعلم علماء الصحابة رضوان الله عنهم (1) .

ومنعا لوقوع الخلاف والفتنة بين المسلمين – لما يترتب على ذلك من الفشل وذهاب القوة والدولة – أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بالسمع والطاعة لأمرائهم كما جاء فى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنهم ، وحذرهم من الخلاف والفتنة فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة لولاة الأمر وان كان عبدا حبشيا ، فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي » الحديث .

---

(1) انظر تفسير هذه الآية فى المنار والاعتصام .

وفى الموطا ان قوما يأتون الحوض ـ يوم القيامة ـ بعلامة المؤمنين التى يختص بها أهل هذه الأمة بسبب وضوئهم للصلوات فيراهم النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوهم للورود ، ولكنهم يذادون عنه كما يذاد البعير الضال ، فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : « ألا هلم ، ألا هلم ، ألا هلم » . فيقال : « انهم قد بدلوا بعدك،فأقول فسحقا ، فسحقا ، فسحقا » اهـ حمله جماعة من العلماء على أنهم أهل البدع . وهذا معنى براءته منهم وتنكره لهم .

لأجل هذا الحديث وأمثاله عدت العلماء كل الفرق التى خالفت السنة وخرجت عنها ـ قولا ، أو فعلا ، أو اعتقادا وسلوكا ـ من الفرق المبتدعة . ومقتوا البدعة فيهم ، ونصحوهم ، وحاولوهم ان يفيئوا الى المنهاج السوي كتاب الله وسنة رسوله .

ثم ان هذه الفرق انقسمت على نفسها :

فمنهم مقتصد حاول أن يدرك الحق ويهتدي اليه ، ومنهم ظالم لنفسه بالغلو والعناد مما أدى ببعض هؤلاء الغالية الى الخروج عن الاسلام بأقوال رهيبة واعتقادات زائغة ناهيك من يزعم ان للقرآن ظاهرا وباطنا ، الظاهر جاء ليعلمه الناس والباطن انما يعلمه الائمة المعصومون ، ومنهم من بلغ به الكفر الى الزعم بان جبريل أخطأ فى تبليغ الرسالة فنزل بالقرآن على محمد وقد أمر ـ فى زعمهم ـ ان ينزل به على علي ، فهؤلاء ليسوا بمسلمين . ومن أشنع اقوال الغلاة وكيدهم لإبطال الشريعة الإسلامية ، وتحطيم دولة المسلمين تهجمهم على الصحابة وحتى الكبار منهم رضوان الله عنهم أجمعين وشتمهم ، ورميهم بالكذب ، ونزع صفة العدالة عنهم والأمانة ، وإقدامهم على سفك الدماء واستباحة الأعراض والأموال بغير حق . وتبرير ذلك وتحبيذه شبيه بفعل فاعله ، فما اغنى العاقل عنه .

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمته ستفترق على بضع وسبعين فرقة لا تنجو منهن سوى فرقة واحدة هى التى تمسكت بسنته ولزمت جماعة المسلمين . وقد افترقت أمته بالفعل كما أخبر . وربما ادعت كل فرقة أنها وحدها الفرقة الناجية المستثناة فى الحديث ، فلا يلتبسن الأمر على أحد لأن الميزان الذى تعرف به هذه الفرقة وتمتاز به عن غيرها ـ موجود فى القرآن

وفي حديث حبيب الرحمن ، فالله سبحانه يقول : « **فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا** » . والحديث يرشد الى التمسك بالسنة عند الاختلاف . وبها النجاة .

فمن زعم ان للقرآن ظاهرا يعلمه الناس لأنه بلغ إليهم ، وباطنا قد اختص به الائمة أو غيرهم كائنا من كان فقد ابتدع وافترى ، ونسب الكتمان لصاحب الشريعة .

ومن أشنع البدع التي سببت افتراق المسلمين ، وأحدثت فيهم الفتنة مزاعم القدرية وهم أصل الاعتزال، ولما سمع بمقالهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنكر عليهم اشد الإنكار ، وتبرأ منهم وحدث عن أبيه عمر بن الخطاب بحديث جبريل ، في الاسلام والإيمان والإحسان ، وفي خصال الإيمان جاء قول نبينا (ص) يخاطب جبريل : (وتؤمن بالقدر خيره وشره) وقد صدقه جبريل فيما قال . فمن قال بالقدر ـ كقول المعتزلة فهو مبتدع ، ومن قال بعلم الباطن كالباطنية والرافضة فهو مبتدع ومن أغرق في شتم الصحابة وأذايتهم ، ورميهم بالبهتان المفترى فهو مبتدع ، كيف وقد رضي الله عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضوان الله عنهم ولم نعلم أنه سخط عليهم بعد الرضى ، ومدحهم وأعلن أنهم المفلحون والصادقون قال تعالى : « **لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم واولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون** » وفي آية الحشر شهد للمهاجرين بالصدق وللأنصار بالفلاح ، ولم نعلم أنه ذمهم بعد هذه الآيات ، بل مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فلا يغتاظ منهم ولا يبغضهم ولا يقع في اعراضهم الا من سفه نفسه أو سكن النفاق قلبه ، قال تعالى : « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » . ثم قال : « **ليغيظ بهم الكفار** » ، ولهذا قال مالك فيمن اغتاظ منهم (ليس له في فيء المسلمين نصيب) لأن الله ذكر اهل الفيء وهم المهاجرون الصادقون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، والأنصار المفلحون وهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم الذين جاءوا من بعدهم ـ الى يوم القيامة ـ وهؤلاء يقولون : « **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** » هؤلاء هم أهل الفيء ، ولا حق لغيرهم ، ونحن ـ والحمد

لله ـ من الذين جاءوا من بعدهم.ثم ان هؤلاء الأصحاب هم الذين حملوا إلينا الرسالة فبلغوا إلينا القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانوا عليها أمناء عدولا ، وهم كالنجوم يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر ، والقدح فيهم وشتمهم لا يقع فيه الا ملحد يضمر الشر للاسلام والمسلمين ، أو جاهل أحمق لا يدري ما يصنع ، أو غبي أعماه الحقد الدفين ، ولا يعلم ما يقول ، ولا يقدر نتائج ما يعتقد ، وبه يتفوه ، فالرافضة وهم المتجرئون على الصحابة انما تأسست فرقتهم وشاعت نحلتهم بقصد هدم دولة العرب ، ومحو ديانة الاسلام، وقد حقــق هذا الدكتور حسن ابراهيم حســن فى كتابه الجليــل (الدولة الفاطمية) وبرهن عليه بوثائق تاريخية ، وبأعمال أتوها من سفك الدماء فى الحرم والعبث بالحجر الأسود كما فعله القرامطة .

أن الاسلام مبني عــلى القــرآن والسنة،وعــن هؤلاء الأصحاب رويناهما واخذناهما ، وماذا يبقى لنا لو صدقنا الذين طعنوا فى أبي بكر ، وعمــر ، وعثمان ، وعلي،والحسن،والحسين ، وسعد ، وطلحة ، والزبير،وعبد الرحمن ابن عوف ، وعائشة الصديقة بنت الصديق ، وابن عباس،ومعاوية ، وعمرو ابن العاص ، وعبد الله بن عمرو ، وأبي هريرة ، وأبي موسى الاشعري وغيرهم كثــير ممن ادركتهم الفتنة فاجتهدوا،سواء أخطأوا أو أصابوا ، وما أحــد من هؤلاء الذين ذكرتهم الا وفى المبتدعة من يقدح فيه ولا يرضى عنه ، والمكثرون من الحديث كأبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعائشة ، وأبى سعيد، وجابر بن عبد الله،لم يسلم واحد منهم من قالة السوء،تعلنها فيه الغالية مــن الفرق الضالة ، حاشا المعتدلين .

فماذا يبقى لنا مــن حديث رسول اللــه إن اتهمنا هؤلاء وأولئك ورددنا حديثهم ؟ لا شك ان الجراءة عليهم أو على أحــدهم تؤدي الى التهمة وتذهب الثقة وتعرض بنيان الدين الى الانهيار ، وذلك ما يسره ويصر عليه كل فاجــر كفــــار .

والفرقة الناجية ــ حقا ــ تعلن رضاها عن جميعهم ، وترضى عنهم ، وتتأول ما شجر بينهم،وتسأل لهم الرحمة والمغفرة من الله ، وذلك ما وعد الله به المتقين من عباده فى قوله « : **ونزَعْنا ما فى صدورهم من غلٍّ إخواناً على سُرُر متقابلين لا يمسُّهم فيها نصَبٌ وما هم منها بِمُخْرَجِين** » . فالقرآن الكــريم أرشدنا ،

ونحن واقفون على ما أوقفنا عليه ، وهو الذى يقول : « **تِلك أمَّةٌ قد خلتْ لها ما كسَبَت ولكم ما كسَبْتُم ولا تُسْأَلون عما كانوا يعملون** » .

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهرون بإنكار البدعة اذا ذر قرنها ، كما رأينا ابن عمر رضي الله عنه لما بلغه قول القدرية ، ومثله علي بن أبى طالب الذى نكل بالمنحرفين الغلاة وتبرأ منهم . وكذلك غيرهما من الصحابة ، الأمناء الذين رووا لنا ما سمعوه من صاحب الشريعة بكل صدق وأمانة ، فمن سعادة المرء أنه اذا علم من نفسه شيئا مما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم بادر بالتوبة والإنابة والإقلاع ـ فورا ـ عنه ، وقد غادر الزبير ـ رضي الله عنه ـ ميدان المعركة فورا لما ذكره علي فتذكر ، ومن شقاء المرء ان يبادر الى إنكار الحديث واتهام الصحابي فى روايته ! وما قوله لو صح الحديث وكان الرسول قد نطق به حقا ؟

التابعون لأهل القرن الأول واتباعهم وقفوا من البدعة وأهلها موقف الأصحاب لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، كانوا يؤدون وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل إخلاص وأمانة وشجاعة ، ينصحون لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، ويقبلون كل إذاية تلحقهم فى أبدانهم وأموالهم وأعراضهم ولا يخونون الله ورسوله . فابو حنيفة النعمان أبى ان يتولى القضاء للظالمين فسجن وامتحن وصبر وثبت .

والإمام مالك اتهم الرأي ، واعلن انه لا يوخذ قول أحد بالتسليم الا قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (كلكم راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر) ، وكان يجهر بالحق ، دخل على الخليفة العظيم هرون الرشيد فوجده يلاعب وزيره أو أحد عظماء دولته الشطرنج ـ أو لعبة أخرى ـ فقال له أحق هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال الخليفة (لا) فقال الإمام (فماذا بعد الحق إلا الضلال) فأقلع الخليفة عن اللعبة وأقسم الا يعود . ولما رأى من عبد الرحمن بن مهدي ما ظنه بدعة ـ ولم يزد على ان جعل رداءه مطويا فى مسجد رسول الله (ص) بينه وبين القبلة وهو فى صف الصلاة ـ فأمر به مالك الى السجن لأنه ظنه صاحب بدعة . وهكذا غير المنكر بيده . وافتى بأن يمين المكره لا تلزم ، وروى فى ذلك حديثا وذلك هو المعروف من قواعد الشريعة والمفهوم من قوله تعالى : « **مَن كَفَر بالله من بعدِ إيمانه ـ إلا منْ أُكْرِه وقلبُهُ مطمئنٌ بالإيمان** .. »

الآيـة · فلم تعجب فتواه أمـير المدينة لأنه كان يكره الناس عنـد البيعة ان يحلفوا أيمانا مغلظة بالوفاء ، فيها الطلاق والعتاق ، وانما يكـون الانتخاب (وهو مقتضى البيعة) بالرضى لا بالإكراه ، وساله ان يرجع عن فتواه ، ويتنكر لما رواه ، فابى الإمام ان يرجع عـن فتواه وان يتنكر لما روى ، أبى ان يخون الأمانة ، فان المفتى مبلغ عن صاحب الشريعة ، وتعرض للضرب ، حتى انخلعت يداه وثبت وصبر محتسبا ·

وكذلك وقع للإمام الشافعي ، حمل معتقلا من بلد بعيد الى بغداد · ثـم دفع اللـه عنه الشر ونجاه ، وقد مات بعض أصحابه من بعده فى فتنة القول بخلق القرآن · وجاء دور الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقد اشتد ساعد القدرية وتمكنوا من الدولة والوزارة ، وأقنعوا الخليفة المأمون بمذهبهم الباطل فوضع ثقله كله فى كفة ميزانهم الخاسر ، وجعل هو ووزيره الفاجر احمـــد ابن أبى داود وعصابته يجبرون العلماء عـلى القـول بخلق القرآن ، ونفـى الصفات ، وذلك ما لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعهد من الخلفاء فى مدة تزيد على قرنين من الزمن ·

ولكن العلماء الربانيين ـ وعـلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبـل ـ وقفوا كالشجى فى حلاقيمهم ، وقالوا لبدعتهم جهرا (لا) هذه بدعة كريهة ، ونحلة فاسدة ، وقول باطل ، وأنتم المبطلون ·

وتعرضوا للأذى الشديد ، فمنهم البر الشهيد ، ومنهم من تحمل الضرب والعذاب ، والهوان نصيبه من الجلادين والاعوان حتى جاء الفرج بعد حين ، فى خلافة المتوكل بعد عهد المامون والمعتصم والواثق ، وبعد بضعة عشر عاما من الظلم والعذاب رفع المتوكل العذاب والمحنة على العلماء فانفرجت الأزمـة واستحق الثناء بالجميل ·

فالامام أحمد ـ رحمه اللـه ـ من الأبطال الذين وقفوا فى وجـه البدعة وصمدوا فى الميدان صمود الرجال ·

ومـن هؤلاء الرجـال أبو الحسن الاشعرى ـ حفيـد الصحابى الجليـل أبى موسى الأشعرى رضي الله عنهما ، فقد نشأ على مذهب الاعتزال حتى حذق فنونه ، وحفظ حججه ،وعرف أسراره،ثم هداه الله الى الحق ، والى الصراط

المستقيم ، وبان له متاهات أقواله ، وضلال رجاله،فتاب منه وأناب ، وناظر شيخه أبا علي الجبائي بواسطة عجوز اتخذها آلة فأفحمه وقطعه ·

ثم أعلن انسلاخه من مذهب الاعتزال ، وتصدى له ينقض نسجه عروة فعروة ، ويناظر رجاله فيفحمهم ، ويسطو بدلائلهم وبراهينهم فيأتي عليها · وجاء من بعده أبو بكر بن الطيب الباقلاني ، فصنع بهم مثل ما صنع أبو الحسن، وبفضل هذين الرجلين وامثالهما قضى على بدعة المعتزلة ، وأراح الله منها البلاد والعباد ·

وكفى بها سوء أنها جرأت السياسة أن تتدخل فى المسائل العلمية،وتجبر العلماء على اعتناق نظريات علمية لم يقتنعوا بها ، ويوم كانوا هم الضعفاء لم يصبهم شيء ، بل سئل عنهم كبار العلماء : أكفارٌهم ؟ فأجابوا هم من الكفر فروا ، وما زاد الحسن البصري ــ عندما خالفه إمامهم الأول وناقشه على أن قال له (اعتزل مجلسنا)،ومن قول الحسن ــ فيما قيل ــ جاءهم لقب الاعتزال·

ومن عجيب الأمور أن المستشرقين من الأوروبيين ، ومقلديهم (القرود) من العرب المعاصرين يرفعون نحلة الاعتزال اليوم ، ويزعمون لأبنائنا انهم هم العلماء (الأحرار) وان اهل السنة (الجامدين) قد أصابوهم بالمكروه وقضوا على مذهبهم ! والحق ان المعتزلة هم الذين ظلموا ، وأقنعوا الخليفة بالتدخل ، فأطلق المأمون يد وزيره أحمد بن أبى داود يقتل ويعذب وينكل بكل من خالف رأيهم · وحتى لو كان رأيا مصيبا لما جاز له ذلك ، فانما وسيلة العلم الاقناع بالحجة والبرهان ، وما فائدة الاذعان اذا كان خضوعا للإكراه والتعذيب ، فما هو الا ادهان ، لكن رأيهم كان بلاء ومصيبة ، عاد عليهم ــ من بعد ــ بالوبال والخسران ، وكان سببا لانقراضهم ·

ومن أعظم الرجال الذين صارعوا البدعة والمبتدعين ، وتحملوا فى سبيل ذلك البلاء المبين شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه شمس الدين ابن قيم الجوزية ، وقد مات كلاهما أثناء القرن الثامن للهجرة النبوية (الرابع عشر للميلاد) وقد نبغ ابن تيمية ــ وأصله من شمال العراق ــ فى دمشق ، وقد أحاطت بالاسلام والمسلمين البلايا والمحن فى عصره ، فسل السيف واللسان والقلم ، وجاهد في الله حق جهاده ، فى معارك الميدان بجانب الملك الناصر ابن قالوون ضد التتار ، وضد المبتدعة وضد الصليبيين وضد الخونة المتعاونين

معهم . كما جرد اللسان والقلم ، وأعلنها حربا شعواء على البدع والفرق الضالة من أهل الأهواء كالرافضة والباطنية من المنتسبين الى الاسلام ، وكالنصارى واليهود المتقولين عليه ـ يرد مذاهبهم ، ويفند حججهم ، وقد اصطدم بالجمود والجحود من علماء عصره ، ومن العامة التى انحرفت عن التوحيد،والتبس عليها الامر، وارتكبت أفعال الشرك ـ وان نطقت الالسن بكلمة الاخلاص والتوحيد ـ فامتحن رحمه الله على يد ولاة السوء ، وبتحريض الجامدين والجهلة من العلماء والقضاة ، ونقل الى مصر معتقلا ، ودخل السجن مرارا منها فى القاهرة بضعة عشر شهرا ، ثم أفرج عنه ولكنه عاد اليه بعد سنوات ، واعتقل آخر مرة ، وحكم عليه بأقسى عذاب ينال السجين ـ واسأل به خبيرا ـ وهو تجريده من الكتب ومن كل أدوات الكتابة حتى مات رحمه الله فى قلعة دمشق عام 728 هـ ـ 1328 م .

ولكنه ترك ثروة علمية عظيمة ما تزال تفتك بالبدعة وأهلها حتى الآن،كما أنه ترك تلاميذ نال بعضهم ـ كابن القيم ـ بعض ما ناله من سجن وتعذيب، فهذا الامام العظيم ـ رحمه الله ـ من الذين عاشوا حياتهم كلها فى الجهاد بالنفس والمال ، وباللسان والقلم،لنصر الاسلام والسنة،ومحق الكفر والبدعة، والاخلاص فى الدين « **وما أُمِرُوا إلا ليعبدوا اللَّهَ مُخلِصِين له الدِّين** » .

وفى مغربنا لم يخل عصر من العصور من أمثال هؤلاء العلماء الأعلام ، القائمين بالحق ، الظاهرين على المبتدعين ، فقد ثبتوا ثبوت الرواسى أمام تيار المبتدعة الذين جاءوا من (الشرق) ببدعة القول بخلق القرآن ، ولم يغن هؤلاء ان الدولة كانت دولتهم ، والريح ريحهم ، فتصدى لهم الإمام سحنون ومشائخه وتلاميذه ، وأذاقوهم الهوان والخزي بالإعراض والتحدي . ثم جاءت الباطنية من بعد هؤلاء ، وأعلنوا مذهبهم النكر ، والجهر بالسوء من القول فى الصحابة ، فثبت العلماء فى وجوه بدعهم،وأفتوا العامة بالثورة عليهم، ورفعوا السلاح مع الثائرين ضدهم ، ولو لم يكن (*) ممن يرضون لأنه من أهل القبلة بينما كانت الباطنية ـ عندهم ـ من الكافرين . وما زالوا يطاردونهم

(*) خرج العلماء ثائرين مع أبى يزيد صاحب الحمار ، وكان اباضيا نكاريا انه من أهل القبلة ، بينما كان الباطنية عندهم كفارا ، وقد مكر بهم أبو يزيد فى المعركة ـ فاخذه الله بغدره .

سرا وعلانية ، حتى ارتحلوا عن القيروان ، وغيروا مكان عاصمة ملكهم ودولتهم واستخلفوا الصنهاجيين ينوبون عنهم ، وتمكن احد عظماء أهل السنة وهو الشهم الجزائري الاصل ابن أبي الرجال من تربية المعز بن باديس الأمير الصنهاجي على الحق ، على السنة وكره البدعة،حتى اذا اشتد ساعده ووجد الفرصة سانحة اعلن براءته التامة من البدعة وأهلها ، والاستقلال عن دولتها ٠ وكل دولة من دولنا المغربية قامت على دعوة دينية تنصر السنة ، وتقاوم البدعة وأهلها ، كدولة المرابطين التى كانت تدعى دولة الفقهاء ، ودولة الموحدين ، وقد نبغ تحت ظل هؤلاء الدول وأمرائها كبار علماء السنة وأنصارها ٠ من هؤلاء ـ غير من ذكر من أهل القيروان ـ أبو عمر بن عبد البر ، والقاضي أبو بكر بن العربى ، وأبو محمد بن حزم ، والقاضي عياض ٠ وما تزال كتب هؤلاء الائمة الأعلام تعمر خزائن الأمصار فى كل الأقطار ، وهى نبراس المهتدين بالسنة توضح لهم سبيل الحق وتفضح البدعة وتعرفها لهم ٠

ومن هؤلاء الأعلام من تأخر بهم الزمان ، ولكنهم لم يقصروا عن الأولين وان عدوا من المتأخرين ، ولا نستطيع ـ فى هذه العجالة إحصاءهم ، ولكن نذكر واحدا منهم وهو العلامة أبو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي ٠

وغرناطة ـ فى الأندلس ـ عاصمة مصرها ومقر سلفنا من الصنهاجيين وكانت لهم دار ملك ، ثم كانت آخر عواصم الاسلام ٠

عاش أبو اسحاق الشاطبي أثناء القرن الثامن للهجرة ، وتوفى بغرناطة عام سبعمائة وتسعين (القرن الرابع عشر الميلادى) وطلب العلم فى عواصمنا المغربية ، ومنها تلمسان ، وأخذ العلم عن أسلافنا ، ومنهم الامام المحقق عالم أهل وقته الشريف أبو عبد الله التلمساني ، وأبو عبد الله المقري ، والامام الجليل الرحالة الخطيب ابن مرزوق الجد ، والامام المحقق الأصولي أبو علي منصور بن محمد الزواوي ، وغير هؤلاء من علماء الاندلس ومراكش،وألف كتبا جليلة لم يؤلف قبلها ولا بعدها فى فنها خير منها ٠ من ذلك كتابه (الموافقات) فى أصول الفقه ومقاصد الشريعة ٠ وهو كتاب نفيس وسمه العلماء بانه (جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على إمامته وبعد شأوه فى

العلوم سيما علم الاصول ، قال عنه شيخه ابن مرزوق (كتاب الموافقات من أنبل الكتب) (2)٠ وقال محمد رشيد رضا : كتاب الموافقات لاند له فى بابه ٠٠ وكتاب الاعتصام لاند له فى بابه تعرض فيه الى تحرير مسائل البدع والابتداع مما ينفع المسلمين فى أمر دينهم وأمر دنياهم،ويكون أعظم عون لدعوة الاصلاح الاسلامى على سعيهم ٠ وقد كتب كثير من العلماء فى البدع ٠٠٠ وما رأينا أحدا منهم هدي الى ما هدى الله أبو اسحاق الشاطبى من البحث العلمى الاصولى فى هذا الموضوع وتقسيمه الى أبواب يدخل فى كل واحد منها فصول كثيرة ٠٠٠ (3)

ثم قال عنه العلامة الشيخ محمد رشيد رضا : لولا ان هذا الكتاب ألف فى عصر ضعف العلم والدين فى المسلمين لكان مبدأ نهضة جديدة لإحياء السنة وإصلاح شؤون الأخلاق والاجتماع،ولكان المصنف ـ بهذا الكتاب وبصنوه كتاب (الموافقات) الذى لم يسبق الى مثله سابق أيضا ـ من أعظم المجددين فى الاسلام ، فمثله كمثل الحكيم الاجتماعى عبد الرحمن بن خلدون كل منهما جاء بما لم يسبق الى مثله ، ولم تنتفع الأمة ـ كما كان يجب بعلمه (4) ٠

والملاحظة أنهما عاشا فى عصر واحد ، واشتركا فى بعض مشائخهما الجزائريين كالشريف التلمساني ، ومات ابن خلدون بعده بالقاهرة أوائل القرن التاسع ـ بعد بضعة عشر سنة من وفاة الشاطبي ، وكان إنتاج هذا العلامة من أكبر الاسلحة الفعالة فى أيدي المصلحين ، يحيون به السنة ، ويهاجمون البدعة ويخزون أهلها ٠ وبذلك عد هذا الامام فى قافلة الطائفة الظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم ٠

---

(2) من ترجمة أبى اسحاق فى كتاب نيل الابتهاج لاحمد بابا التنبوكى ٠
(3) من مقدمة الطبعة الاولى من كتاب الاعتصام ، وبقلم محمد رشيد رضا ٠
(4) المصدر المذكور ٠

انكار على البدعة فى العصر الحديث

وجاء العصر الحديث بعد أن طال الأمد على المسلمين وقست قلوب كثير منهم ، وفسقوا عن أمر ربهم ، وعمت الجهالة ، وكلت الهمم ، وتنكر الكثير للسنة وأهلها ، وباضت البدعة وفرخت . وازدهرت وتبخترت ، وذهبت الصولة وضعفت الدولة ، واصبحت أوطان المسلمين نهبا للمعتدين ينقصونها من أطرافها ويعيثون فيها ـ وفى أهلها ـ وما احتلوه منها فسادا ٠

والى جانب ما كان فيهم من البدع القديمة ، التى أصبحت عند كثير منهم من صميم الدين ، نشأت نحل جديدة بعضها على أسس جديدة وبعضها أساسه قديم ، ومن هذه النحل فرقة البابية ، وبنتها البهائية فى فارس والشرق الاوسط،ثم القاديانية فى الهند،وكلها تعمل لهدم الاسلام وتقويض أركانه والاتيان على بنيانه متعاونة مع أعداء الاسلام من المبتدعة ومن المستعمرين ٠

وهكذا اصطبغت مقاومة البدع ، والجهر بالاصلاح والدعوة الى السنة بلون جديد ، ودخل فى هذه المقاومة للبدعة ـ حفظا لكيان الاسلام ـ مقاومة الاطماع الاجنبية ودسائس الدول الاستعمارية واحباط مكائدها ضد المسلمين وأوطانهم ٠

وكان هذا أهم مظاهر النهضة التى قادها جمال الدين الافغانى ومدرسته التى خلفه فيها وقادها معه فى حياته ، ثم من بعد مماته محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، ومن هذه المدرسة تفرعت حركتنا الاصلاحية التى قادها الامام الرئيس عبد الحميد بن باديس فانها ربطت الدين بالسياسة ، وجعلت مطاردة

البدعة فى الدين مرتبطة بمطاردة نفـوذ المستعمرين وتوهين أركان بنيانهم والقضاء على عملائهم ٠

أول صوت ارتفع بالإصلاح والإنكار على البدعة والمبتدعين ووجوب الرجوع الى كتاب الله والتمسك بسنة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ونبذ كل ابتداع ومقاومة اصحابه ، جاء مـن الجزيرة العربية وأعلنه فى الناس الامام محمد بن عبد الوهاب أثناء القرن الثامن عشر (1694 ـ 1765) وقد وجدت دعوته أمامها المقاومة الشديدة حتى انضم اليها الامير محمد بن السعود وجرد سيفه لنصرتها والقضاء على معارضيها فانتصرت ٠

ولما كانت نشـأة هـذه الدعوة فى صميم البـلاد العربية ونجحت عـلى خصومها الأولين فى جزء منها ، وكانت مبنية على الدين وتوحيد الله سبحانه فى ألوهيته وربوبيته ومحو كل آثار الشرك ـ الذى هو الظلم العظيم ـ والقضاء على الأوثان والأنصاب التى نصبت لتعبد من دون الله أو تتخذ للتقرب بها الى اللـه ، ومنها القباب والقبور فى المساجد والمشاهد ـ لما كان ذلك فقد فهـم أعداء الاسلام قيمتها ومدى ما سيكون لها من أبعاد فى يقظة المسلمين ونهضة الأمة العربية التى هى مادة الاسلام وعزه،اذ ما صلح أمر المسلمين أول دولتهم الا بما بنيت عليه هذه الدعوة ، وقد قال الامام مالك : (لا يصلح آخر هـذه الأمة الا بما صلح به أولها) ٠

لهذا عزموا على مقاومتها وسخروا كل إمكانياتهم المادية والفكرية للقضاء عليها ، وحشدوا العلماء القبوريين الجامدين أو المأجورين للتنفير منها وتضليل اعتقاداتها ، وربما تكفير أهلها ، كما جندوا لها الجنود وأمدوها بكل أنـواع أسلحة الفتك والدمار للقضاء عليها ٠

تحرش بها الانكليز ، والعثمانيون،والفرس،واصطدموا بها،وانتصر عليهم السعوديون فى بعض المعارك،فالتجأت الدولـة العثمانية الى مصر،وسخـرت لحربها محمد عـلي وابناءه ـ وهو الذى كانـوا سخروه لحرب دولة الخلافة وتوهينها ـ وكان قـد جـدد جيشـه عـلى أحدث طـراز عنـد الاوروبيين آنذاك ، فاستطاع الجيش المصري ان يقضى على هذه القوة الناشئة،وظنوا انهم استراحوا منها ، وكان مـن الجرائم المرتكبة ان أمـير هذه الامـارة السلفية

المصلحة أسر وذهب به الى مصر ، ثم منها الى اسطمبول حيث أعدم كما يعدم المجرمون ·

وهكذا يكون هذا الامير المسلم السلفي المصلح من الذين سفكت دماؤهم فى نصر السنة ومقاومة البدعة رحمه الله ·

وفى هذه الفترة ارتفعت أصوات أخرى لتأييد السنة ومخاصمة البدعة ومحاولة إيقاظ المسلمين والنهوض بهم وتجنيبهم الوقوع بين مخالب الدول الاستعمارية وصيانة أوطانهم ·

وأهم هذه الأصوات وأعظمها صوت الامام جمال الدين الأفغانى ومدرسته وكانت حياته حتى مماته لتحقيق هذه الأغراض ، فقد حاول ذلك فى الافغان فاستطاعت المكائد الانقليزية ان تخرجه منها ، ثم انتقل الى اسطمبول وحاول الاصلاح فلم يقدر عليه ، واخرج منها فاستقر فى مصر بضعة أعوام ، وفيها استطاع ان يثبت دعائم مبادئه ، ويكون تلامذة منهم محمد عبده فى الدين والسياسة ، وسعد زغلول فى الوطنية والسياسة ، وما زالت به المكائد الاستعمارية الفرنسية والانكليزية حتى اخرج من مصر ، ثم من الهند التى التجأ اليها ، وساح فى أوروبا (باريس ـ لندن ـ روسيا ـ المانيا) وذهب الى ايران فقام بعمل عظيم أدى الى طرده من طرف الشاه ·

وحيثما حل ترك ثورة فى الأفكار وحركة فى الرجال حتى حل أخيرا باسطمبول للمرة الأخيرة وبقى فيها أسيرا حتى أدركه أجله فى العقد الثاني من القرن الرابع عشر (1314 هـ) أواخر القرن التاسع عشر الميلادى (1897 م) · وعلى طريقته وأسلوبه فى التفكير قاوم محمد عبده البدعة والنفوذ الاستعمارى ، وزج به فى السجن ، وذاق غصص النفي ، ولكنه كان القوي الرابط الجاش ، وقد ترك فى مقاومة البدعة اثرين عظيمين ، أولهما تلميذه الكبير محمد رشيد رضا ، وثانيهما تفسيره للقرآن الكريم الذى ألقى منه تفسير نحو خمسة أجزاء كان يكتب خلاصتها ويحققها ويتممها تلميذه الوفي الشيخ محمد رشيد رضا فلما توفى الإمام رحمه الله عام 1323 هـ (1905 م) استمر الشيخ محمد رشيد رضا فى مواصلة كتابة التفسير على أروع مثال حتى انتهى الى قوله تعالى : ـ حكاية لقول نبيه يوسف عليه السلام ـ « **ربِّ قد آتيْتَني من الملك وعلَّمتني من تأويل الأحاديث فاطرَ السموات والارض**

انت وليِّ فى الدنيا والآخرة توفَّنى مسلماً وألحِقنِي بالصَّالحين » لبى نداء ربه والتحق بالرفيق الأعلى ، وكان ذلك عام 1354 هـ (1935 م) ٠

ان هذين العلمين الشامخين (محمد عبـده ، ومحمد رشيد رضـا) من أعظم دعاة السنة ومقاومي البدعة ، وان فى تفسير المنـار الذى اشتركا فى إنتاجه ـ وكان الفضل الأكبر للثانى فى إخراجه ـ لم يأت تفسير قبله ولا بعده على مثاله ، وقد كان له الأثر الكبـير فى النهضة الاسلامية واليقظة الشرقية والحركة القومية السياسية المبنية عـلى الدين الصحيح السليم من البـدع والخرافات ، ومن الجحود والجمود ٠

ان حركتنا الإصلاحية ـ التى قامت فى بلادنا وبدأت أعمالها ببدء أعمال ابن باديس وانتصابه عام 1332 هـ (1914 م) ـ فـرع لهذه الحركة المتصلة ـبجمال الدين الأفغاني ـ ومحمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، ولا نعني انها كانت متصلة بهم عاملة بوحيهم مدبرة منهم ، فقد كانت مستقلة تمام الاستقلال عنهما مـن هذه الناحية ، انما نعنـي انها كانت متأثرة بهما ، سائرة ـ فى الاصلاح الديني والدنيوي ـ على منهاجهما فى الاعتماد على كتاب الله ، وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإماتة البدعة ، والإنكار على أهلها ، ودعوة الأمـة الى اليقظة والنهضة الشاملة ، والتخلص من كل اثـر للجمود والجحود والتخلف الفكري ، وبث التعليم القـوي باحياء اللغـة والنخـوة الاسلامية العربية ، والمحافظة على الوحدة الوطنية على أساس سليم تقبلـه الأمة ويمليه الدين : « إنما المؤمنُونَ إِخْوَةٌ » « المسلم أخو المسلم » فما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان ٠

وقد كان لهذه الدعوة التى لم تكن قولية فحسب،بل كانت قولا وعمـلا وسعيا وجهادا متواصلا وتضحيات عزيزة ، وآلاما جسمية ونفسية ، كان لها الأثر الأكبر والحظ الأوفر فيما وصلت أمتنا اليه ، ولولا ان هذه الحركة مهدت للثورة المسلحة التى نشبت عام 1374 هـ (1954 م) لما قدر لها ان تجد من النجاح الباهر ما وجدته ، ان هذه الحركة قضت على الجمود ، وعلى التخلف الفكري ، وعلى البدع الملصقة بالدين من خنوع وخضوع امام القبور والقباب، وتقـديم البخور والنذور لها ، وللأشجار والأحجار ، والخوف مـن الأرواح الشريرة ، وعبادة الجن ، والسمع والطاعة العمياء لأصنام بشرية تأكل وتشرب

وتبول وتتغوط ، وتمرض وتموت ، ومع ذلك فهى تدعو الناس لعبادتها،وتزعم لها (ان الكون فى قبضتها ونزول المطر بيدها ، والنفع والضر من اثرها وفى قدرتها ، ثم تزعم للشعب ان سلطة الدولة الاستعمارية من سلطة الله وسلطة الله لا تقاوم ، وان التسليم لها تسليم لله ، والرضى بأحكامها رضى بقدر الله ، فما عليها ـ أى الأمة ـ الا ان تصبر لقضاء الله ، فإذا شاء الله جعلهم يرتحلون من عند أنفسهم ويتركون لنا الوطن من بعدهم ·

مثل هذه الأفكار كانت رائجة يحتضنها (مشائخ) ويروجون لها،تحميهم هذه السلطة الاستعمارية المنتفع الأكبر من رواجها . وكان لها الدور الكبير فى تنويم الأمة واستبلاه البسطاء ، ويزعمون ان أكثر من 90٪ من الأمة كان خاضعا لهم فى هذا السلطان ، وقد أكده الشيخ أبو يعلى الزواوي رحمه الله فى بعض مقالاته ·

ان هذه الحركة ـ كما تقدم ـ بدأت فعلا بشروع الإمام ابن باديس فى عمله ، ثم أخذ يشتد ساعدها منذ عام 1343 هـ (1925 م) ، ولما وقع الاعتداء عليه عام 1345 هـ (1926 م) قفزت الى الامام خطوات جبارة ، واصبحت مبادئها الدينية المعتمدة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأييد السنة والتزامها وإنكار البدعة ومحاربتها ، ومباديها الوطنية القومية التى دستورها المجمل (الاسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا) ، كل ذلك على لسان الجماهير ، والتزام كل المشتغلين بالحركات · بهذا تطهر الجو تماما وقضى على الشعوذة والتدجيل ، وتحررت النفوس من السلط التى كانت تخضع لها ، والعقول من السلط التى كانت تخشاها ، ورجع للإنسان الجزائري كل قوته واعتباره وقيمته الدينية والخلقية ، وشجاعته العربية الاسلامية ·

ان الجنرال الاستعماري للجيش الفرنسي الذى كلف بإخماد الثورة فى الأوراس عام 1955 م وهو الجنرال بارلانج قد اعترف بهذا عام 1955 م فى تصريح لبعض الصحف الفرنسية عن سر إخفاقه فى الجزائر فيما نجح فيه فى المغرب،فقال فى ذلك:انه فى المغرب اعتمد على سلطة (المشائخ) فى التأثير على الجماهير · هذا ما صرح به مضيفا إليه قوله : « اما فى الجزائر

فانــه لا وجود لهـؤلاء المشائخ ولا سلطة لهـم عـلى الجماهير » · كان هـذا عـام 1955 م ، اما قبـل ذلـك فقـد كان لهـم السلطة العظمـى حتـى فى تنفيذ الجرائم وقتل العلماء كما وقعت محاولة السطو بالشيخ ابن باديس ، وكان أتباعهم يملأون السهول والجبال ويقدرون بمئات الألوف وبنسبة مئوية مرتفعة ·

ولو لم يكن لرجال هذه الحركة السنية السلفية من الفضل سـوى هذا لكفاهم فخرا وأعلى شأنهم فى العالمين ذكرا ، ولكنهم ـ لما أذن مؤذن الثـورة والحرب حي على الجهاد ، حي على الحرية والرشاد ، حي على العزة والسداد ـ لم ينكلوا ولم تكتب الخيانة على أحد منهم، بل كتبت الشهادة لكثير منهم ، وعلى رأس الشهداء الشيخ العـربى التبسى ، والشيخ أحمد بوشمال ، والشيـخ أحمد حوحو ، والشيخ محمد العدوي ، والشيخ محمد الزاهي ، وكـل هؤلاء من معهد ابن باديس فحسب فضلا عن غيرهم من الأساتذة ورجال الجمعيات والنوادي ، والحركات فى سائر أنحاء الوطن ·

اما أبناؤهم من النسب ، واما ابناؤهم الروحيون وتلاميذهم المنتشرون فلا عد لهم ولا إحصاء ، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

ولا نذكر هذا تبجحا ولا تعصبا أو تحزبا ، فقد بطلت كل حزبية بمجىء جبهة التحرير ، وانما نذكره تنبيها للذين أعماهم حقد دفين أو تعصب مقيت ، أو جهل فظيع ، فأصبحوا يقررون الخطأ ويعلمونه للأجيال ، والعقـ فيهم من يتساءل ما موقف العلماء من الثورة ؟

الطـائفة الظاهـــرة :

نحن أمة إسلامية ، وهذا الوطن ـ بلا شك ـ دار إسلام ، وقد بشـــر النبي صلى اللـه عليه وسلم بالنصر والظهور إذ قال ـ فيما رواه عنه المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه ـ (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) رواه البخاري ومسلم وغيرهما ·

قالت العلماء: (ظاهرين عـلى الناس أى غالبين منصورين وهـم جيوش الاسلام أو العلماء الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر حتى يأتيهم أمر الله أى يوم القيامة وهم ظاهرون على من خالفهم) قال ذلك المناوي ·

ثم قال فى شرحه على الجامع الصغير : (فيه معجزة بينة ، فان أهل السنة لم يزالوا ظاهرين فى كل عصر الى الآن ، فمن حين ظهرت البدع على اختلاف صنوفها من الخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم لم يقم لاحدهم دولة ولم تستمر لهم شوكة بل كانوا كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله بنور الكتاب والسنة ، فلله الحمد والمنة) اهـ · ثم قال : (قال بعضهم ويحتمل ان هذه الطائفة مؤلفة من أنواع من المؤمنين ، منهم شجعان ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد وغير ذلك ، ولا يلزم كونهم من قطر واحد) اهـ · وقال : (وزعمت المتصوفة ان الاشارة اليهم : لزموا الاتباع بالاحوال واغناهم عن الابتداع) اهـ

والمرجح ان هذه الطائفة هي الواردة فى قوله تعالى : « **وَلْتَكُن منكم أمةٌ يَدعُون الى الخيْرِ ويأمُرُون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر وأولئك هم المفلحُون** » والمفلحون هم الظاهرون المنتصرون ·

والآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر لم يكتفوا بالسنة يقومون بها ، ولكنهم يبلغون الدعوة الى غيرهم،ويحضونهم على الاتباع،ويحذرونهم من الابتداع،وهم الذين يجدون من يخالفهم ويعترض سبيلهم ، ويقاوم تأثيرهم ·

ولا تجد صاحب بدعة ومقترف معصية الا وهو يهابهم – فى نفسه – ويقرأ حسابهم حتى لوسطا بهم وأوقع فانه لا يستقر على حال ، وربما توقع انتقاما من الله ويوشك ان يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر ·

واننا لنجد الخلفاء والملوك والأمراء يهابون الصدام بينهم وبين القائمين بالمعروف الناهين عن المنكر وخصوصا اذا كانوا من العلماء الربانيين ، والصلحاء المتقين،الذين تجردوا من أغراض دنياوية وأخلصوا عملهم لله ، فانه لا ينفع معهم ترغيب ولا يهابون ترهيبا ، وقد كانت كلمة العالم (اتق الله) تدوى فى آذانهم وتترك الصدى العميق في نفوسهم ·

اما المتصوفة فاهل السنة منهم معدودون فى العلماء الفقهاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، اما اذا لزموا صوامعهم واعتزلوا الناس يعبدون ربهم فمن يخالفهم حتى يظهروا عليه ؟

وبالاجماع من الفقهاء والمتصوفة انه لا يكون فى هذه الطائفة صاحب بدعة يضاهى بها الشريعة ويريد ان يصرفهم عنها ببدعته إلى ضلال مبين ·

أرجو ان تكون هذه الطائفة التى أعلنت هذه الحركة الاصلاحية فى الجزائر وقادتها حتى بلغت بأمتنا ـ ان شاء اللـه ـ شاطىء السلامة ، وايقظت فيها العزة والكرامة،وتحملت فى سبيل ذلك ما كتب الله على المؤمنين من فتنة،ليعلم الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ـ من هذه الطائفة الظاهرة الى يوم القيامة ، ابن باديس سالت دماؤه ، والتبسي واحمد بوشمال وإخوانهم نالوا الشهادة، والابراهيمي ذاق عذاب السجون والهوان والغربة والشتم والترهب والعزلة ·

وإخوان لهم ذاقوا مثلهم فى سبيل الله ورضوا بقضاء الله غير منتظرين الجزاء الأوفى إلا منه ·

نسأل الله الكريم ان يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ويلحقنا بالصالحين غير مبدلين ولا مغيرين ·

☆

الدعـوة الإصلاحية وزعيمها ابن بـاديس

منذ أن عاد عبد الحميد ابن باديس الى الجزائر من رحلة الحج 1332 هـ 1914 م ـ موطنا العزم على خدمة بلاده وأمته ـ شرع في عمله الذى قصـد اليـه بإيمان متين ، وعزم صادق ، وإرادة صلبه ، وحزم وتصميم ، مع آمال فسيحة ، ومقاصد نبيلة كبيرة :

ان يسترجع دينه قوته ونفوذه على النفوس نقيا كما بلغه الرسول الأمين عليه الصلاة والتسليم · وان يعود لأمته ما قد ذهب من عز ومجد أثيل،ودولة موحدة،وسيادة كاملة ، وأن يكون وطنه حرا مستقلا كما كان ، وكما هو حق كل وطن وأمة في الحرية والوجود ·

ولم يكن يجهل ما يعترض طريقه من مصاعب جمة يجبَ التغلب عليها ، ومن عقبات كأداء عليه تذليلها وتعبيدها ، ومن أشواك واخزة لابد من تطهير المسالك منها ·

كان يدرك أن أمامه « الحالة التعيسة التى بلغنا اليها ··· من جهل وفقر وسقم وظلم وإذلال » (1) وكان في الجزائر « شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده وقبح له دينه وقومه ، وقطع له من كل شيء ـ الا منه ـ أمله ، وحقره في نفسه تحقيرا ··· شباب جاهـل أكلتـه الحانات والمقاهى والشوارع ، ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه الا آلة متحركة في ذلك العمل لاهم له من ورائه في نفسه فضلا عن شعوره بأمر عام (2) ، ومن حفظه اللـه

---

(1) ابن باديس ـ الشهاب ، صفر 1356 هـ ـ أبريل 1937 م ·
(2) أبن باديس ـ الشهاب ، محرم 1357 هـ ـ مارس 1938 م ·

للاسلام والعروبة من هؤلاء الشباب أقبل على تعلمها لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح لا يعتز بماض ولا يألم بحاضر ولا يطمح لمستقبل ، اللهم الا افراد قلائل » (3) ·

أما الأمة الجزائرية فقد كانت فيها أصول الحيوية القومية والعزة الدينية والكرامة الانسانية ، ولكن لشدة ما « عركتها البلايا والمحن ··· استخذت وذلت وسكنت على الضيم ورئمت للهوام (4) · وبرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة ـ فقد عملت فيها يد الطريقة المحركة تفريقا وتشتيتا حتى تركتها أشلاء لا شعور لها ببعضها ولا نفع . تتخطفها وحوش البشرية من هنا ومن هنالك بسلطان القوة على الأبدان ، أو سلطان الدجل على العقول والقلوب » (5) ·

كل ذلك عليه ان يفكر فيه وان يعمل لانقاذ شعبه ووطنه من شروره ، كما يفكر المؤمن القوي الذى لا يدخل اليأس قلبه ، والوطني المخلص الذى باع حياته بحياة وطنه ·

وقد خطط لعمله ، وهو مدرك لخطورة ما هو مقدم عليه ، ومقدر كل التقدير لما سيصادفه من عراقيل ، لقد قرر ـ بحكمة وحزم ـ ان يأتي شعبه من أقرب الطرق للنجاح ، وأبعدها تأثيرا فى النفوس ، وأضمنها فى الوصول الى الغاية ، هذه الطريقة هى بث التعليم السليم النافع المفيد لاصلاح العقائد وتقويم السلوك ، وقبل اعلان الدعوة العامة ، لذلك يجب اعداد الاعوان والدعاة ، كانت هذه خطة قد رسمها كما كتب بخط يده ·

انها خطة بطيئة حقا ولكنها مضمونة النتيجة · قال :

« **مضينا على ما رسمنا من خطة وصمدنا الى ما قصدنا من غاية وقضيناها عشر سنوات فى الدرس لتكوين نشء** علمي لم نخلط به غيره من عمل آخر فلما كملت العشر وظهرت ـ بحمد الله ـ نتيجتها **رأينا واجبا علينا ان نقوم**

---

(3) المصدر المذكور ·
(4) رئمت ألفت وعطفت ·
(5) المصدر السابق : شهاب ، محرم 1357 هـ ·

بالدعوة العامة الى الاسلام الخالص والعلم الصحيح : الى الكتاب والسنة وهدي صالح سلف الأمة ، وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات (6) ·

اذا ، فقد كان الطور الاول المرسوم فى الخطة هو تكوين نشء علمي ، يعني جنودا للدعوة العامة ، ولما آن أوان بدء الطور الثاني حاول ان يكون جمعية للعلماء عام 1924 م ، ثم أنشأ لهذا الطور الصحافة الاسلامية ، والطباعة الوطنية لضمان استمرارها واستقلالها ، فأنشأ جريدة (المنتقد) وبرز العدد الأول منها يوم عيد النحر 1343 هـ 11 جويلية 1925 م معلنا هذه الدعوة، فعطلتها السلطة الاستعمارية بعد بروز 18 عددا منها فقط ، فأخرج (الشهاب) لتؤدي نفس مهمتها . وقد استمرت تصدر حتى قيام الحرب العالمية الثانية · عام 1939 ·

وقد أعلن فى صدرها « الحق فوق كل أحد ، والوطن قبل كل شيء » واتخذ شعاره فى الإصلاح الديني قول إمام أهل السنة مالك بن أنس : « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » ·

كما اتخذ ـ شعارا له فى الإصلاح الدنيوي ـ يعني السياسي ـ كلمة منه يوارى به غرضه النهائي ـ هى « الحق والعدل والمؤاخاة فى إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات » ·

وقد شرح المبدأين بنفسه اذ قال : عن المبدأ الثانى ما نصه : « إن المبدأ الذى أسست عليه هذه الصحيفة هو **وجوب إعطاء جميع الحقوق لمن يقوم بجميع الواجبات** · ومن حقوق الجزائريين تمثيلهم فى البرلمان مثل إخوانهم الاوروبيين · **فالتمثيل البرلماني واحد من الحقوق الكثيرة الداخلة** تحت ذلك المبدأ العام » ، نشر ذلك فى الشهاب 108 الصادر فى 5 صفر 1346 هـ ـ 14 أوت 1927 م وضح به قول من قال : انه أسس لمبدإ التمثيل البرلماني ، ولم يكن ابن باديس ليقنع لأمته بمثله · وما كان يؤمن بامكان التحصيل عليه ، وانما كان يريد إقامة الحجة على الخصم ·

---

(6) عن جريدة السنة من مقال « عبداويون ثم وهابيون ··· » نقله الدكتور طالبى فى كتابه عن ابن باديس ·

وقال عن المبدإ الأول :

« وكما أسست هذه الصحيفة لخدمة المبدإ السياسي المتقدم أسست لخدمة مبدإ دينى : وهو الرجوع بالمسلمين الى جوهر دينهم الأصلي البرىء من جميع الضلالات والخرافات والتعصبات ، المحرر للعقول ، المهذب للنفوس ، والساعي بالانسانية الى الصراط المستقيم ، الى سعادة الدارين ، **ولما كانت الطرق فى في معظم أمرها منبعا لكثير من هذه المهلكات** ، وقف الشهاب لها وقفاته المعروفة لنقدها ومحاولة إصلاحها » اهـ ٠

هذا المبدأ الديني يقتضى تطهير النفوس ، من كل كدر،وتحرير العقول ، وتصحيح العقائد،ومحاربة كل تأخر ، ومن ذلك محاربة الضلالات والخرافات والتعصب المقوت ، وقد حكم بأن الطرق الصوفية ومشائخها « منبع لكثير من هذه المهلكات » ٠ ولكنه لم يشأ ان يفاجئهم بالإعلان العام لهذا أثناء الطور الأول ، واضطر أن يصانعهم ـ ليتمكن منهم ـ بما لا يضر المبدأ ، وان يدخل فى « قطعانهم » فظن بعض « السذج » أنه كان منهم ! وتجرأ صاحب « حياة كفاح » فزعم أنه السبب في « هدي » ابن باديس ! وانقاذه من الطرقية !

واذا أردنا شهادة صحيحة فى الموضوع فلنعد الى ما كتبه بقلمه ـ وهو كثير ، والى ما كتبه تلاميذه عنه مثل الأستاذ محمد الهادي السنوسي رحمه الله الذى ارتحل الى قسنطينة فى بداية الطور الأول عام 1916 ـ وما بعدها الى نحو 8 سنوات ، فقد شهد أنه طهر عقله من الخرافات والضلالات الطرقية ، وسجل ذلك فى ترجمته لنفسه فى كتابه (شعراء الجزائر فى العصر الحاضر) ومثله ما كتبه فى نفس الكتاب الأستاذ محمد سعيد الزاهري رحمه الله وما تركه من طابع قوي فى نفسه ، من تربية دينية ووطنية صحيحة ٠ ويجب ان نتذكر أن الشيخ السعيد الزاهري من تلاميذ الشيخ ابن باديس هو أول من جعل جريدته « الجزائر » تضع فى صدرها ـ شعارا لها ـ « الجزائر للجزائريين » ٠

أول صدام عنيف بين الإصلاح والحلول

أول من اصطدم به ابن باديس ـ من (الصوفية) ومشائخها ـ الطريقة العليوية وشيخها أحمد بن عليوة المستغانمي ٠

ويتبين للدارس المتمعن أن هذا الصدام : دواعيه شاملة للهدفين اللذين أعلن ابن باديس أنه يعمل لهما فى الميدانين الديني والدنيوي ، وقد تيقن بخطورة هذه الطريقة فيهما ·

اما الهدف الديني فقد تيقن الخطورة مما تروجه الطريقة من مبادىء الباطنية والدعوة الى مذهب الحلول ووحدة الوجود ·

وأما الهدف السياسي فهو اتصالها بالقوى الاستعمارية والتحالف معها ، والتعاون بينهما على العمل المنسق للنجاح المزدوج ·

وقد بينا هذا فى قسم « اتصالات مريبة » من هذا الكتاب وسقنا عليه الأدلة والشواهد ، ولكنا فى هذا الفصل نعجل بنقل اعتراف منشور فى كتابهم « الشواهد والفتاوى » يدل على مدى ما بلغ اليه التعاون والتناصر والتلاحم ·

قال صاحب هذا الكتاب فى ترجمته للشيخ عده بن تونس ـ وهو العضد الأيمن للشيخ ابن عليوة فى حياته ، وخليفته بعد مماته ·

« انه انخرط فى سلك العسكرية الفرنسية ـ على ما يقتضيه القانون الجبري ـ ، وصار مقره القشلة بدل المسجد،فعكف على عمله الذى هو من عادته ، وكان يستعطف من حوله من أفراد الجند ليستميلهم الى العمل بالدين ويحبب لهم الذكر والذاكرين ، الى ان صارت كلمة الإخلاص ـ يعني بها كلمة (الله) ـ تذكر ليلا نهارا داخل القشلة بأصوات مرتفعة ، ثم اشتدت الرغبة فى الذكر على الأسلوب المعتاد عند الفقراء الى ان استحسن رؤساء الجند من الفرنسيين تلك الأنغام فالزموا الجند ان يكرر كلمة الإخلاص بتلك الصيغة فى حال مشيهم النظامي ورجوعهم من التعاليم الرسمية اليومية ، يدخل المدينة بكلمة الاخلاص يتقدمهم فضيلة السيد عدة مع من كان معه من الفقراء ، وبلغني انه لما انتقل الى مدينة رأس الماء من حدود الصحراء فعل ما يقرب من ذلك من جهة تصيير من حوله من العساكر في صفة الذاكرين، فكان مكثهم بالمسجد أكثر من مكثهم فى غيره » (7) ·

---

(7) الشواهد والفتاوى ، ص 169 ·

وبينما كان يصنع مع هؤلاء القوم مثل هذا فى صميم القشلات العسكرية والقلاع كان العلماء يطاردون من المساجد ، ويحذر من الرحمانية وإخوانها، وخصوصا فى بلاد القبائل،لأنها اخرجت الشيخ ابن الحداد ، وولده الشيخ عزيز ، فالقوم كانوا يعدون « العليوية » لخلافتهم ويصدرون أوامرهم للجنود ليلتزموا « ذكرهم » وطقوسهم ، ويعلنون ذلك فى المدن والشوارع .

ان هذه « المناورات » لم تكن لتخفى على مثل ابن باديس ممن نذروا أنفسهم لخدمة الأمة والسعي فى اصلاح أمورها الدينية والدنيوية ، ولم يكن من الهين مهاجمة العليويين مباشرة وبكل صراحة فى مثل هذا الميدان الحرج ، فان الظروف كانت شديدة ، والاستعمار كان فى أوج طغيانه وعتوه ، وكانت فرنسا تتبجح ـ انها خرجت من الحرب العالمية الكبرى بأكبر وأقوى جيش يرى فى العالم .

لهذا رأينا ان ابن باديس ركز هجومه الساحق على الجانب الديني ، واستطاع ان يضرب هو وحزبه الضربات الماحقة ، وقد مكنهم « العليويون » من ذلك .

فقد كان ابن عليوة قد آلت اليه مشيخة زاوية (درقاوة) بمستغانم بوصية من شيخه محمد بن الحبيب البوزيدي المتوفى عام 1909 م ، ولكن الشيخ ابن عليوة كان طموحا جدا ، فجدد الطريقة ، وأدخل على نظامها وطقوسها وعلى دعايتها تغييرا شاملا مما جعلها تنسب اليه بدلا من نسبها الى الدرقاوي أو الشاذلي ، وخرج بها من مستغانم لتنتشر فى الآفاق .

وقد نشطت على يده نشاطا هائلا وامتدت دعوتها باسمها الجديد فى أنحاء الوطن الجزائرى وحتى خارج الجزائر ، كالمغرب،وتونس،والشام،واليمن، وبريطانيا ، وفرنسا ، وبعض أوطان أوروبا .

وفى داخل الوطن كادت تبتلع الطرق الصوفية وخططت ـ أو خطط لها ـ ان تزاحم فى بلاد القبائل ـ الطريقة الرحمانية ، وتخلفها فى اتباعها ، لأنه تبين للمستعمرين ان (الرحمانية) لا يؤمن جانبها فى القبائل .

ومن بين التجديدات التى اعلنها الشيخ ابن عليوة اعتناقه لمبدإ الحلول ، ووحدة الوجود ، وزعمه فى اشعاره العامية انه (هو الله) وانه (ليس سواه) وأثر عنه بيته الشهير :

فتشـــت عليـــك يـاللـــه   لقيـت روحـي .انـا اللـــه !

وفى عام 1920 م نشر ديوانه المطبوع فى تونس ـ وأعلن فيه بمذهبه هذا وكرر هذا المعنى فى كثير من اشعاره ، كما جاء فيه أقوال مما يؤذى رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، ولما سئل عنها ابن عليوة اعتذر عنها بانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى (سكرة) من سكراته ، وتقدم منه فى ذلة وخضوع فوجد منه ترفعا وتدللا فقال فيه تلك آلابيات وفيها يتهدد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوعده انه ان مات بالشوق اليه فلا عذر له ينجيه ! وانه سيحاكمه الى الله وينتصر عليه ، وفى عبس التى تهدده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يساعد عليه · وزعم انها « شطحة » من شطحاته !!

ورفعت هذه الأبيات الى الشيخ عبد الحميد ، سئل عن حكم من يقولها ، وهل يصح ان يوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلها ؟

فتردد فى الجواب أولا ثم استخار الله وكتب فى الرد على صاحبها رسالة علمية صغيرة الحجم غزيرة العلم عنوانها : « **جواب سؤال عن سوء مقال** » ·

وقد انتهى من تحرير الجواب فى شهر ذى الحجة 1340 هـ (1922 م) وارسل بها الى كبار علماء تونس والجزائر والمغرب فاطلعوا عليها ووافقوا على ما جاء فيها ، وضللوا من فاه بمثل هذا الكلام ، ومـن هؤلاء العلماء مـن تونس : الشيخ محمد النخـلي ، والشيخ بلحسن النجار ، والشيخ الطاهـر ابن عاشور ، والشيخ محمد الصادق النيفر ، والشيخ معاوية التميمي ؛ ومن الجـزائر الشيخ شعيب بن عـلي التلمسانى ، والشيخ مولود بـن الموهوب القسنطيني ؛ ومن علماء المغرب الشيخ العابد بن أحمد بن سودة ، والشيـخ محمد بن العربي ، والشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر · كما قرظها غير هؤلاء فى الصحف والمجلات كمجلة الفتح القاهرية ·

وكانت صدمة عنيفـة أصابت طريقـة العليوية وشيخها ، وشككت فى عقيدته ، ونبهت جمهور الأمة الى ما يبثه حتى اضطروا الى تأليف كتاب جمعوا فيه الشهادات من العلماء والقضاة والمفاتي والنواب والمجالس والاعيان بصحة إسلام الشيخ وسلامة عقيدته · ولكنه مع ذلك لم يسحب ديوانه من الرواج ، وتركه فى السوق وفيه ـ من الضلال والقول بالحلول ووحدة الوجود ومن

سوء القول ـ أضعاف اضعاف ما جاء في حق الرسول صلى الله عليه وسلم . وما زال به ذلك حتى الآن .

وتأسست الصحافة الوطنية ، فتوالت الحملات على الخرافات والاباطيل ، وعلى رواج الدعوة الى مذهب الباطنية وما فيها من القول بالحلول ووحدة الوجود ، واشترك في الكتابة فحول العلماء والكتاب والمفكرين من الجزائر وتونس والمغرب . وكان من أشد الكتاب عنفا على القوم « بيضاوى » فحاولوا أن يعرفوا من هو ؟ فابت ادارة الشهاب أن تكشف للعليويين اسمه ، فقرروا ان ينفذوا وعيدهم في زعيم المصلحين وامامهم الشيخ عبد الحميد بن باديس .

السطو بالأستاذ ابن باديس

وهكذا عقدوا اجتماعا لهم بمستغانم ، وقرروا ان يغتالوا الشيخ بن باديس وارسلوا اليه فدائيا منهم يدعى ممين ـ أو ميمان ـ محمد الشريف من دوار الجعافرة بلدية مجانة دائرة برج بوعريريج ولاية سطيف اليوم ، فسافر لأداء مهمته الكريهة من مستغانم على بعد نحو 300 كلم غربي العاصمة ، وركب القطار من الجزائر بتذكرة ذهاب واياب ، فوصل الى قسنطينة ، وشرع ـ مع اثنين آخرين أو ثلاثة من أعوانه ـ بترصد الشيخ والتحقق في معرفة مسكنه وتحركاته وأوقاته . ثم أقدم مساء 9 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 14 ديسمبر 1926 م على محاولته الآثمة . فاصابه بضربتين على رأسه وصدغه من هراوة وأدماه ، وحاول أن يسل موسي من نوع « بوسعادي » ليجهز عليه ولكن الله سبحانه نجاه منه ، وأبطل كيده .

لقد هزت هذه المحاولة جميع الأوساط ، وفضحت مدبريها فضيحة لا مثيل لها ، وكانت بحق بداية فصل جديد في انتصار الإصلاح والسنة ، وانهزام التعصب والبدعة والباطنية .

والحق ان هذه الحادثة أثمرت ثروة أدبية من النثر الفني ومن الشعر : مباحث علمية وأدبية ودينية راقية ، وقصائد شعرية رائقة . ورغم التأثير الذى أحدثته في زمنها هذه الحادثة وما قيل فيها من النثر ومن الشعر ـ لا في الجزائر فحسب ، ولكن في المغرب وتونس أيضا ـ فقد بقيت مغمورة ، مطوية بين صفحات الصحف والمجلات ، وها قد مر على حدوثها ما يقرب من ستين

عاما ولا يكاد يعرف عن تفاصيلها أحد من المهتمين بتاريخ نهضتنا الثقافية والوطنية شيئا ·

ومن حق جيلنا الحاضر ، وأجيالنا المقبلة وكل باحث عن الحقيقة أن يطلعوا على أحداث تاريخهم بالتدقيق،ويعرفوا ما بذله أسلافهم من جهد وبلاء وعرق ودماء حتى وصلنا الى ما نحن عليه اليوم ·

ان جريدة « الشهاب » الأسبوعية الصادرة فى السنوات 45 ـ 46 1347 هـ (26 ـ 27-1928 م) تحتوي على صفحات رائعة فى موضوع الصراع الفكري العنيف وابطاله : صراع ديني بين السنة والبدعة،وبين العقل والخرافات ، وبين التقدم والانحطاط ، وصراع قومه سياسى بين الاندماج وأعوانه والدعاة اليه ، وبين الوطنيين المخلصين الذين يحكمون عليه بأنه الموت الحقيقى للأمة ، ويفضلون البقاء فى الانحطاط والخرافات والتأخر على تقدم مع الاندماج اذا كان لابد من الاختيار !

وقد عدنا الى هذه الأعداد الصادرة في ذلك الزمن ، ومنها نقلنا صفحات نثرية وشعرية مما حف بهذه الحادثة ، ودعمناها بفصول جديدة ، وتعاليق مفيدة ، تشتمل على إيضاحات وشروح ضرورية ، تزيد النصوص والأحداث بيانا حتى لا تقتصر قراءتها على مجرد الاطلاع والمتعة ، ولكن تتجاوز ذلك الى الاستفادة واثراء المعلومات بالنسبة للطلبة ·

هل الصراع مستمر ؟ وهل من المعقول تأليه البشر ؟

قد يخطر ببال بعض الناس أن هذه صفحات ينبغي أن تطوى،ومن الغلط نبشها واعادتها الى الحياة ·

والجواب أن هذه الضلالة قد رفعت رأسها من جديد وانتهزت الصحوة الاسلامية فى شبابنا ، وعودتهم الى حظيرة المساجد يعمرونها ، والى حلقات الدراسات الاسلامية يعقدونها ، والى المكتبات ينقبون فيها عن الكتاب الاسلامي يلتهمونه ، فاخذت تزرع فى السوق الكتب التى تنشر هذا الضلال ، وتروجه بين الغافلين أو الجهال · فقد نشر فى ديوان الشيخ ابن عليوة ـ بصورة كبيرة له ـ نصوص خطيرة وبخطوط كبيرة مشكولة وكتب عنه :

أنه عارف بالله ، وملقن لاسمه الاعظم · وفى اشعاره **أنه الله** ، **وليس سواه** وان الوجود كله هو الله · ويقول :

تيهتني فى ذاتك ــ **وغبت فيك يا لله** ــ ظهرت صفاتك ــ منك وفيك يا للـه دخلت للمعنى ــ منك وفيك يا للـه ــ **ناديت من أنا** ؟ ــ **لست سواك يا الله**

أفى هذا العصر ، ومع كل هذه الاضواء يقول (عبد) عاجز أنه هو الله ، وليس سواه ، ثم يجد من يعتقد صحة قوله ويسميه العارف باللـه : الملقن لاسمه الاعظم ، مع أنه قد مات كمثل أستاذه ولحق به تلميذه وخليفته مـن بعده ، وكلاهما ادعى مثل مدعاه ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ·

وفى كتاب منسوب اليه وان كـان تحريره وأسلوبه يعلو عن تعبيراته ، ولكن ما فيه من الضلالات يشبه شعره ــ واسمه « البحر المسجور فى تفسير القرآن بمحض النور » يقول عن القرآن الكريم :

« من المومنين من فتح الله بصيرته يراه الآن يتنزل به الروح الامين · واذا قـرأه يقرأه مـن امام مبين ، واعظمهم درجة من يتلقاه مـن ارحم الراحمين وقليل ما هم » اهـ

وهذه جراءة لم يتـح لاحد ــ فيما مضى ــ أن يعلن بمثلها فى قـوم مـن المسلمين فتروى عنه وتطبع وتروج ·

انها تؤدى بقائلها والمصدق به الى الاستغناء عن رسالة محمد صلى اللـه عليه وسلم ، اذا كان (المؤمـن) يأخذ القرآن مـن الامـام المبـين .ــ « اللوح المحفوظ هو الامام المبين » قال تعالى : « **وكل شيء أحصيناه فى امام مبين** » ، قال قتادة ومجاهد وابن زيد « أراد اللوح المحفوظ (8) أو يأخذ مباشرة مـن أرحم الراحمين ، فانه ليس من أمة محمد ، لان أمة محمد أخذت القرآن منه عليه الصلاة والسلام ، اخذه الصحابة مباشرة وكتبوه ورووه ، وبلـغ الى من لم يكن حاضرا نزوله ومن جاء بعده برواية بلغت حد التواتر فى كل كلمة منه وكل حرف ، وهو عليه الصلاة والسلام لم يأخذ القرآن ــ مباشرة ــ من اللوح المحفوظ ولا تلقاه مباشرة من الله ، وانما تلقاه من لدن حكيم عليم بواسطة

---

(8) تفسير الشوكانى لسورة يس ·

أمين الوحي جبريل عليه السلام ، كما أنبأنا علام الغيوب « **وانه لَتنزيلُ ربِّ العالمين ، نَزَلَ به الروحُ الأمين على قلبك لتكون من المُنْذِرين** ... » .

ان هذه الدعوى خطيرة جدا لأنها تؤدى الى ان الوحي لم ينقطع بختم الرسالة ، فمن يقرأ اللوح المحفوظ ، ومن يتلقى عن الله فهو يوحى اليه « **وما كان لبشرٍ أن يكلِّمَه اللهُ الاّ وحياً او من وراءِ حِجابٍ أو يُرسل رسُولا فيوحِي بإذنه ما يشاء** » . ونحن المسلمين نعتقد ان الوحي قد انتهى بختم الرسالة ، ولكن (القاديانية) تزعم غير ذلك وتدعي أن الوحي نزل على غلام أحمد ميزا القادياني ، وانه رسول ، وان الوحي لم ينقطع ولا ينقطع . وبهذا كفرهم العلماء ، وأخرجوهم من حظيرة الاسلام وجماعة المسلمين لقوله تعالى : « **ما كان محمدٌ أبَاَ أحَدٍ من رجالكم ، ولكنْ رسولَ اللّهِ وخاتمَ النبيئين** » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا نبي بعدي » وهذا مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وجاحده كافر بلا شك،ولو قال صراحة لإخوانه « أنا نبي » أو يمكن أن يوجد نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ لما بقي معه احد من الاتباع ، أما ان يقول فيهم : « ان فى المؤمنين من يتلقى القرآن من ارحم الراحمين » فانه عمى عليهم ، ولم يصارحهم .

ان ادعاء استمرار الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مذهب (القاديانية) وكانت جريدة الشهاب قد أثبتت الصلة الموجودة بين العليويين والقاديانية باعتراف جريدتهم البلاغ ونشرها رسالة من احد دعاتهم ، وهاجمت الشهاب الطائفتين معا ، فسكتت العليوية ، ولم يتبرأوا من التهمة . وهذه الدعوى من شيخهم تثبت اتهام الشهاب (9) ، ولم ينشر هذا الكتاب فى حياة ابن باديس ، ولو نشر لما احتاج الى دليل آخر ليبرهن على أن مذهب القاديانية يتلاقى مع مذهبهم فى هذه النقطة .

وفى نفس هذا الكتاب يقول أيضا :

« هكذا الواحد منا مهما تقوى يقينه وانشرح باطنه فيما يسمعه من الفاظ القرآن فلا يراه الا كلاما يكلمه الله به فى ذلك الحال . وقد كان لى تصيب من

---

(9) انظر فصل « اتصالات مريبة » من هذا الكتاب .

ذلك والحمد لله ـ فكنت مهما يطرق سمعي كلام اللـه فترتعد بوادرى عن الفحص حتى كأنى أسمع حسيسا من بقيـة صلصلة الجرس ـ ثم يقـول : « وبهذه **الخاصية اطلعنى الله على البعض من جواهره** » (10) وهذه الجواهر في زعمه هى التى نشرها فى كتابه ٠

اذاً ، فالوحي عنده لم ينقطع ، والقرآن الذى يتلوه ليس هو الذى بلغـه محمدا ووصل الينا بطريق التواتر ، وانما يقرأه من اللوح المحفوظ مباشرة أو يتلقاه ـ كما تلقاه محمد ـ من أرحم الراحمين، بل مقامه فى زعمه أعلى لأن محمدا أنزله على قلبه الروح الأمين ٠

وكما كان رسول الله قد يأتيه الوحى كصلصلة الجرس يأتيه هو كذلك ! وان الله أطلعه على البعض من جواهره ٠

ان هذا الضلال والفساد مما ينسبه الباطنية لائمتهم المعصومين ، فهؤلاء القـوم ـ اذا ـ ظنوا أن الجو قد خلا لهم من العلماء الذين عليهم ان يـردوا باطلهم ، وظنوا أن لهم ان يبيضوا ويفرخوا ، وينقروا ما شاءوا ان ينقروا ، فقد خاب ظنهم ، وساء فالهم، وأقل ما يفعل أن ترسل عليهم صواعق احرقت سلفهـــم ٠

ان فى هذا الكتاب كثيرا مما يبين حالهم ، ويكشف ضلالهم ويحذر المؤمنين من أقوالهم وأفعالهم ، ويبـين رأى كبـار العلماء ٠ فيهم وفيما حاولوا ترويجه بالامس واستعملوا فى سبيل بلوغ أهدافهم ـ لا اللحي والشطحات والحضرات فقط ولكن حتى المـدى والدبابيس فلم يفلحوا ولن يفلحوا؛ فالسنة منصورة والبدعة مقهورة ٠

ولعلنا بهـذا نلفت اليهم انظار علمائنا لينتبهوا الى خطر مـا يريدون ان يبثوه فى شبيبتنا وعامتنا ٠ وعـلى كـل منا أن يؤدى ما يجب عليه كما أداه اسـلافنـا ٠

وقد آن لنا ان نترك القارىء يتابع القصة فى فصولها واللـه الهادى الى سواء السبيل وعليه اتكالنا ٠

---

(10) انظر مقدمة كتابه « التفسير المسجور » ٠

رسالة جواب سؤال

بهذه الرسالة نشبت المعركة الدينية القومية بين الاصلاح والسلفية من جهة وبين الطرقية والبدعة والجمود من جهة أخرى وكان من أطوارها محاولة السطو بالشيخ ابن باديس رحمه الله ·
وهذه فصولها :

رسالة جواب سؤال عن سوء مقال

للعلامة السلفي الاستاذ عبد الحميد بن باديس حفظه الله

عقائد نقية ، أدلة جلية ، كلمات نبيلة ، نقول جليلة بيان لعظيم مقام النبوة والرسالة ، ولضلال من خاطب ذلك المقام بخطاب الجهالة ، قرظها عشرة من كبار العلماء بتونس والجزائر والمغرب الأقصى ، وعلق على مواضع منها العلامة الجليل القاضي الشيخ شعيب التلمساني ·

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

السؤال :

ما قول سادتنا العلماء - رضى الله عنهم - وأدام النفع بهم فى رجل يزعم أنه قطب الزمان الفرد ، وان الكل دونه . وانه العارف المسلك ، الى غير ذلك من أعلى صفات العارفين ، وأسمى درجات الكاملين . ثم يقول مخاطبا للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بما نصه :

ان مت بالشوق منكد	ما عذر ينجيك
ان تبق فى هجرى زائد	للمولى ندعيك
من هو بالملك موحد	ينظر فى أمرك
عبس بالقول تساعد	ما نرجوه فيك

ولما قيل له فى هذه الأبيات قال : ألسن المحبين اعجمية . فهل يعد خطابه هذا سوء أدب ؟ وهل تجوز مخاطبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بمثله ؟ وهل صدور مثله من شأن العارفين الكاملين ؟ وهل يقبل منه ما اعتذر به من عجمة ألسن المحبين ؟ أفيدونا مأجورين ان شاء الله تعالى من رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انتهى

الجواب :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له،ومن يضلل فلا هادي له ، وصلى الله على

سيدنا محمد الذى أدبه اللـه فأحسن تأديبه ، ووفر من كل خـير وكمال على جميع العالمين نصيبه ، وعلى آلـه الطاهرين ، وأصحابه الهادين والمهتدين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ·

أما بعد ـ فقد وقفت على سؤالكم وتأملت من جميع فصوله ، وأحطت خبرا ان شاء الله ـ تعالى ـ بلفظه ومدلوله ، وهممت أن لا أجيبكم عنه بحرف واحد لما أعلم من تصميم أكثر العامة على العناد فيما اعتقدوه من الباطل ، وسكوت أكثر الخاصة من التصريح بالانكار عليهم ، والارشاد لهم ، وتهافت بعض الطلبة القاصرين ، على تسويد صحفهم وصحائفهم بشبهات يسمونها بأفواههم دلائل وأجوبة عن متبوعيهم من الجاهلين ، يحشونها بالاحاديث الضعيفة والموضوعة والتأويلات الباطلة الممنوعة ، والروايات المدخولة عمن ليس قـوله حجة عـلى الناس فى الدين وانما غايته ـ اذا ثبت عنه ذلك وحسن به الظن ـ أن يؤول على وجـه صحيح يقبلـه الشرع · ثم يردون بمثـل هذا على الآيات البينـة والاحاديث الثابتة وعمـل السلف الصالح المشهود لهم بالخـيرة عـلى لسان المعصوم · أفمع هؤلاء ينفع الكلام أو يحسن الجواب ؟ لكنني تذكرت ما جاء فى وعيد الكاتمين ، وفى وعد من بذل الجهد فى نصح إخوانه المسلمين ، ورجوت أن لا أعدم أنصارا على الحق ، واخوانا متكاتفين فى نصرة الدين ، من عدول حملة العلم الذين ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويـل الجاهلين ، فاستخرت اللـه ـ تعـالى ـ وحررت لكم هذا الجواب فى مقدمـة وأربعة فصول وخاتمة ، غـير قاصد ـ علم اللـه ـ شخص أحـد بالنقص ، ولا خارج بعون الله ـ تعالى ـ عن جادة الفهم من دلالة الظاهر والنص ، والله أسأل أن ينفع بـه المسترشدين،ويهدي بـه غير المعاندين،ويفت بـه أعضاد المفسدين،آمـين ·

المقـــدمـــة :

فى وجوب الأدب مـع النبـى ـ صلى اللـه عليه وسلـم اجمـاعا وابـدا وعـلى كـل حـال

أجمع علماء الملة من جميع الفرق على وجوب الادب مع النبى ـ صلى اللـه عليه وآله وسلم ـ حيا وميتا كما يجب الايمان به حيا وميتا للنصوص القطعية

فمن ذلك كقوله تعالى : « **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه** » الآية ٠ وقوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لا تُقدّموا بين يدي اللهِ ورسُولِهِ** » ٠ وقوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لاَ ترْفَعوا أصواتَكم** » الآية ٠ وعلى هذا كانت سيرة السلف الصالح معه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحياة وبعد الممات ، روى الترمذى عن انس ـ رضى الله تعالى عنه ـ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ، فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا أبو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويبتسم اليهما ، وجاء من غير وجه ان أصحابه كانوا حوله كانما على رؤوسهم الطير حتى كانوا من تعظيمه وتوقيره يهابونه فلا يسألونه ، فيحبون ان يأتى الاعرابي الجاهل فيسأله ، ولما ناظر أبو جعفر المنصور مالكا فى المسجد النبوي ورفع صوته ، قال له مالك : لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال : « **لاَ ترفعُوا أصواتَكم** ٠٠٠ » الآية ٠ ومدح قوما فقال : « **ان الذينَ يغضُّون أصواتهم** ٠٠٠ » الآية ٠ وذم قوما فقال : « **ان الذِينَ يُنادُونك مِن وراء الحُجُرات أكثرُهم لا يعقِلون** » (1) ٠ وان حرمته ميتا كحرمته حيا ، فاستكان لهما أبو جعفر (2) ٠ وقد كان مالك ـ رحمه الله تعالى ـ اذ ذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتغير وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه ٠

---

(1) أى فيما يعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم ، الجلال المحلى ، ومعنى الرفيع : العلى القدر والمحفوظ من اساءة الادب ، اهـ ٠ صاوى ، نعم اذا كان من يقول لشيخه لم لا يفلح فكيف بالتجاسر على خير الخلق على الاطلاق بالاطباق صلى الله عليه وآله وسلم ٠

(2) وقال تعالى : « **لا تجْعَلوا دعاءَ الرَّسول بينَكُم كدعاءِ بعضِكم بعضاً** » ، بان تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله فى لين وتواضع وخفض صوت ، اهـ ٠ محلى قوله : لا تجعلوا دعاء الرسول أي نداءه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بان تقولوا يا رسول الله يا نبى يا امام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين ٠ واستفيد من الآية انه لا يجوز نداء النبى بغير ما يفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد وفاته ، فبهذا يعلم ان من استخف بجنابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة ٠ قوله : ونخفض الصوت أى لقوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعُوا أصواتَكم فوقَ**

وكان جعفر الصادق كثير الدعابة والتبسم ، واذا ذكر عنده النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اصفر ، والواقف على سير السلف الماضيين والعلماء المتقدمين يجد فيها كثيراً من هذا في مراعاة حرمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشدة التأدب مع جنابه الشريف ، ومن أكثر الناس محافظة على الادب وتحريضا عليه ووصاية به شيوخ الزهد والعلم من أئمة التصوف العارفين كرجال الرسالة القشيرية الذين ابقى الله بعظيم فضله على الاسلام وجميل صنعه لنصرة الدين كلامهم حجة على كل من ينتسب الى طريقتهم في مثل هاته الازمان ، قال في الرسالة عن عبد الله بن المبارك : نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم ، وعن أبي علي الدقاق : من صاحب الملوك بغير أدب اسلمه الجهل الى القتل ، وقال أبو حفص الحداد : التصوف كله أدب لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن لازم الأدب بلغ مبلغ الرجال، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو الوصال. وقال : حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن (3) .

الفصل الاول :

في بيان خروج كلامه عن دائرة الأدب المرعية، وتهجمه على الحضرة النبوية

قال :

ان مت بالشوق منكد ما عذر ينجيك

أي حق للعبد الحقير ، على السيد الجليل الكبير ، حتى يطالبه بالاعتذار اليه اذا لم يأته ، أم كيف ساغ لهذا المسكين ان يقول له لا عذر ينجيك ، ممن ينجيه هذا العذر ان لو كان ينجيه ، امن اللوم في سائك والعتاب

صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون » . صاوي محشي الجلالين بالحرف . وفي الشفا ما نصه قال : قال ابراهيم التيمي : واجب على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وفي جلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ويتأدب بما أدبه الله ، مثل قوله تعالى : « **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم** ... الخ ، **ولا ترفعوا أصواتكم** ... » وغيره كما تقدم . اهـ

(3) وقيل : من يتأدب ساد ومن لم يتأدب طرد عن الباب .

لاجلك ؟ من انت يا هذا حتى يعتذر سيد الاولين والآخرين لك ، ثم لا ينجيه من التقصير فى حقك عـذر عندك ، لقد وضعت نفسك واللـه فى غير محلها وجهلت مقام النبوة وجلالة منصبها ·

قـــال :

ان تبـق فى هجـري زائـــد   لـلمـــولى نــدعيـــك
من هــو بالملــك مـــوحـد   ينظـــــر فـــى أمــــرك

أي حق لك على النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى صرت تخوفه بانك تدعوه وتشكو به الى الله ـ تعالى ـ لينظر فى أمره ، وهل يتصور منه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تقصير فى حق أحد حتى يشكو به الى الله ـ تعالى ـ حاشا ذلك الجناب الكريم ، والنبي الرؤوف الرحيم (4) · ان يقصر فى خير لأحد فى حال حياته وبعد مماته وكيف ذلك وهو الذى قال له اللـه تعالى : « **لعلّك باخِعٌ نفسَك ألاّ يكونوا مؤمنين** » (5) ، وهو الذى لما تعرض عليه فى قبره اعمال أمته يستغفر للمذنبين ، لكنك يا مسكين توهمته كعظماء الدول الذين يقصرون مع من دونهم فيخوّفون بمن فوقهم . على انـه لم يكن من أدب العبيد ان يهددوا الوزير بسلطة الأمير. فاين انت يا هذا حتى من آداب الوزراء والسلاطين بله الأنبياء والمرسلين ·

قـــال :

عبــس بـالقــول تسـاعـد   مـــا نــرجــوه فيـــك

هذا تعريض للنبى ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ بما خاطبه اللـه تعالى فى سورة ابن أم مكتوم ، وتخويف له بما يلحقه ان قصر مع هذا المسكين مـن العتاب واللوم ، واحتجاج عليه بالقرآن ، والزام له بالقبول والاتيان ، وهذا تهجم عظيم ، وتجاسر شديد ، لا يقدم عليه عامة المؤمنين ، فكيف بمن يزعم انه خاصة العارفين ·

---

(4) القائل انما أنا قاسم والله يعطى ··· الخ
(5) وقال تعالى : « **لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** » ·

الفصـــل الثـــانـــي

فى بيان حرمة مخاطبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمثل هذا الخطاب

قد اشتمل صدر هذا الكلام على نفي قبول العذر من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك يستلزم أن له عليه حقا أن وقع فيه تقصير احتيج معه الى العذر ثم لا يقبل منه ٠ وعلى أنه يرفع دعوى لينظر فى أمره ، وهذه التهجمات القبيحة التى لا تصدر من العبيد الى السادة هى لا شك أقوى فى سوء الادب من مجرد رفع الصوت الذى نهى الله تعالى عنه وجعله سببا فى حبوط الاعمال فتكون قطعا أحق بالمنع والتحريم ، وما أشبه طلب هذا الرجل القبول والاتيان بهـذا الخطاب المزعج الغليظ : بأولئك الذين نـادوه من وراء الحجرات ولـم يصبروا حتى يخرج اليهم ، بل هو أشد ، لان القوم كانوا حديثى عهد بجاهلية لم يخالطوا المسلمين ولا تأدبوا بآداب الاسلام ٠ وهذا يدعى منزلة الاوليـاء والصالحين ، ثم يأتى بما لا يصدر من العامة الجاهلين ، فيا ليته تأدب فى الخطاب ، خير شفيع لوصل سببه ، لكن الغرور والغفلة ، أعظم أسباب المحنة عياذا بالله ٠ واما آخـر كلامه فقد اشتمل على طامـة عظمى وجـرأة كبرى بتعريضه للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى سورة عبس على ما تقدم بيانه فى آخر الفصل الأول ، وهذا فى سوء الأدب ادخل ، وفى الحرمة أشد لان صاحبه قد اعتقد تقصيرا من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فعرض له هو به وخوفه من أن يقصر معه مثل ذلك التقصير فيلام عليه مثل ذلك اللوم كبرت كلمة والله خرجت من في هذا المغرور المسكين ، ولا حول ولا قوة الا بالله،ولا توفيق الا به ٠ فان قلت هذه قصة جاءت فى القرآن وخبر ذكره الله تعالي ٠ قلنا فالجواب عن ذلك ما قاله الامام الحافظ خزانة العلم وقطب المغرب أبو بكر بن العربى فى سورة (ص) من كتاب الاحكام ٠ قال : للمولى أن يذكر ما شاء من أخبار عبيده ويستر ويفضح ويعفو ويأخذ ، وليس للعبد أن ينبز فى مولاه بما يوجب عليه اللوم ، فكيف بما عليه فى الادب والحد ، وان الله تعالى قد قال فى كتابه لعباده فى بر الوالدين « **فلا تقُل لهما أفٍّ** » فكيف بما زاد عليه ، فما ظنك بالأنبياء وحقهم أعظم ، وحرمتهم أكد ، وأنتم تغمسون ألسنتكم فى اعراضهم ، ولو قررتم فى أنفسكم حرمتهم لما ذكرتم فصتهم اهـ ٠ وما بعد هذا البيان بيان ، وان هذا الكلام لكاف وحده عند اللبيب المنصف فى

جواب ما تقدم من السؤال · ومن عقائد الايمان مما يجب علينا فى حق الانبياء والمرسلين ــ عليهم الصلاة والسلام ــ ان لا نخاطبهم بما خاطبهم الله تعالى به ولا نذكر فى كلامنا شيئا مما عوتبوا عليه لا بالتلويح ولا بالتصريح الا بحكاية لفظ القرآن والحديث ، وأما اللـه تعالى فانه يخاطبهم بما شاء ، لانهم عباده وصفوته من خلقه ، لهم من كمال المعرفة به ما ليس لغيرهم ، وله عليهم من الفضل العظيم ما لا مطمع فيه لسواهم ، وأما نحن فموقفنا معهم موقف العبيد مع السادة ، فيجب علينا معهم اعتقاد الحرمة واكبار الجانب ، ولزوم الادب ، فى الاقوال والافعال ، وجميع الاحوال ، ولا يجوز لنا ونحن خدامهم واتباعهم أن نذكرهم أو نخاطبهم بما خاطبهم بهم ربهم ومالكهم ، فما أبعدنا واللـه عن ذلك المقام ، وقد ذكر هذه العقيدة الامام الحافظ أبو بكر بن العربى فى كتبه منها قوله فى سورة (الاحزاب) من كتاب الاحكام : « وعهدنا اليكم عهدا لـن تجدوا له ردا ، ان أحدا لا ينبغى أن يذكر نبيا الا بما ذكره الله لا يزيد على ذلك » اهـ · وقال الامام الصوفي أبو عبد الله بن الحاج فى كلامه على المواسم من كتاب المدخل : وقد قال علماؤنا ــ رحمة الله عليهم ــ وان من قال عن نبي من الأنبياء فى غير التلاوة والحديث أنه عصى أو خالف فقد كفر، نعوذ بالله من ذلك) اهـ · ونقل هذا الكلام عنه الشيخ محمد الزرقاني فى قسم الخصائص من شرحه للمواهب وسلمه : ولا يخفى ان حكم التعريض فى هذا المقام حكم التصريح · فنعوذ باللـه ــ بالدين وتوقع فى سوء الأدب مع سيد المرسلين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ·

الفصـــل الثـالـث

اعلم ان السادة العارفين هم ارسخ الناس قدما فى محبة النبى ــ صـلى اللـه عليه وآلـه وسلم ــ وتعظيم حرمته ، ومراعاة شريف جانبه ، **وتعزيره** وتوقيره وبره ، تجد ذلك فى صلواتهم عليه ، وفى ادعيتهم لله تعالى عند ذكره والتوسل به ، وفى مناجاتهم له عند الشوق اليه ، وفى تأليفهم عند الكلام فى حقه ، وهذه أشياء مروية عنهم ، معروفة منهم ، لا تحتاج الى شاهد ولا تخفى على طالب ، بل هم أكثر الناس أدبا مع شيوخهم ومربيهم ومريديهم ، بل هم آدب الناس من جميع الناس ، قال قائلهم : من لا ادب له لا شريعة له ولا ايمان له ولا توحيد له ، وكتبهم بهذا طافحة،وسيرهم أصدق شاهد عليه ، فمعاذ الله

ان يكون مرتكب ما تقدم مع الاصرار عليه من عامة عامتهم فضلا عن ان يكون ممن فوق ذلك اذ لا نشك ان ذلك الخطاب الغليظ الجافى لا يقوله المــؤمن العامى الباقي على فطرة الإيمان ، فضلا عن أهل الخصوصية والعرفان ، ومن لا يراعى الادب فى خطاب سيد المرسلين ، كيف يصلح ان يكون من العارفين المسلكين ؟ اذ من لا يؤدب نفسه كيف يؤدب غيره ؟ ومــن لم يؤمن على آداب الخطاب كيف يؤمن على ما يدعيه من مقامات الكاملين ؟ قال أبو بزيد البسطامى ـ رحمه الله تعالى ـ لبعض أصحابه : قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلا مقصودا مشهورا بالزهد ، فمضينا اليــه فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقة تجاه القبلة فانصرف أبو زيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا غير مامون على أدب من آداب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه ؟ اهـ . فانظر يا أخى رحمك الله بانصاف إلى هذا العارف الكبير كيف وزن الرجل بميزان الشرع فطرحه لاخلاله بأدب واحد من الآداب ـ كيف بنا لا نطرح هذا المتهجم عــلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقبيح التعريض وسوء الخطاب ؟! قال أبو اسحاق الشاطبى فى كتاب الاعتصام اثر كلام أبى يزيد المتقدم : هــذا أصل ، أصله أبو يزيد ـ رحمه الله تعالى ـ للقوم ، وهو ان الولاية لا تحصل لتارك السنة ، وان كان ذلك جهلا منه (6) فما ظنك به اذ كان عاملا بالبدعة كفاحا ! اهـ . ونقول : فما ظنك به اذا كان يتهجم على الحضرة النبوية بمثل ذلك الخطاب الذى لا نظير له فى كلام صغار المنتسبين ، وعامــة المداحين الجاهلين فضلا عن كلام العارفين ؟ وقال الشيخ عبد الغني النابلسي فى شرحه لكتــاب الطريقة المحمدية ، عند كلام أبى يزيد المتقدم : أن الله ـ تعالى ـ لا يؤمن على أسراره وأنواره الا من أمنــه أولا على الاخلاق المرضية ، والآداب المحمدية ـ « اللَّهُ أعلَمُ حيث يجعل رِسَالَته » ـ والحكمة وضع الشيء فى موضعه ، وهى ملازمة لافعال الله ـ تعالى ـ لا ينفك عنها فعل من أفعاله تعالى ألبتة ، وليس من الحكمة وضع الولاية والكمال فى المنتهك للحرمة والتارك للآداب ، بــل الحكمة تقتضى عقابه لا ثوابه أو العفو عنه لا المدح منه اهـ . فلا نشك بعد هذا فى بطلان دعواه الواسعة المضادة لتهجمه واصراره على سوء الادب مع رسول

(6) يعنى ان الولى من لا يكون للشرع عليه اعتراض .

اللـه ـ صلى اللـه عليه وآله وسلم ـ ولا دليل على حال المرء مثل كلامه ولا أصدق على قلبه من ترجمان لسانه (7) ٠

الفصـــل الـــرابع

فى بطـلان عـذره بعجمـة ألســن المحبـين

اعلموا ان خـير هذه الامـة هم أحبها فى نبيها وهـم أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان المعصوم وعلى قدر حبهم فيه كان تعظيمهم له وأدبهم معه ٠

لما نزل قوله تعالى : « **لا ترفعوا أصواتكم** ٠٠٠ » الآية ، قال أبو بكر ـ رضى الله تعالى عنه : ـ والله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار ، وصار عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ لا يسمعه حتى يستفهمه ، ولزم ثابت بن قيس ـ رضي اللـه تعالى عنه بيته وكان جهير الصوت مخافة ان يحبط عمله ، حتى اعتذر للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فعذره وبشره بالجنة فانزل فيهم وفي أمثالهم « **ان الذين يغُضُّون اصواتهم** ٠٠٠ » الآية ٠ هؤلاء هم الحجة على الخلق ، وهم الذين لا يبلغ من جاء بعدهم مدا أحدهم ولا نصيفه ، وهذا أدبهم وهم سادات المحبين ، وقد كانت ألسنتهم ـ والله ـ فصيحة فى العلم والآداب منزهة عن كل ما يعاب ، فما بال هذا المسكين يركب ذلك الركب الصعب ويخرق سياج الادب ، ويعتذر بعجمة ألسن أهل الحب ، كلا واللـه ، لقد تجاسر على أهل المحبة الحقيقيين وافترى عليهم ، وادعى عليهم ما ليس فيهم ثم لا يجد أبـــدا نظيرا لكلامه عند واحد منهم ، وان اقتدى ببعض المغرورين المتعجرفين ممن لم نعلمهم حتى الآن ، فالحجة من الكتاب والسنة وسيرة السالف الصالح وشيوخ الطريقة المتقدمين قاطعة به وبأمثاله اجمعين،والحمد لله رب العالمين ٠

الخاتمـة فى نصيحـة نافعـة ووصيـة جامعـة

اعلموا جعلكم الله من وعاة العلم ، ورزقكم حلاوة الادراك والفهم ، وجملكم بعزة الاتباع ، وجنبكم ذلة الابتداع ، ان الواجب على كل مسلم فى كل مكان وزمان ان يعتقد عقدا يتشربه قلبـه،وتسكن له نفسه ، وينشرح له صدره ،

---

(7) ما فيك يظهر على فيك ـ وكل اناء بالذى فيه يرشح ٠

ويلهج به لسانه ، وتنبني عليه أعماله ، ان دين الله تعالى من عقائد الايمان ، وقواعد الاسـلام ، وطرائق الاحسان انما هـو في القـرآن والسنة الثابتـة الصحيحة وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، وان كل ما خرج عن هذه الأصول ولم يحظ لديها بالقبول ـ قولا كان أو عملا أو عقدا أو احتمالا فانه باطل من أصله ـ مردود على صاحبه ـ كائنا من كان في كل زمان ومكان ـ فاحفظوها واعملوا بها تهتدوا وترشدوا ان شاء الله تعالى ، فقد تضافرت عليها الأدلة ـ من الكتاب والسنة ـ وأقوال أساطين الملة ـ من علماء الأمصار ـ وائمة الأقطار ـ وشيوخ الزهد الأخيار ـ وهي لعمر الحـق لا يقبلها الا أهل الدين والإيمان ـ ولا يردها الا أهل الزيغ والبهتان . والله اسأل التوفيق لي ولكم ولجميع المسلمين،والخاتمة الحسنة،والمنزلة الكريمة في يوم الدين،آمين،والحمد لله رب العالمين .

قال مؤلفه عبد الحميد بن باديس عفا اللـه عنه : فرغت من تحريره بين عشية يوم الاثنين وصبيحة يوم الثلاثاء السادس والعشرين والسابع والعشرين من ذي الحجة الحرام عام 1340 هـ .

التقـاريـظ

نثبتها هنا على حسب ورودها في التاريخ

تقـريظ محمـد النخـلي :

الحمد للـه والصلاة والسلام على رسول اللـه وعلى آله ، اما بعد : فاني اطلعت عـلى الرسالة التي حررها الفاضل العـالم ابننا الشيخ عبد الحميـد ابن باديس احد المتطوعين بجامع الزيتونة (عمره الله) جوابا عن سؤال في حـق من خاطب النبي ـ صلى اللـه عليه وآلـه وسلم ـ خطاب جفاء وغلظـة، فوجدتها رسالة حافلة بالنصوص الصحيحة المطابقة لما سئل عنه مطابقة العام لبعض أفراده ، ايده الله بروح منه،وأعانه على القيام بوظيفة الإرشاد في تلك البلاد المتعطشة لكثير من نظرائه الناسجين على منواله .

ولنا مقالة فيما وقفنا عليه من تأليف هذا الرجل الذي ظهر بتلك الناحية، والله المسؤول أن يجعلنا من الفرقة الناجية . وكتبه فقير ربه محمد النخلي خادم العلم الشريف لطف الله به في 5 صفر الخير عام 1341 هـ .

تقـريظ بلحسـن النجــار :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين ، هذا وقد وقفت على الجواب الذى حرره العـلامة الفاضل السرى الكامل ابننا الشيخ عبد الحميد بن باديس فى شأن الأبيات التى سئل عنها ، فاذا هو لباب الحق الذى لا يرهقه نزاع ، وما على الشمس غطاء ، ولا على الصبح قناع ، كثر الله من أمثاله فى العلماء العاملين ، وألهم ذلك المتعجرف رشده كي يستبين سبيل المهتدين ، والى الله المشتكى من أناس يتنكبون الواضحة السمحاء ويتتبعون بنيات الطريق ويتطرفون فى مجاهـل السبل بغير علـم ، ويتدهورون فى مهواة الضلال · فان أولئك من الذيـن عيرهم الله بقوله : « **قل هل نُنَبِّئكم بالأَخسرين أَعمالا الذين ضلَّ سعيُهم فى الحياة الدنيا وهم يَحسبون أَنهم يُحسنُون صُنعاً** » · والله المسؤول ان يوفقنا لصالح الاعمال· حرره فقير ربه بلحسن النجار فى 6 ربيع الانوار سنة 1341 هـ.

تقــريظ محمد الطاهــر بن عاشــور :

الحمد لله مؤيد الحق بالحجج الساطعة ، ومزهق روح الباطل بالصوارم القاطعة ، والمضىء بشمس العلم مهامه الجهالة الشاسعة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل بالدعوة النافعة ، والواجب تعظيمه على كل من آمـن به وتابعه ، وعلى آله وصحبه وكل من ذاد صاحب بدعة ودافعه ، اما بعد فانى طالعت هاته الرسالة الحافلة التى ألفها العالم الفاضل نبعة العلم والمجادة ، وقريع التحرير والاجادة ابننا الذى افتخر ببنوته الينا ، واتمثل فيها بقول الساعة (··· ولا هو بالابناء يشرينا) الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس فى تقويم من جرأه جهله على خطاب الحضرة النبوية ، بما تجاوز حدود الآداب الدينية واخطأ الباب الذى رام التطفل عليه مـن أبواب الصوفية ، فوجدتها رسالة قد أودعها مؤلفها صريح الحق ومحضه ، واكثر فيها من المعانى ما أوجز لفظه ، أكثر اللـه أمثاله فى المسلمين ، من العلماء المرشدين ، وكتب فى 17 صفر سنة 1341 هـ محمد الطاهر بن عاشور قاضي تونس لطف الله به ·

تقـريظ محمـد الصـادق النيفــر :

الحمد للـه ملهم الحق من اجتباه من المرشدين ، ومدحض الباطل بهديه المستبين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد روح العالمين ، ومحور

دائرة عباد اللـه المخلصين ، وباب الله الموصل لجميع السالكين ، القائـل : لا تزال طائفة من أمتي على الحـق ظاهرين ، وعلى آله واصحابه والتابعين ، اما بعد ، وفي كل حي بنو سعد فقد اتحفني الابن الروحي ، والأخ النصوحي العلامة المدقق ، ومن هو بكل فضيلة متصف ومتعلق ، عمدة المغرب الأوسط والصاعقة على الدجاجلة الطراريس ، الأستاذ سيدي عبد الحميد بن باديس ، اتحفه الله بكل فضيلة ، وازاح بعلومه وتحريراته كل رذيلة ، بالاطلاع على هاتـه الرسالة الحافلة ، التي هـي بتحقيق جواب ذلـك السؤال الكافلة ، ولا يخامر عقـل مسلم فضلا عن عالم أو سألك ان ينال قيد انملة من ولايـة أو سعادة دون ترام على الاعتاب النبوية ، وتفاذ بأدب في حب الطلعة المحمدية ولكنها الاهواء اعمت ، وتفنن في الاراجيف والتدجيل أصمت ، أهكذا تكون الشطحات ان كان لك ذوق يا صاحب الأبيات الباردات ، واما انا وان كنت لست مطلعا عـلى حالك ولا ما أنت فيـه ، ولكن كـلام الشخص عنوان عـلى ما انطوى عليه فارجع لرشدك وافق من حال سكرك ، واسلك طريق سادات مضوا ، واقبل نصيحة الشيخ عبد الحميد ، فما لك والله عنها محيد ، وانت أيها المجيب كثر اللـه من نصراء الحـق امثالك واحسن عقبى حالنا وحالك بحوله وطوله لا رب غيره .

حرره : خادم العلم محمد الصادق النيفر في اشرف الربيعين سنة 1341 هـ

تقـريظ معـاوية التميمـي :

اطلعت رعاك الله أيها الأخ الغيور على ما سأله به يراعكم ، ذائدا عن الملة الحنيفية ، وعلى ما نسجته ألمعيتكم الصائبة العبقرية ، في الرد على من وجـه الخطاب للطلعة المحمدية ، بتلك الأبيات ، وماخوته من الترهات ، فنعتصم به سبحانه من الوقوع في الزلات ، وجدته من العمل المبرور ، والصنيع المشكور . ناهيك به صنيع يذب عن حمى المصطفى ، ويزيد الذين اهتدوا هدى ، فللـه أنت من عالم تحرير ، ومحام خبير ، ولكن عذيري يا أخي من أهل هذا الزمان فانه ما جرأ هؤلاء الناس عـلى التفوه بمثل هذه الاباطيل بكل قحـة ودعارة الا رؤيتك السواد الأعظم من الأمـة الاسلامية المسكينة في انقياد تام لهم ـ واظنها دسيسة قديمة تمكنت حلقاتها ـ يتحرون خطاهم ، ويرون رضا الخالق

مقرونا برضاهم ، فيزيدون في الاستغراق ، ويخلقون من ضروب الدجل والنفاق ، ما تهتز له السبع الطباق .

ويقدر انقيادهم لهؤلاء القوم تراهم يبتعدون من أولى العلم ابتعاد السليم من ذى العاهة ، أو الخطيب من الفهاهة ، ويستنهض بعضهم بعضا فى الابتعاد وزد على ذلك ما استفحل من الداء الدفين فى أهل العلم من الولوع بالتشاكس وهو الانتقاد ، فى كل عمل ما كانت صبغته وبهذا ومثله تسنى لأولئك الانتصار وراجب بضاعة القوم .

فقلت ادعوك للجلى لتنصرنى وانت تخذلنى فى الحادث الجلل

كتبه معاوية التميمى تحريرا في ربيع الثانى عام 1341 هـ .

تقريظ شعيب بن علي بن عبد الله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما ، الحمد لله على جميل التوفيق والشكر لله على الهداية لاقوم طريق . والصلاة والسلام على أشرف من وحده وعبده القائل من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وعلى آله واصحابه أولى العناية بدين الله وتابعيهم من العلماء العاملين وكمل العارفين المؤيدين بتأييد الله ، اما بعد : فقد اطلعنى الجهبذ الامام ، واحد الائمة الاعلام ، المحرر المجيد ، ذى الخلق السنى الحميد ، انيس كل جليس ، الشيخ سيدى الحاج عبد الحميد ابن باديس ، على ما علقه على أبيات من خاطب ـ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

ان مت بالشوق منكمد ما عذر ينجيك

فالفتيه الحق الذى فيه لا يسترات ، والمنهج الاقوم الذى لا شك فيه ولا ارتياب فحمدت الله على ان وفقه لذلك وأرشده لسلوك تلك المسالك فانه مشى على أصول سليمة وقواعد مستقيمة يجب الرجوع اليها والاعتماد عليها ، فمن حاد عنها ضل وهلك وخرج عن نهج السلف الصالح ، وغير سبيلهم سلك ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا ووقاه والمحبين وأنصار الدين سوءا وضيرا

بحرمة اكمل المرسلين سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله افضل الصلوات وازكى التسلمات الى يوم الدين آمين والحمد لله رب العالمين .

عبد ربه شعيب بن على بن عبد الله وفقه الله .

تقـريظ محمد المولود بن الموهوب :

الحمد لله الذى جعل الادب الصادق مع سيدنا المصطفى دليل على الحب - وجعل حبـه الكامل علامة على رسوخ الايمان والقرب - والصلاة والسلام التامان عليه كما يليق به من الله - ما تلى ويتلى : « **قُل ان كنتم تُحبُّون اللهَ فاتَّبعوني يُحْبِبْكم الله** » وعلى آله وأصحابه الذين حازوا به عظيم الجاه - . اما بعد،فقد اطلعنى الأخ فى الله العلامة فرع الكمال وزبدة الأصول ذو الانس والتانيس السيد عبد الحميد بن باديس عـلى جوابه الشافي ونقله الصافي وكيله الوافي ، بل ونعم الحسام الكافي لقطع رقبة ذلك الذى قاده الخناس بزمام الوسواس حتى نطق بتلك العبارة المحزنة الدالة على انه ذو إفلاس - وزين له ان اقبال الجهال عليه لا يكمل الا بتلك الجسارة العظمى على الجناب الاحمى - وافضل المخلوقات قدما - فوجدته سلسبيلا معينا - كالعسل المصفى للعلماء العاملين - من بحر شريعة الأمين يجرى - فلله در الباديسى المؤيد بما قاله الكل كالامام الأخضرى .

وقـال بعض السـادة الصـوفيهْ	مقـالـة جـليـلـة صفيـهْ
اذا رأيـت رجـلا يطـيرُ	أو فـوق مـاء البحر قـد يسيرُ
ولـم يقـف عنـد حدود الشـرعِ	فـانـه مستـدرج وبـدعـي
واعلـم بان الخـارق الروحـاني	لتـابـع السنـة والقـرآنِ
والفـرق بـين الإفـك والصوابِ	يعـرف بـالسنـة والكتـابِ
والشـرع ميـزان الأمـور كلهـا	وشـاهـد بفـرعهـا وأصلهـا
والشرع نور الحـق منه قد بدا	وأنفجرت منـه ينابيـع الهـدى
وقـال بعـض أوليـاء اللـهِ	السـالكـين لطـريـق اللـهِ
مـن ادعـى مـراتب الجمـالِ	ولـم يقـم بـأدب الجـلالِ
فارفضـه انـه الفتـى الدجـالُ	ليس لـه التحقيـق والكمـالُ

ومـــن تحـــلى بحـــلى المعـــالي ولحـــدود اللـــه لـــم يبـــالِ
ففـــر منـــه انـــه شيطـــانُ مخـــادع ملبـــس خـــوانُ

قال البيهقي فى مناقب الشافعي ـ رضي اللـه عنه ـ المحدثات ضربان : مـا أحدث مخالفا كتابا أو سنة أو اثرا أو اجماعا فهذه بدعة وضلالة ، ومـا احدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة ، وقال الاستاذ البكرى ـ رضى الله عنه ـ فى الوصية الجليلة ان أهل الطريق يجب عليهم ان لا يخطوا خطـوة ينكرها الشرع عليهم ، فان من خالف الشريعة المحمدية تاه وضل عن الطريقة المرضية ، فالشريعة أصل والحقيقة فرعها ، فمن لـم يحكم الاصل لا ينتفع بالفرع ، اهـ ٠ قال سيدى عبد القادر الجيلانى ـ رضى اللـه عنه ـ : كل حقيقة ردت شريعة فهى زندقة وكـل ظاهر يخالف باطنا فهو باطل ، اهـ ٠ـ وقال سيدى ابراهيم الدسوقى ـ رضى الله عنه ـ : طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة ، فمن أحدث فيه ما ليس فى الكتاب والسنـة فليس هو منا ولا من اخواننا ونحن بريئون منه فى الدنيا والآخرة ولو انتسب الينا بدعواه ، اهـ ٠ وقال أبو زيد ـ رضى اللـه عنه ـ : لو ان رجلا يبسط مصلاه على الماء وتربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي ، اهـ ٠ وفى مناهج السعادات : قيل للرسول ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ متى أكون مؤمنا ، وفى لفـظ آخر : مؤمنا صادقا ، قال : اذا احببت الله ، قيل : ومتى أحب الله ، قال اذا حببت رسوله ، فقيل : ومتى احب رسوله ، قـال : اذا اتبعت طريقته،واستعملت سننته،وأحببت بحبـه، وابغضت ببعضه،وواليت بولايته،وعاديت بعداوته ٠ وقال سهل التسترى : عليكم بالاقتداء بالاثر والسنة فانى اخاف أنه سيأتى عن قليل زمان اذا ذكر انسان النبي ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ فى جميع أحـواله ذموه ونفروا عنه وتبرأوا منه وأذلوه وأهانوه ، اهـ ٠ فاين هذا مما نحن فيه من إساءة الأدب مع سيد الكائنات ! اللهم لا حول ولا قوة الا بك ، فبشراك يا أيها الباديسي لقد أسعدك اللـه بالدفاع عن حرمة الرسول كسيدنا حسان بن ثابت وغيره مـن الفحول ، وبعدا لمن تشبه بالسالكين كذبا ، وما قرع الباب بيد آداب مع سيد الاحبـاب ٠

هيهات ان تدرك المنى بشقشقة — طورا اليك وطورا طوع تلقين
ان السيوف سيوف الله قاطعة — والمصطفى حبه فرض من الدين
ألا انئدوا عرف المركوب معتبرا — لدى السباق حفائر الميادين

نسأله تعالى ان يحفظنا من دسائس الدجالين فى حسن سنة سيد المرسلين صلى الله عليهم اجمعين آمين ، حرره الفقير الى رحمة علام الغيوب محمد المولود ابن الموهوب المفتى المالكى والمدرس بقسنطينة فى الخامس عشر من شعبان 1341 هـ ·

تقريظ العابد بن أحمد بن سودة :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد؛فقد طالعت السؤال والجواب فنعم الجواب وبئس السؤال ، لان التعظيم والمحبة الكاملة كلها فى اتباع سنة مولانا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : « **وما آتاكم الرسولُ فخذُوه وما نهاكم عنه فانتهوُا واتقوُا اللـه** » · وقال : ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك » ولما طالعت رسالة الشيخ الإمام فخر الاقران رئيس علماء قسنطينة العلامة الجامع مولانا السيد عبد الحميد بن باديس القسنطينى ألفيتها البحر الزاخر ، ونقولها كالانجم الزواهر ، والله يديم حفظه وارتقاءه ·

وعليه يوافق عبد ربه سبحانه العابد بن أحمد بن سودة القرشى لطف الله بـه ·

تقريظ محمد بن العربي :

حمدا لمن جعل الحق مع أهل التحقيق ، ومن على من شاء بالتوفيق ، والصلاة والسلام على سيد الانبياء والرسل والملائكة ، القائل تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ، وعلى آله وأصحابه الاعلام ، ما قال قائل ربى الله ثم استقام ، أما بعد؛فالذى أدين الله به واعتقده هو ما سطره سيدنا العلامة المشارك الدر النفيس السيد عبد الحميد بن باديس لانه مؤسس المبنى صحيح اللفظ والمعنى لم يبق فيه قول لقائل ، ولا تشوف لمراجعة مجيب أو سائل ·

وعليه يوافق عبد ربه محمد بن العربى لطف الله به ·

تقريظ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر :

حمدا لمن جعل البيان سحرا ، ورفع بالفصاحة أقواما فكان لهم بين الناس قدرا ، نحمده سبحانه على ان ارسل الينا رسله تترا ، ونصلي على سيدنا محمد بحر البحور الزواخر ، وعلى آله وأصحابه وعترته وحزبه أهل النصوص الزواجر - أما بعد - فقد أوقفني خلنا الحميم الصادق · الخل الموافق المنور العالم جميل الاخلاق والاوصاف ، سيدى عبد الحق بن وطاف ، على رسالة الشيخ الامام الهمام عالم الديار القسنطنية الايوان النفيس ، السيد عبد الحميد بن باديس ، فالفيتها فريدة فى بابها جمعت النقول الصحيحة والاستدلالات اللطيفة :

العلم قال الله قال رسوله   قال الائمة من ذوي العرفان

فما العلم الا الكتاب والسنة ، لا الشطحات الكاذبة والادعاءات الفاسدة :

والدعاوى ما لم يقيموا عليها   بينات أبناؤها أدعياء

فما لنا الا اتباع سنة مولانا الرسول ومن خالف سنة مولانا الرسول ، فالسيف مسلول (فما لنا الا اتباع أحمدا) وغاية المقول فيها :

ذى المعالى فليعلون من تعالى   هكذا هكذا والا فلالا

ولما فاح مسك الختام قلت بلفظ قريب شامل من بحر مجزوء الكامل :

جاءت الي رسالة   عني بها الكدر انتفى
جمعت أمورا جمة   قلبي اليها قد هفا
ألفاظها دريـة   سمعي بها قد شنفا
ولها معان أصبحت   بالفعل تحكي القرقفا
من قاسها بالبدرو   شمس الضحى ما أنصفا
شكرا لحضرة سيدي   عبد الحميد المقتفا
علامة الدنيا الذى   أضحى شريفا مشرفا
وله علي الشكر فر   ض عنه لن أتخلفا

قاله وكتبه خديم الحديث الاستاذ عبد القادر بن محمد بن محمد بن عبد القادر السودى القرشى الله وليه ومولاه ، حرره بفاس حامدا ومصليا ٠

المقرظون ، أسماؤهم ووظائفهم وبلدانهم :

1 ـ العلامة النظار المفكر المستقل زعيم النهضة الفكرية لجامع الزيتونة الشيخ محمد النخلي رحمه الله ٠

2 ـ العلامة الاصولى البحاث الجامع الشيخ النجار المفتي المالكي حفظه الله

3 ـ العلامة المحقق الغواص النقاد الشيخ الطاهر بن عاشور عميد مجلس الشورى المالكي بتونس وقاضي الجماعة بها سابقا حفظه الله ٠

4 ـ العلامة المحقق الفقيه النوازلي المتفنن الشيخ الصادق النيفر قاضى الجماعة بتونس حفظه الله ٠

5 ـ العلامة المشارك الأديب البارع الشيخ معاوية التميمي المدرس بالزيتونة حفظه الله ٠

6 ـ العلامة الفقيه المشارك الشيخ شعيب بن عبد الله القاضى سابقا بتلمسان والمتقاعد الآن ، حفظه الله ٠

7 ـ العلامة المتفنن الالمعى المفكر الشيخ المولود بن الموهوب المفتي المالكي بقسنطينة والمدرس بمدرستها ، حفظه الله ٠

8 ـ العلامة الكبير المؤلف الشيخ العابد بن أحمد بن سودة القرشي خطيب المسجد الادريسى بفاس وقاضى الجديدة سابقا ، حفظه الله ٠

9 ـ العلامة المشارك الشيخ محمد العربي المدرس بالقرويين ، حفظه الله ٠

10 ـ العلامة المحدث المسند الرحالة الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر السودي القرشي المدرس بالقرويين بفاس ، حفظه الله ٠

تبيـــان :

هذه الابيات المسؤول عنها لم تزل الى اليوم فى ديوان ناطقها شيخ الطريقة العليوية بين أتباعه بعلمه ورضاه وتقريره مع ما فيه مما هو مثلها أو أشد فى معاني أخرى ٠ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (1) ٠

---

(1) قد أختفت هذه الابيات اليوم ولكن القصيدة التى جاءت فيها ما زالت بآخر طبعة من الديوان وفيها ما يؤاخذ عليه ٠

رد الفعـــــل :

لابد من رد الفعل من القوم ، فكان قولا وعملا ، وهو ما نقصه :

كان أول رد فعل لهذه اللهجة المحكمة والدعوة الموفقة ، المدعمة بالأدلـة الشرعية من آيـات قرآنية وأحاديث نبـوية ، وبتأييد أعظم علماء الزيتونية التونسيين ، وعلماء المغرب القرويين ، وعلماء الجـزائر المصلحين والرسميين ـ ان ألفوا كتابا سموه (الشهائد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمـر الشيخ العلاوى) • والكتاب ـ يبرهن كما يـدل عليه اسمه ـ عـلى مقدار ما أصابهم من الفزع والرعب لأن أمر شيخهم قد أصبح فى شك وبلبلة ، ويحتاج الى من يشهد له بالإيمان والصلاح •

ومؤلف هذا الكتاب هو السيد محمد بن عبد الباري التونسى ، وقد طبعوه بمدينة تونس فى (المطبعة التونسية) الكائنة فى زقاق البلاط ، حيث كانت تطبع جريدة (الزهرة) اليومية • اما المـؤلف فقد كان مجهولا فى الاوساط العلمية الزيتونية •

ومثله كثير ، ممن يسخر فيتسخر، ويستأجر فلا يأبى أن يجيب •

اشتمل كتابه ـ الذى بلغت صفحاته 256 ـ على شهائد ـ كما يقـول ـ صادرة « من أكابر العلماء من نحو القضاة والمفاتي وأكابر المدرسين ، ومنها من نحو المتطوعين والمرشحين ، ومنها من أعضاء المجالس البلدية وأعيان البلدان، ومنها ما هو من أعيان الاتباع من الفقهاء والفضلاء ! » (1) •

واذا كانت شهادات العلماء أو المحاكم يستأنس بها فما دخـل المجالس البلدية التى تتركب من العامة وممن لا صلة له بالشريعة فى الموضوع ؟

على ان هذه « الشهائد » لا تخرج عن تمجيد الشيخ واطرائه ، والاشادة بسيرته وفضله وتدينه وتقـواه واثـره فى اتباعه « الطيبين » • فالشيخ ذو مكانة سامية وسيرة مرضية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (2) • وهو كما

(1) كتاب الشهائد والفتاوى صفحة 7 الطبعة الاولى •
(2) المصدر المذكور ، الشهادة الاولى من محكمة مستغانم ، ص 10

جاء فى الشهادة الثانية من مفتى مستغانم « مالكي المذهب ، أشعرى العقيدة ، شاذلي الطريقة يحضر الجماعة والجمعة ويرغب فى الخير » (3) ·

وهكذا تستمر هذه الشهادات من أولها الى آخرها على وتيرة واحدة مع الهجوم أحيانا على (خصومه) ونعتهم باقبح النعوت ·

وفى الشهادة الاخيرة يذكر صاحبها أن الشيخ يستحق الشكر والثناء من كل مسلم لما قام به :

« من جلائل الأعمال خصوصا إحياء السنة وإماتة البدعة ، وارشاد الأمة لعمل الصالحات ، وفعل الخيرات ··· مزاياكم ظهرت كالشمس فى (رابعة) ـ كذا ـ النهار الا على من على بصره غشاوة » (4) ·

والملاحظة أن هذه الشهادة الاخيرة صادرة من الحاج محمود ابن الحاج مصطفى التبسي « وقد كان زاول معلوماته بمدينة مصر ، ويكفيه منقبة تجوله فى طلب العلم » (5) ·

فكل ما حواه الكتاب لا يكاد يخرج عن مثل ما ذكرناه ، وقد طبع الكتاب واخرج للناس فى أوائل سنة 1343 هـ ·

ولكن يظهر انـه لم يغن القوم شيئا لما فيه من باطل وزور ، ففـى بعض الشهادات مـا يثبت البدعة وينوه بها ويحتج لشرعيتها كالخلوة ، والحضرة، وشد الرحال لغير المساجد الثلاثة ، وانظر الى الشهادة الأخيرة التى تشيـد بإحيائه السنة وإماتته البدعة ، وهذا ما لا يدعيه العليوية لأنهم يتمسكون بالانتساب الى « المتصوفة » · ولهم طريقة خاصة بهم غير طريقة السلفيين ·

ولأن حجـة ابن باديس وحزبه كانت واضحة مدعومة بنصوص نطـق بها الشيخ ونشرها ، وروجها ، وانـه ما لم يتب منها ، أو يتبـرأ مـن قولها ،

(3) المصدر المذكور ، ص 13 ·
(4) المصدر المذكور ، ص 237 ·
(5) المصدر المذكور ، ص 237 من الهامش ·

ويسحبها من السوق فهى لازمة له ، عليه تبعتها ، ويتحمل أمام الله والناس وزرها · ولا يسلم من هجمات الدعاة الى الحق حماة السنة ، وخصوم البدعة.

في أواخر 1343 هـ ـ 1925 م برزت صحافة الاصلاح ، كما برزت نسخ طبق الأصل من «ابن باديس»، وقد تكون لهجتها أشد وأقسى، ومنها «بيضاوى» المحرر في المنتقد وفى « الشهاب » فقرروا أن يتجاوزوا الرد الكتابي الى الرد العملي ، وبحثوا عن شخصية « بيضاوى » فلم يعرفوه فصمموا على أن يكون الضحية ابن باديس نفسه ، وهكذا دبرت مكيدة السطو بابن باديس ونفذت ·

*

السطو بالشيخ عبد الحميد بن باديس

كاد الاستاذ الامام الرئيس عبد الحميد بن باديس ـ رحمه الله ـ يدفع حياته الغالية ثمنا لصدعه بالحق ، وقيامه بالواجب ٠ وشجاعته فى الدفاع عن آيات الله ٠ وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومقامه ٠

فقد دبرت مكيدة شنيعة ضد حياته ، وشرع المعتدون فعلا فى اقتراف جريمتهم لولا ان حماه الله وانقذه ٠ ومع ذلك فقد شج وجهه ، وسالت دماؤه وذلك مساء يوم 9 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 14 ديسمبر 1926 م ٠

وقد طلع العدد 75 من الشهاب ، الذى صدر يوم 11 جمادى الآخرة ـ 16 ديسمبر ، وفيه صفحة كاملة تعلن بحروف غليظة :

توحش عليوي ٠٠٠

انتظروا ٠٠٠

فى العدد المقبل

السطو الذى وقع على الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس فى طريق داره بعد خروجه من درس التفسير من أحد المربين فى الخلوة العليوية ٠

ما لهم لا يفقهون ؟

أيحسب الطرقيون العليويون أن يذهب الشهاب بذهاب أستاذنا ؟

وفى العدد الموالى ـ عدد 76 من الشهاب الصادر يوم الخميس 18 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 21 ديسمبر 1926 م ذكرت تفاصيل عن هذه الجريمة البشعة ، وهذا نص ما نشر :

بيـــــان

فـاجعـــة الفتـــك بالأستـاذ

فى ليلـة الاربعاء 9 جمادى الثانية الساعة السابعة مســاء ، كمن احـد الأوباش للاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس فى طريق داره بعـد خروجه من درس القرآن العزيز ، وفاجاه بضربتين بدبوسة ، الاولى على الرأس والثانية تحت العـين ، وكانت الأولى قوية للغاية أراد بهـا الجاني اسقـاط الاستاذ للقضاء عليه ٠

ولكـن الالطاف الربانية ساعدت الاستاذ ، أمسك لـه اليـد التى فيهـا الدبوسة ، واليد التى يسل فى الموسى بها،وبقيا يتدافعان فى وسط الـدرج المؤدية هبوطا لداره فى مكان خال من المارة ، وصعودا للنهج العام الذى تكثر فيه المارة إلى أن انتصر الأستاذ وصعد به وهو يستغيث حتى ان صار الجاني يحاول الهروب بعد أن كان يحاول القتل ، ولقوة الضربتين فشل الأستاذ ، وهرب له داخل الزنقة وكانت ذات مخرجين ، فأمر الاستاذ الفازعين ان يسدوا عليه المخرجين لئلا يهرب ،ثم شرع الأستاذ فى البحث مع آخرين فوجده أحد الباحثين فى دهليز فى الدار التى بها مسكن الاستاذ وشاهد الموسي بيـــده فألقى القبض عليه ، بعد إمساك يده التى بها الموسى ٠

وتناوله كل أحد من الحاضرين وأرادوا الفتك به لرؤيتهم الأستاذ فى ذلك الحال مخضبا بالدماء ، لكن الاستاذ منعهم من ذلك ٠

ثم أتـى البوليس وأمسك الجاني وسار الجميع إلى كوميسارية القســم الثانى ، وبعد سؤاله عن اسمه أجاب : ممين محمد الشريف بن محمد من أهالي جعافرة حوز مجانة دائرة برج بوعريريج؛وبعد تفتيشه وفحصه وجدوا تحته ورقة الرجوع فى السكة الحديدية للجزائر ، وسبحة عليوية ، وبوجود ذلك تحته مع هيئة لحيته ، الهيئة المخصوصة لإخوان ابن عليوة،تبين أنه من أتباعه وانه سخر منه أو ممن يقوم مقامه للفتك بالأستاذ والقضاء على حياته ٠

ووقتئذ زج فى السجن ، وسير بالأستاذ فى العربة التى أتى بها من موقع القضية الى الطبيب الجراحي فضمد له الجرح ورجع الى داره فى مظاهرة كبيرة من جميع الطبقات ٠

وتحقق أن الجاني من أتبـاع ابن عليوة الصوفي العصرى ٠٠٠ كما اننا تحققنا ان مع الجاني ثلاثة أو أربعة من اتباع الشيخ المربي ٠٠٠ وكلهم أتوا للفتك بالأستاذ حسبما تلقيناه من بعض جيرانه،لأنه قبل وقوع ما ذكـر بيومين ـ كثر ترددهم على هذا الجار وسؤالهم لـه عن سكن الشيخ وأوقات رواحه ليعرفوا الزمان والمكان المناسب للفتك ٠

وبالفعل وقع ما ذكر ، ولما وقع البحث من ادارة الكوميسارية أدى ذلـك الجار شهادته وعرف الجاني انه من أولئك السائلين الذين ترددوا على محله لأخذ الارشادات عن محل سكن الشيخ وعن أوقات غدوه ورواحه ٠

والحمد لله ان سلم الله الاستاذ وفضح كيد الخائنين ، وللناس أن يحكموا على هاته الطريقة ـ بعد صدور هذا من أهلها ـ بما يشاءون » اهـ ٠

هذا ما نشرته جريدة الشهاب اثر الفاجعة ، في بساطة الاسلوب الصحفى الوافي بالغرض البعيد عن التأنق وأظنه من انشاء السيد أحمد بوشمال رحمه اللـه تلميذ الأستاذ وشريكه فى أعماله ومدير مجلة الشهاب وأحد مؤسسى المطبعة الاسلامية الجزائرية ، ثم خليفة الاستاذ ـ من بعد وفاته ـ فى رئاسة جمعية التربية والتعليم الاسلامية وفروعها بولايـة قسنطينة ، وفى مشاريع النهضة بها ٠

شجـاعة وقـوة بدنيـة وروحيـة :

نري فيما جاء فى الخبر ان الاستاذ ابن باديس أمسك بيدي الجاني ، اليد التى تمسك بالهراوية ، واليد التى تمسك بالموسى ، وتدافع معه فى الـدرج هبوطا وصعودا ، واستطاع أن يصعد به الى الشارع العام،وحينئذ افلت منه ، ومع ضعفه من أثر الضربتين وافلات الجاني بقى فى يقظة يبحث عن عدوه مع الباحثين حتى وجدوه ، وما زالت الموسى بيده ولم يخش ان يعود الى محاولته ٠ والذى يعرف المكان ـ جيـدا ـ يعرف مقدار الخطر الذى كان يهدد الشيخ ، والحرج الذى تعرض له ، فان السلم صعب المرتقى جدا ، وربما كان ضيقه مما سبب نجاة الاستاذ لأن الجاني قد يعوق حركته بالهراوة ذلك الضيق ٠ ثـم ان الاستاذ كان نحيف الجسم لا يقوى ـ عادة ـ على دفع صائل مهاجم ضخم الجثة ـ فيما يروى ـ مفاجىء بضرباته ٠

عـزيمة وتصميـم : حيـاة الفـرد لأجـل مـواطنيه

ولا شك أن هذه القوة البدنية التى منحها فى تلك اللحظة ـ رغم نحافة جسمه ـ مع شجاعة ادبية روحية مما نجاه من هذا الخطر الذى هدد حياته ، ووصل الى درجة محاولة الفتك بـه ، وكل ذلك لم ينـل مـن أقدامه وعزمه وتصميمه على المضي فى طريقه ٠

ففى عدد الشهاب نفسه 76 الذى ذكر فيه نبأ العدوان ، والذى صدر بعد أسبوع واحد من محاولة الفتك ـ 18 جمادى الاخيرة 1345 هـ ـ 23 ديسمبر 1926 م نجد افتتاحة العدد عبارة عن كلمة معبرة منقولة عن الشاعر الهندي العالمى طاغور ، نشرت بحروف غليظة واستوعبت الصفحة الاولى ، وهذا نصها :

كلمـــات العظمـــاء :

« للحياة معنى فسيح نبيل لذلك الرجل الذى يحيا من أجل فكرة أو مبدإ وان الألم ليتضاءل بقدر اتساع ذلك المعنى ٠٠٠ والحياة النبيلة الطيبة هى التى يحيا الفرد فيها لأجل مواطنيه ، لأجل المجتمع ، لأجل الناس جميعا » ٠

الأخطـار التى تهـــدد خـادم الأمـــة

ثم فى العدد الموالى وهو عدد 77 الذى صدر فى 25 جمادى الاخيرة 1345 هـ الموافق 30 من ديسمبر 1926 م نجد افتتاحية العدد كلمة أخرى منقولة عـن مجلة الهلال لزعيم سياسي فرنسي هو السيد كايو من رؤساء الحكومة الفرنسية السابقين ، وقد نشرت أيضا بحروف غليظة وهذا نصها :

كلمـــات العظمـــاء :

« ان من يريد أن يخدم الأمة ويقودها يجب ان يكون متقدما عنها ، وقد عرفنا بالتجربة أن الجلادين (المكلفون بقتـل المجرمين) يقفون عـلى الدوام ينتظرون مثل هذا الخادم المتقدم ، ولكن هذا الحظ السيء يجب الا يمنع أحدا من اظهار الناس على أخطائهم وانذارهم بالاخطار التى تتهددهم » ٠

(الهلال) م٠ جوزيف كايو رئيس وزراء فرنسا سابقا

وقد كان ابن باديس حقا يحيا من أجل ذلك المعنى الفسيح النبيل ، الحياة الطيبة النبيلة من أجل مواطنيه ومجتمعه والناس جميعا ٠

وكان لا يجهل الأخطار التى يتعرض له المتقدم على جماعته ، ولا تمنعه هذه الأخطار من صدعه بما أمره به دينه ، وعمله وخلقه ٠

هذا ما قاله بلسان حاله ، فى نقله لهاتين الكلمتين عن بعض عظماء عصره وقال بلسان قلمه ـ وقد نشر عقب الخبر الذى روى فاجعته فى عدد 76 من الشهاب بعد تمهيد من الجريدة وهذا نص ذلك :

شكر عام للإحساس العام

تهاطلت على الادارة البرقيات والكتب من جميع جهات القطر ومن تونس الشقيقة بالتهنئة بسلامة الاستاذ والاستياء من توحش الجاني العليوي ، مثلما توارد وفود القسنطينيين من جميع طبقاتهم على داره،فجاءنا من جنابه ما يلى :

« انني أشكر ـ الشكر الجم ـ الأمة الجزائرية جمعاء على ما أظهرته من العطف والشعور نحو شخصي الضعيف بما رأيت من القسنطينيين كلهم ، وما تلقيته من الكتب والبرقيات من جميع الجهات ، وأشكر كذلك الأمة التونسية العزيزة التى لا يفصلنا عنها غير الاعتبارات السياسية ، من فاصل الحدود ٠

« انني وايم الله لأرى نفسى أحقر وأقل من هذا الاعتناء ، ولكنني أسر وأبتهج عندما أعلم ان هذا الشعور العام دليل على ما فى قلوب المسلمين من المكانة العظيمة لكلمة الحق ، وسمعة الدين اللذين ما أوذيت الا فى سبيلها من طائفة تدعى الخصوصية فى الاسلام وتبعث أتباعها يسطون على الأبرياء بالظلم والعدوان ٠

« فهذا العاجز يكرر شكره ـ بلسان الحق والدين لأهل هذا الشعور الطاهر الشريف،سائلا من الله تعالى أن يزيده رسوخا فى قلوبهم على مدى الأيام » ٠

عبد الحميد بن باديس

فحتى ـ فى تلك الحالة المؤلمة كان انما يفكر فى المبدإ الذى يعيش من أجله : الصدع بالحق ، وخدمة الدين ، ويأسف جد الأسف الا يفهم الدين من يدعي فيه الاختصاص ٠

شاهد عيان يروى الحادث

حينما وقع الحادث ـ منذ ما يزيد على خمسين عاما ـ كان الشيخ ابن باديس رحمه الله ـ محاطا ـ فى معهده العلمى ـ بأسود الشرى من أبناء الجزائر انحدروا اليه ـ والتفوا حوله ـ من جبال الجزائر المنيعة وسهولها الخصبة ، وهضابها المرتفعة ، وصحاريها الفسيحة،وما منهم الا من يفديه بالنفس والنفيس ، ويخاطر من أجله أشد المخاطرات ، ولكنهم فوجئوا بما أصابه ·

وكانوا يتلقون عنه الدين الصحيح ، والتربية السليمة ، والوطنية الصادقة وفنون العلم ، والادب الجم ، كان يستقبلهم أو يستجلبهم ويرعاهم ، ويسهر على راحتهم ، وكانوا عنده أغلى من كل غال فى الحياة ، يكادون يكونون على فطرتهم (البدوية) لم يتصنعوا ولم تفسدهم (تطرية) الحضارة ·

فلما سمعوا بما وقع له دهشوا ثم اسرعوا اليه محتارين وجلين ومشفقين متسائلين ، ورغم ما كان فيه ـ تلك الليلة من ألم جسمى ونفسى فقد اذن لهم وتحدث معهم ، وانبسط اليهم ، وأشرق وجهه بابتسامات ·

وقد فكرت أن انقل صورة حية عن هذه الحادثة فالتجأت الى الاستاذ العلامة الشيخ محمد الصالح بن عتيق فوجدت عنده الخبر اليقين ، وكان يتكلم عن هذه الحادثة وكأنها وقعت بالامس القريب مع ألم وحسرة فطلبت منه ان يقصها بقلمه فاستخرج نصها من ذكريات حياته وهذا ما جاء فيها ·

محاولة اغتيال الأستاذ الإمام
عبد الحميد بن باديس
(مأخوذ من ذكريات حياة)

فى الرابع عشر من شهر ديسمبر 1926م (9 جمادى الاخيرة 1345هـ) وقعت محاولة اغتيال شنيعة كادت تودى بحياة الأستاذ الامام من طرف أحد المجرمين المنتسبين لإحدى الطرق الصوفية الغلاة بالجزائر ، بإيعاز من الادارة الاستعمارية التى ضاقت ذرعا بنشاط الأستاذ فى الميدان الإصلاحي والوطني، وكانت تعتمد بالدرجة الاولى على بعض هذه الطرق والزوايا ، وتحرص على هؤلاء الأنصار و (الأحباب) فى دعم نفوذها ، والحفاظ على سمعتها وتحميهم من حركة الاصلاح التى كانت تحارب البدع والخرافات التى ألصقوها بالاسلام، وجعلوا منها طقوسا جافة ميتة ، كما جعلت منهم أداة طيعة فى يد أعداء الوطن والاسلام الصحيح ، فاتفقت مصلحة هؤلاء وأولئك على التخلص من هذه الحركة الجادة وذلك بالقضاء على قائدها ورائدها الأستاذ الإمام ، فتآمروا على اغتياله ، وكلفوا أحد أولئك المخدرين من حثالة الزاوية وزودوه بالمال و (البركة) ودعوه الخير (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

جاء هذا المجرم من مدينة مستغانم وركب من الجزائر ـ كما دلت عليه بطاقة السفر ـ وترصد ـ ليلا ـ الشيخ ـ فى التاريخ المذكور ـ فى طريقه الى منزله بعد درس التفسير ، وبينما كان الشيخ يسير فى غفلة متلفعا ببرنوسه فى طريق ضيق ودروج وعرة اذا به يفاجأ بهراوة تقع على رأسه ثم على صدغه ، وهنا تتداركه الألطاف الإلهية وتنتشله من براثين هذا الوحش الهائج وتبعث فى الاستاذ قوة خارقة للعادة فينبرى للدفاع عن نفسه فى شجاعة وإيمان ، ويمسك بصاحبه الضخم وكانه عصفور صغير ويصعد به عدة درجات بمكان ضيق حتى أوصله للطريق العام ، ويصيح مستنجدا فيبلغ صوته الى جماعة كانت جالسة بمكان قريب منه فيهرعون اليه مستصرخين : نحن هنا ، نحن معك يا شيخ !

اما المجرم فقد استطاع ان ينفلت ويلوذ بالفرار ! والى أين ؟ الى سقيفة منزل الشيخ ، ولعله كان ينوى الاجهاز عليه بطعنة من سكين كانت معه،ولكن

خاب ظنه وخذلته (بركة) الزاوية فعثروا عليه هناك ، وكادوا يفتكون بـه لولا تدخل الشيخ الذى قال لهم دعوه لا تمسوه بسوء،فليس الذنب ذنبه،فما هو الا صخرة مرسلة ، وآلة مستعملة . وقد شاع الخبر بسرعة فى البلد فجاءت الجموع تستطلع الخبر وتتأكد من حياة الأستاذ ، وطلبوا رؤيته ، ولكن الأهل المشفقين منعوهم من الدخول حسب أوامر الطبيب،وحرصا على راحة الاستاذ الذى كان فى شبه اغماء متأثرا بما أصابه .

« **لهُمْ دارُ السَّلام ِعند ربّهم وهُو وليُّهم** » .

وبلغ الخبر الى طلبته فجاءوا وجلين مسرعين ، منتعلا وحافيا ، وقد أصابهم الهلع والحزن،حتى بلغوا منزل الشيخ وطلبوا رؤيته فمنعوا من ذلك ولكنهم أصروا على ضرورة رؤيته ، وقـد علا نحيبهم ، فوصل ضجيجهم الى مسمـع الأستاذ فأذن لهم بالدخول وكنت فيهم .

دخلنا فقابلنا بابتسامة لطيفة وقال : أتذكرون درسنا الليلة فى تفسـير قوله تعـالى : « **لهُم دارُ السَّلام ِعند ربّهـم وهو وليُّهُم بما كانوا يعملون** » ؟ فقلنا : نعم والحمد لله على سلامتك ، والله ولينا ووليك ، وانه لنعم المـولى ونعم النصير .

كنا ننظر اليه والدم يضرج جبهته وهم يمسحونه ، وهنا نطق أحد تلاميذه وهو السيد مبروك بن القداري مـن فرجيوة (فـج مزالة) ولاية جيجل الآن فقال : بلغنا ـ يا سيدي ـ انك منعت الناس من ضرب المجرم ؟ فقال : نعـم لأنه لم يكن الذنب ذنبه ، فقال المبروك : والله العظيم لو كنت حاضرا ورأيته لقتلته ، ولما سمعت لنهيك ، فضحك الأستاذ . « وكان هذا التلميذ نفسه من أبناء الزوايا ... »

وسألناه كيف وقعت الحادثة ؟ فأخبرنا أنه اشتبك معه فى الدرج بعـد ما أصابته ضربة الهراوة ، واستطاع ان يحمله ويصعد به الدرج الضيق الى الطريق العام .

ثم قال : أتدرون كيف تغلبت عليه ؟ فقلنا : هى أعجوبة ، قال : الأمـــر هين ! ان الرجل بدوى لا يعرف المشي على الدرج خصوصا الضيق منها ، أما

أنا فاني متعود عليه ، فهذا هو السر كما ترون · لكنه في الحقيقة لم يكن كل السر ، وانما هي عناية الله وحفظه لأوليائه كما نطقت الآية « **وهُوَ وليُّهم** » ·

ثم خرجنا مودعين من طرفه سائلين له الشفاء والعافية ، وأعيننا دامعة ، وقلوبنا دامية · وأذكر انه لم ينم أحد منا في تلك الليلة بل قضينا ليلتنا في الكلام على الحادثة والتعليق عليها ·

(نقلا عن مذكرات حياة) محمد الصالح بن عتيق

من هو الاستاذ ابن عتيق ؟

والاستاذ محمد الصالح بن عتيق ـ راوي الحادثة ـ من ألمع تلاميذ ابن باديس ومدرسته ، وهو من عائلة شهيرة بجبال الميلية الشامخة المخضرة ، نزح منها الى ميلة فحفظ القرآن وتلقى المبادىء الاولى على الشيخ محمد ابن معنصر الميلي ، وعلى الشيخ مبارك رحمهما الله ، ثم التحق بدروس الشيخ ابن باديس فكان أثيرا عنده يصحبه أحيانا ويعتمد عليه في تنفيذ بعض مآربه، ثم انتقل الى تونس حيث أكمل دراسته العليا بتحصيله على شهادة (العالمية) وكانت تدعى (التطويع) عام 1932 م ، ثم انتصب بمدينة الميلية فأسس بها مدرسة وعمت بوجوده الحركة في الجبال ، ثم نقله الأستاذ ابن باديس الى (قلعة بني عباس) القريبة من (برج مجانة) موطن المعتدي،فانتعشت تلك الجهات كلها وطمست كثيرا من آثار الفساد الديني والاجتماعي،ووجد من أبناء القلعة جنودا صادقين وجعل منهم ـ حيثما كانوا ـ خير أعوان على النهضة الاسلامية العربية ·

ولما فتحت أبواب فرنسا للعمال الجزائريين ـ بعد انتصار الواجهة الشعبية وبعد ان كانت مغلقة على مر السنين ، ولما اغترب آلاف منهم طلبا للمعاش تبين لابن باديس واخوانه من العلماء مقدار الخطر الذى يهددهم في دينهم وقوميتهم ، فأرسل اليهم طائفة من خيرة طلابه وأعوانه فأسسوا مدارس ونوادى لهم في باريس ، وليون ، وسانت ايتيان ، وليل ، وغيرها من أهم المدن الصناعية في فرنسا ، وكان على رأس البعثة المرحوم الشيخ فضيل الورتلاني ، ومن أعضائها الشيخ صالح بن عتيق ، والشيخ سعيد صالحي ، والشيخ حمزة بوكوشة ، والشهيد الشيخ محمد الزاهي ، والشيخ الهادي

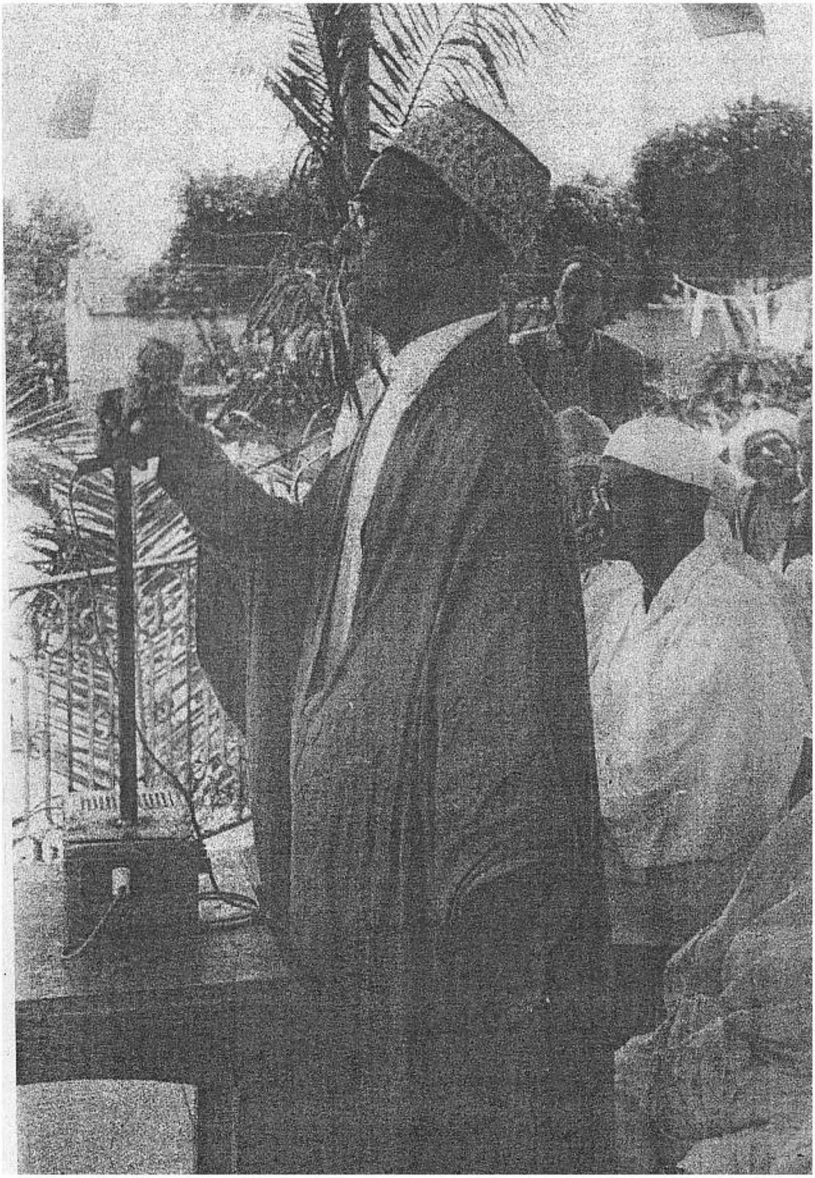

الشيخ محمد الصالح بن عتيق

السنوسي وغيرهم ، فازدهرت الحركة وأدت ثمـارها اليانعة ، ولكن عطلتها الحرب العالمية الثانية ، ثم استؤنفت بعدها بقيادة الشهيد الأستاذ الربيع بوشامـة ، والأستاذ سعيـد البيباني ـ بوتقجيرت ـ والاستاذ عبد الرحمن اليعلاوي رحمهم الله،وأدت خدمات جليلة للثورة داخـل الجزائر وخارجها ، وكان العقيد عمـر عميروش رحمه اللـه من رجالها اذ كان هو رئيس جامعة الشعب التابعة للجمعية ·

رجع الشيخ ابن عتيق الى الوطن واستأنف نشاطه،وروى لنا ان الشيـخ ابن باديس كان ـ بعد اعلان الحرب ـ يتهيأ للثورة،وانه زاره سرا الى الميلية ، وسأله عن مدى استعداد الشعب لها هناك فأجابه : (ان رجالنا رجال بارود) فأمره بالاستعداد والكتمان ، ولكن عاجلته المنية بعد قليل ·

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية استأنف نشاطه عام 1944 م فانتقل بأمر من الرئيس الشيخ البشير الابراهيمي الى مدينة تيارت،فأسس بها مدرسة كبرى وحركة ناشطة،وبقي فيها الى عـام 1950 م،فانتقل الى مدينة سكيكدة فافتتح فيها مدرسة كبرى وعمت حركته كل الشمال ·

ولما تأسس أول فرع ثانوي لمعهد ابن باديس في الوطن ، وذلك بالميلية (معهد خطاب) نقـل لإدارته وبقي يشرف عليه حتى عـام 1954 فانتقل الى (البليدة) وأشرف على الأعمال الإصلاحية والتعليمية هنالك ، وكان على اتصال دقيق بكبار رجال الثورة وجنودها وهم الذين كانوا يعمرون المساجد في دروس الوعظ ، والنشاط أثناء تنفيذ الأعمال ، ومن هؤلاء الذين كانوا يتصلون بـه الثائر البطل والشهيد الكبير سويداني بوجمعة رحمه الله،كما حدثني،وكذلك كثير من الجنود والفدائيين،واستمر الامر كذلك الى يناير 1956 م وأخـذ بعض الغلاة من الفرنسيين يدبرون لاغتياله ، ولكن السلط الفرنسية عاجلت باعتقاله وتوجيهه نحو (البرواقية) · وكان ذلك اثر رحلة (ڤي مولي) الى الجزائر،وتغلب غلاة أعداء الجزائر على أمره وخضوعه لشروطهم ، فاعتقل كثير من العلماء ومن لهم كلمة مسموعة في الاوساط الشعبية ، وكانت للشيخ رحلة طويلة في المعتقلات ابتدأت في البرواقية ومرت بآفلو ، واركو ، وبوسوي ، والدويرة وأخيرا سيد الشحمي أو الشامي بقرب مدينة وهران ، وممن صاحبوه وصادقوه في بعض هذه المعتقلات الشهيد عيسات ايدير مؤسس اتحاد العمال

الجزائريين ومن العلماء المشائخ سعيد صالحي ، ومحمد الشبوكي صاحب نشيد (جزائرنا يا بلاد الجدد ، نهضنا نحطم عنك القيود) وعمر شكيري ، واحمد بن سحنون؛ومن المثقفين الثوريين الدكاترة : بوعياد ، وجناس ، وعروة وابن عربية،والاستاذان : زرطال وزعيبك ، وهؤلاء كلهم كانوا يؤدون واجبهم فى إلقاء الدروس والمواعظ والمحاضرات،ويحولون المعتقلات الى مدارس تهذيبية تثقيفية تحفظ فى المسجونين روحهم الاسلامية الوطنية،وتبث فيهم الثقافة الحقة،وتدفع عنهم الروح الانهزامية الاستنسلامية،وتقاوم تعاليم المستعمرين ومكائدهم لتحطيم روح المقاومة ، وكانت هذه مهمة هؤلاء الوطنيين فى المعتقلات هى نفس المهمة التى قام بها اخوانهم فى السجون كالحراش،والبراوقية، وتازولت ، وقسنطينة ، ووهران ، وهم الذين كانوا يشرفون على تنظيم صفوف المسجونين وإضراباتهم ، وهذا ما يجعلها تنتقل بهم من معتقل الى آخر ، ومن سجن الى مثله ، وما زال الامر هكذا الى انبلج فجر الاستقلال وأشرقت شمسه ٠

واثناء هذه المدة فى المعتقلات ضعف بصر الشيخ ابن عتيق حتى آل الى فقده تماما ، وبعد الاستقلال أجريت له عملية القرنية فارتد بصيرا ، والحمد لله،فاستأنف نشاطه وتولى مناصب دينية وتعليمية ، وقام بمسؤوليات سياسية فى الحزب ذات أهمية ٠

وهو اليوم عضو بالمجلس الاسلامى الأعلى يوالي نشاطه فى القاء الدروس والمواعظ ، وخطب الجمعة ، ويعقد الرحلات الى أقصى الشرق والغرب والجنوب، فيؤدى مهمته على أحسن ما يرام وبفعالية ابن العشرين،مع انه ـ والسر بيننا ؟ ـ تجاوز السبعين ٠

ان الشيخ صالحا خير مثال لطلبة ومدرسة ابن باديس : ايمان قوي ، ودين صحيح ، وخلق متين ، وعلم غزير ، ووطنية صادقة ، وكفاءة نادرة، وعمل دائم مستمر مع تواضع جم ، وانكار للذات ، ووفاء للأصدقاء والإخوان، واخلاص فى العمل ، حفظه الله وأمد فى عمره ٠

الصحافة العربية وحادثة الاعتداء :

كانت ـ وما تزال ـ حوادث العدوان مثار اهتمام الرأي العام،فما بالك ان كان هذا فى رجل ينتسب الى الدين ويعتبر من أفذاذ علماء المسلمين ، ولعل

الله سبحانه قدر أن يكون ما سال من دم ابن باديس سببا فى رفعة شأنه وانتشار دعوته وانتصار حزبه ·

من جملة المهتمين بالحادث الصحف العربية ولم تكن كثيرة بالجزائر وكانت معدومة بالمغرب ، ولكنها كانت فى تونس أوفر وأكثر ·

وقد كتبت الشهاب فى عددها 78 الصادر فى رجب 1345 هـ ، الموافق 6 جانفى 1827 م ، تحت العنوان أعلاه ما نصه :

(قد اتحدت كلمة الصحافة العربية الجزائرية والتونسية على استنكار واستفظاع ما أتاه الجاني العليوي بإيعاز من رجال طريقته وعدوه جانيا على العلم والصحافة والحرية وكلهم لفتوا نظر الحكومة الجزائرية الى ما يجب عليها من تتبع أصول الجناية وإنزال صارم العقاب بكل متسبب فيها وتشديد المراقبة على هاته الطائفة التى تعتمد فى نشر مبادئها الباطلة على القتل وسفك الدماء ·

ونحن نشكر لهؤلاء الرصفاء الكرام قيامهم بواجبهم وإحساسهم نحو الأستاذ المعتدى عليه ، ونرجو ان تقوم الحكومة بواجبها مثل ما قامت الصحافة بواجبها· هذا، وسننشر فى اعداد آتية ملخص أقوال رصفائنا الكرام) اهـ·

وهذه الكلمة نشرت والاستاذ ما زال طريح الفراش لم يعد الى نشاطه، وفى آخرها ما لم يكن ليكتبه بقلمه ، وكيف يرجو من الحكومة ان تقوم بواجبها فى حفظ الأمن ــ وان عنى بها السلطة القضائية وشرطتها ــ والادارة الفرنسية هى الساهرة على بث الفزع والقلق والرعب والفتنة بين المسلمين ! ومع ذلك فيصح كتابة مثل هذا كما اجمعت عليه الصحافة إقامة للحجة عليها وتشريكا لها فى المسؤولية ·

كما ان متابعة نشر خلاصة عن أقوال الصحافة لم يقع الوفاء به،لأن فيه تنويها بالمعتدى عليه،واشهارا مجددا ، ولم ينشر الشهاب الا ما فيه نقاش علمي وثروة ثقافية أو أدبية ، أو ما فيه فائدة فى تسجيل الأحداث والأخبار فى الموضوع ·

حـول حادثـة الفتـك العلويـة :

نتابع فيما يلي ـ من الكتاب ـ ما كتب عن الحادثة ونشرته (الشهـاب) بالأصالة أو بالنقل ؛ ففي باب الأخبار كتبت (الشهاب) في عددها 78 الصادر في رجب 1345 هـ ـ جانفي 1927 م ، تحت العنوان أعلاه ما نصه :

وردت على الادارة كتب عديدة في السؤال عن صحة الأستاذ وسير النازلة أما سير النازلة فان الجاني اعترف بان السبحة والدبوس والموسى له ، وانه أحد العلويين وأنكر جميع ما نسب اليه •

وقد أدى الأشخاص الأربعة الذين كانوا أول من قبض عليه في سقيفـة دار الأستاذ شهادتهم ، وكذلك جار الأستاذ الذي جاءه الجاني واثنان معـه يسألون عن محل سكنى الأستاذ ، ولما واجهه الأستاذ عرفه بشخصه،والبحث لا يـزال جاريـا •

وأما صحة الأستاذ فقد تماثل للشفاء والحمد لله ، وأخبرنا انه سيفتح دروسه يوم السبت أو الأحد القابل ان شاء الله ، اهـ •

ويستفاد من هذا انه رحمه الله لازم الفراش ما يقرب من أربعة أسابيع (14 ديسمبر ـ 9 جانفي) ونحن نعلم ـ بما نعرفه عنه ـ انه لا يكاد يصبر على فراق دروسه والاتصال بتلاميذه حرصا عليهم وعلى إفادتهم ، وهكذا نراه بمجرد أن تماثل للشفاء عزم على استئناف درسه •

البلاغ الجزائري وحادثـة الاعتـداء :

لا شك أن القارىء مشوق الى معرفة موقف العليويين ـ الرسمي ـ مـن حادثة الاعتداء ، وخاصة بعد أن اتجهت أصابع الاتهام اليهم،بل والى شيخهم نفسه،وقامت دلائل تدعم هذا الاتهام •

والجواب أنهم يوم وقوع الاعتداء لم تكن لهم صحيفة رسمية ولكنهم كانوا بصدد الإعداد لها ، وقد أصدروا بعد بضعة أيام فقط جريدتهم الناطقـة باسمهم وعنوانها (البلاغ الجزائري) •

وفي العدد الأول لم تذكر شيئا عنها ، ولكنها في العدد الثاني ذكـرت أشياء ووقعت في تناقضات عجيبة،وتبرأت من الحادثة،وبرأت شيخهم،وروت

على لسانه أسفه وحزنه لما وقع ، ولكنها لم تذكر شيئا عن الجاني ، واستمر هذا موقفها منه حتى بعد صدور الحكم ضده وثبوت إدانته ، وهذا ما لاحظته عليها جريدة الشهاب من بعد وسجلته عليها ·

وقد نشرت الشهاب مقالا باسم (الادارة) تعرف بالبلاغ وتنتقد موقفها وتعجب من اضطرابها،وذلك فى عددها 80 الصادر فى 16 رجب 1345 هـ ، الموافق 20 جانفى 1927 م ، وهذا نصه :

« **البــلاغ الجزائـــري :**

حمل إلينا البريد بهذا الاسم الكبير العدد الأول والثاني معا من صحيفة ذات ورقة واحدة صدرت بالعاصمة بتاريخ 24 ديسمبر 1926 م ، قال عنها أصحابها انها جريدة علمية ، إرشادية ، دفاعية ·

وقالوا : انها تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع ، قرأناها ففهمنا معنى علمية ارشادية ولم نستطع فهم معنى دفاعية لاول مرة ـ لذهاب الذهن فى ذلك مذاهب شتى غير أننا ـ بعد مطالعتنا للعدد الثاني منها ـ أدركنا الغرض الذى من أجله أسست هذه الجريدة وفهمنا جيدا معنى (دفاعية) ·

وأكد لنا ما فهمناه ـ وقد يفهمه كل الناس معنا ـ ان صدور هذه الورقة جاء بعد حادثة السطو على أستاذنا الباديسي بتسعة أيام فقط ! وهى لعمري عجلة يحمد عليها رجال هذه الجريدة ويشكـــرون،وما رجالها إلا العليويون (بالفعل) أو (بالنسبة الصحيحة) والجريدة بأفرادها ـ فى الحالين ـ وجموعها (تكسيرا وسلامة) عليوية لا غير ! !

تصدر الجريدة كما قالوا وتطبع بالمطبعة العليوية ببلـــدة مستغانم،ومما استلفت أنظارنا عند مطالعة العدد الأول منها وجعلنا نتعجب كثيرا من حسن الصدف اذ رأينا كلمات لكتابها فى مدحها وتزكيتها جاءت فى نفس هذا العدد من هؤلاء الكتاب الذين هم مختلفون مسكنا وبلادا ! فلم ندر اطلع القوم عليها فى عالم الغيب قبل بروزها فقرظوها بعد أن راقت لديهم،أم كانوا جميعـــا مع مصدري هذه الجريدة على ميعاد واتصال تام (كما هو شأنهم فى كل أمر هم عليه متفقون)،فكان العدد الأول منها كاملا حتى فيما يلزمه من تقريظ من

يشهد له من أهله ! وكم تكون هذه الشهادة نافعة وصالحة سيما اذا كان الشاهد والمشهود له ولدي بطن واحدة فى يوم واحد !

اما نحن فلا بسعنا الا ان نتقدم بواجب التهانى والتبريك لكل من تهمه مثل هذه الجريدة الدفاعية، ونتمنى لها ان يتحقق معنى اسمها فيها ! ولاناقشها فى شيء من برنامجها الذى ظاهر ألفاظه الرحمة وباطنها عند علام الغيوب ...

وبودنا أن تكون كل دفاعات (طريقة العليويين) من قبيل ما جاء فى جريدتهم لا تتجاوز حد المحاجة بالكلام والقول الى ازعاج من يتفاهم معها (بالعصا والموسى !..) .

نعم أهمنا ـ بادىء بدء ـ موقفنا مع هذه الرصيفة الجديدة أول هجوم تقرر فى خارطتها ـ باسم الدفاع ـ فقد كتبت فى العدد الثانى منها تحت عنوان (الشهاب ...) ما لا نقول فيه وعنه ، الا انه كلام مركب يشبه كلام المحامي الكبير (1) ... وهو ان كانت عليه مسحة من أسرار الغوثانية والقطبانية مقبول من هذه الجريدة ومعول عليه فى الجملة .

قالت في ابتداء هذا الفصل المعنون عليه بهذا العنوان : (كنا اعربنا فى عددنا الفارط عن استيائنا عما لحقنا من الاسف من أجل السطو الواقع على الشيخ عبد الحميد بن باديس وما كان بودنا ان يؤذى مثله » .

ورغما عن دلالة هذه الجمل على المعنى المسوقة له وعما اخطرته ببالنا من قولهم (كاد المريب أن يقول خذونى) راجعنا العدد الاول كلمة كلمة وحرفا حرفا ، فلم نجد به لا تصريحا ولا تلويحا ولا رمزا ولا اشارة (ولو على مذهب الصوفية) شيئا مما قالته ودل عليه منطوق هذه الجمل ومفهومها ، فعلمنا أن هذا الفصل المضحك قد بدىء ـ قبل كل شيء ـ بالكذب الحبريت تضليلا للافكار واحتجاجا بخلاف الواقع ، وأن فى صدور مثل هذا فى جريدة كهذه فى أول هجوم أو دفاع من دفاعاتها لعجيب غريب .

---

(1) يشير بهذا الى كلمة وردت فى مقال للأستاذ ابى يعلى الزواوي ينوه فيها بالشيخ العليوى ويزعم انه خير من يمكن ان يدافع عن الأمة مسموع الكلمة لدى الحكام ، ويمكن ان يقنع حتى رئيس الجمهورية !..

وقالت : (أما ما لحق الاستاذ العليوى من الاستياء ـ وتالله ـ لكان ابلغ ما ينبغى أن يلحق المؤمن على المؤمن ، وما كان قولنا هذا عن مداهنة أو نفاق) هنا تذكرنا قول المثل (صاحبنا يقرئك السلام) وشكرنا الرصيفة المؤمنة ... على شهادتها لاستاذنا عبد الحميد بانه مؤمن ، وقرأنا قولــه عــز وجــل : « ومن يَقتُل مؤمنا متعمِّداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضِبَ اللهُ عليه ولعَنَـه وأعَدَّ له عذابا عظيما » .

وكما شكرنا شيخ هذه الجريدة على ما ابداه أو لحقه من الاستياء الذى تجلت لنا أهميته فى هذا التصريح النفيس ... أما بقية ما اشتمل عليه هذا الفصل المختوم بتوقيع (البلاغ) فكله هجوم على الشهاب ومحاولة لتبرئة طريقة هذه الجريدة وشيخها من تبعة الاعتداء على الاستاذ عبد الحميد بن باديس بجمل وكلم هى من جنس ما تقدم ، وحيثيات وتوجيهات واحتمالات ونظريات يقــدر ان يحتج بها كل مجرم فى تبرئة نفسه ، ولكن الحقيقة التى يتوجه اليها البحث (الحقيقى) غير ما يقوله المجرمون ، وقد كانت آخر حجة اختتمت بها الجريدة فصلها هذا كأول ما افتتحت به من الكذب الصريح (المكرر) حيث قالت :

(وقد كنا نبهناها (أى الشهاب) على انه لحقنا من الأسف من أجل هاته الواقعة بقدر ما لحقها وان أبت الا سلوكها فان لكل وجهة هو موليها) كذا قالت هذه الجريدة ولم تستح ولم تخجل من ذكرها غير الواقع مرتين ، ومن راجع عددها الاول لا يجد به أثرا لهذا التنبيه أو ما لحق المنبه من الاسف !

وكفى فى الحكم على هذه الورقة ـ أن يرى مبصر ويسمع واع ـ كيف ابتدأت واختتمت فصل دفاعها بالكذب المحض وغير الواقع فى كل ما قالوه وما اعتقدوه بازاء هذا العمل الذى اجترحوه ؟ والى الله تصير الأمور .

« الادارة »

صحيفـة الشـورى والاعتـداء :

من الصحف العربية التى اهتمت بالحادث ونشرت عنه الصحيفة العربية الكبرى (الشورى) .

وكانت جريدة العالم العربى بحق يصدرها الكاتب الكبــير ، والصحفي الخطير الأستاذ (محمد علي الطاهر) الفلسطينى فى القاهرة،وقد امتاز بوطنيته

الملتهبة وقلمه السيال ، ولهجته الصريحة ، وأسلوبه الناري ، وقسوته على المستعمرين ، وعلى العملاء والخونة والمنافقين ٠

ولما بلغه نبأ الاعتداء الاثيم كتب عنه في جريدته ، ونقلت جريدة الشهاب ما كتب تحت عنوان (صدى الاعتداء) فى عدد 87 الصادر فى 6 رمضان 1345 هـ ـ الموافق 10 مارس 1927 م ، وهذا نص ما قالت الشهاب :

الجزائر ـ الاعتداء على رجل كبير :

تحت هذا العنوان نشرت رصيفتنا (الشورى) ما يلى :

(اعتدى أحد الأشرار على الأستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس زعيم شبان الجزائر ونهضتها الأدبية ، وقد هجم الشقي الذى اتضح انه من أرباب الطرق المشعوذة على الأستاذ بنبوت كبير وضربه به عدة ضربات فتمكن الاستاذ من القبض على سلاحه والاستغاثة بالناس ثم سيق المجرم الى مركز الشرطة حيث بدىء التحقيق ٠

فنحن نهنىء الأستاذ بالسلامة من شر هذا المجرم ، ونرجو ان تجعله العدالة عبرة لكل من تحدثه نفسه بارتكاب الاعتداء على الناس) ٠

مجلة الفتح والاعتداء :

كما نشرت عنه مجلة (الفتح) التى كانت تصدر بالقاهرة ويشرف عليها المفكر الكبير والكاتب العظيم الاستاذ محب الدين الخطيب ، وكانت حاملة لواء السلفية بالشرق مع اختها مجلة (المنار) لمجتهد العصر العلامة السيد محمد رشيد رضا وقد مهدت للخبر بكتابتها تقريظا لرسالة الاستاذ ابن باديس ونشرت كل ذلك مجلة الشهاب فى عدد 87 بتاريخ 6 رمضان 1345 هـ ـ الموافق 10 مارس 1927 م ، فقالت ما يأتي :

رسالة جواب سؤال عن سوء مقال :

تحت هذا العنوان نشرت رصيفنا مجلة الفتح وهى لسان العلماء الأزهريين ما يلى :

(جاءتنا من المغرب الأوسط (الجزائر) رسالة نافعة ـ ان شاء الله ـ ألفها العلامة السلفي الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس من كبار العلماء

المصلحين فى الديار المغربية ، أجاب فيها على سؤال قدم اليه من أحد الغيورين على صفاء الدين الاسلامي وجلال الدين المحمدي يستفتيه فى حكم أبيات عامية يتغنى بها بعض المنتسبين الى الطرق الصوفية زاعما فيها انه مغرم بحب النبيء صلى الله عليه وسلم ، وانه يطلب اليه عليه السلام الا يهجره والا فانه يحاكمه الى الله تعالى ، وهو معنى سخيف وهذر لا يليق بمقام النبوة ولا يتفق مع دعوى الحب المزعوم ٠

فكتب الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس جوابا على ذلك يتألف من مقدمة فى وجوب الأدب مع النبيء صلى الله عليه وسلم فى كل حال ، وفصل أول فى بيان خروج صاحب الابيات العامية عن دائرة الادب المرعية ، وفصل ثان فى بيان حرمة مخاطبة النبيء صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك الخطاب ، وفصل ثالث فى ان هذا المقال لا يصدر من العارفين ، وفصل رابع فى بطلان ما اعتذر به صاحب الابيات وهو أن « ألسنة المحبين أعجمية » وخاتمة تتضمن نصيحة نافعة ووصية جامعة ٠

وقد كتب كبار علماء المغرب تقاريظ لهذه الرسالة تؤيد ما أجاب به الاستاذ المؤلف الذى ما برح يجاهد فى مقاومة خرافات ألبسها الجاهلون لباس الدين وليست منه حتى أوذي فى هذا السبيل على جلالة قدره ، واعتدى عليه فى الشهر الماضى بعض المنتسبين الى الطرق ممن عجزوا عن الحجة فلجأوا الى وسائل الاجرام. هدى الله المسلمين الى فطرة دينهم الذى لا حياة لهم الا به ٠

*

سطو جديد بالسيد أحمد بوشمال

ـ اعتداء جديد على أصحاب الشهاب ـ

عجز عن القول فاضطر الى الضرب ـ شأن الاوباش

بعد العدوان على الامام عبد الحميد بن باديس باشهر وقع الاعتداء على السيد أحمد بن اسماعيل بوشمال مدير الشهاب وشريك ابن باديس في أعماله، وعضده الأيمن، وأمين سره منذ ابتداء حركته، وخصوصا حركة الصحافة والتعليم .

ولد السيد أحمد بن اسماعيل بوشمال بمدينة قسنطينة عام 1899 م ـ فهو اقل من الإمام ابن باديس بعشرة أعوام ـ ونشأ بها وحفظ القرآن في جامع سيدي ياسمين ـ بين سيدى جليس ورحبة الصوف ـ ولما شرع الأستاذ ابن باديس في القاء دروس العربية والدين كان من تلاميذه الأولين واشتغل ـ في صغره بصناعة الأحذية الأهلية ـ شأن أمثاله من ابناء البلد في تعلم صنعة ، ثم مارس التجارة ولازم دروس الأستاذ الامام .

ولما عزم الشيخ على إنشاء الصحافة الوطنية الصادقة واعداد مطبعة لضمان سيرها المنتظم قدم له بوشمال خدمة جليلة حيث تبرع أن يكون محله التجاري مكانا للمطبعة الاسلامية الجزائرية وهو الكائن اليوم بنهج عبد الحميد بن باديس بحي الاربعين شريفا وكان يدعى من قبل نهج (أليكسيس لامبير) .

وقد حدثني مدير المطبعة الاخ خليل (الزواوي) بن القشي عن السبب في تأسيس المطبعة والصحافة قال : كنت أعمل بمطبعة (النجاح) وبيني وبين اسماعيل مامي رئيس التحرير النجاح صلة قرابة ـ وأتقنت فن الطباعة، وكان الشيخ يكتب في (النجاح) فصولا تحت إمضاء مستعار، وقد يتحاشى

(أسرة المطبعة الجزائرية الاسلامية)
فى الأمام الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس
وخلفه من اليمين الى اليسار السادة :
خليل (الزواوى) بلقشى ــ أحمد بوشمال ــ اسماعيل صحراوى .

الاعلان عن اسمه،ولكن انباء هذه المقالات كانت تصل الى الادارة الاستعمارية فتعرف أسرارها وأحيانا قبل ان تنشر ، فكان الشيخ يتألم ، وذات يوم قلت له : لماذا لا تنشيء لنفسك صحيفة تكون لسان حال حركتك،وتنشيء مطبعة لها ؟ انني أعدك ان أترك عملي بمطبعة (النجـــاح) وأتعـــاون معك • قال : فأجابني انه سيفكر في الأمر ويتخذ قراره بعد الاستخارة ، ثم أعلن قبولـه واختيار الذين يعملون معه ومنهم تلميذه الكبير الشيخ مبارك الميلي رحمه الميلي وتأسست عصبة (المطبعة الاسلامية الجزائرية) أول أمرها من الســـادة : 1 ـ عبد الحميد بن باديس ، 2 ـ أحمد بوشمال ، 3 ـ اسماعيل صحراوي ، 4 ـ عبد الحفيظ صويلح (الجنان) ، 5 ـ خليل (الزواوي) بن القشي ، وهذا الأخير هو مديرها وهو الوحيد الباقي بالحياة ـ أمد الله فيها ـ ولظـــروف مالية قاهرة أنسحب من الجماعة الشيخ عبد الحفيظ الجنان بعد حين لوفاة والده المرحوم الشيخ صالح الجنان معلم القرآن في سيدي فتح الله برحبة الصوف وهو أول من اعطى كتّابه وصغاره للشيخ لالقاء دروسه الدينية العربية ، وكان من تلاميذه الشيخ عبد الحفيظ نفسه • وكان يقوم بالعمل في المطبعة السيد الصحراوي والسيد ابن القشي •

وقد اصدر الشيخ من بعد تأسيس الطباعة جريدته الأولى (المنتقـــد) صدر منها 18 عددا ثم عطلت فاصدر اثرها جريدة (الشهاب) ثم تحولت مجلة وبقيت تصدر من عام 1925 حتى كان آخر عدد برز منها في أوت 1939م وقد حجزته السلطة الفرنسية لأنه نشر مقالا للمرحوم المازني عنوانه (العرب ثمانون مليون ولكنهم لا يريدون أن يخيفوا أحدا) •

وكان هؤلاء النخبة من الشبان أطوع للشيخ عبد الحميد بن باديس من أبنائه وبناته وعلى رأسهم الشهيد أحمد بوشمال ينوب عنه في كل المشاكل التي تعرض له ويقدم نحره دون نحره ، وصدره دون صدره ، فلما أسس الجريدة كان هو المدير ، ولما أسس من بعد (جمعية التربية والتعليم) كان بوشمال رئيس قسم الشبان ، فلما توفي عبد الحميد بن باديس تولى رئاسة الجمعية،وبقي يتحمل هذه المسؤولية حتى أوقفت فرنسا نشاطها عام 1957 قبل استشهاده بسنة واحدة ، وكما كان محل ثقة ابن باديس في حياته كان كذلك من بعده محل الثقة لخليفته الشيخ محمد البشير الابراهيمي واخوانه

الشيخ مبارك الميلي ، والشيخ العربي التبسى ، والشيخ محمد خير الدين ، وغيرهم ، عليه اعتمادهم فى كثير من شؤون الحركة ، والى رأيه مرجعهم فى الاستشارة وفى تأسيس الجمعيات والمدارس بسائر أنحاء القطر ، ولهــذا انتخب عضوا فى المجلس الاداري لجمعية العلماء عام 1946 م ، وقام بتنظيم شؤونها المالية مع الشيخ خير الدين ، ثم مع الشيخ عبد اللطيف سلطاني ، وعندما أسس معهد عبد الحميد بن باديس عام 1947 م ، لعب الدور الأكبر فى تحقيق مشروعه ، ثم فى تأسيس دار الطلبة التى دشنت عام 1953 م ، وكانت ـ من بعد قيام الثورة ـ مقرا من مقرات قيادة أعمالها فى المدينــة ، وقد تحمل مسؤولية المقتصد فى معهد ابن باديس ، وفى أيام الإضراب الذى أعلنته الجبهة فى أواخر يناير 1957 م ، بقى فى دار الطلبة مع التلاميذ للإشراف على (حياتهم) المادية والمعنوية الى نهايته ، وترك عائلته من النساء والعجائز ورضيع عمره بضعة أشهر هو وحيده ·

كما انه سخر المطبعة لخدمة الثورة ، وقد سمعته يحمد الله ويشكره على ان أمد فى حياته حتى رأى مطبعة الشيخ ابن باديس تقوم بخدمة الثــورة الجزائرية المسلمة وتحقق غرضا من أغراض الشيخ ، وبقى يمارس أعمالـه السرية فى خدمة الثورة وخصوصا مع الشهيد صالح بوذراع أحد أساتذة مدرسة التربية ، والشهيد مسعود بوجريو المتعاون معه فى مدرسة سيـدى مبروك ومسؤول الكشافة الاسلامية ، وكلاهما كان على رأس الحركة الفدائية بقسنطينة وضواحيها · ثم اعتقل لأول مرة فى 17 من شهر أوت 1957 م ، فلم ينطق بحرف يفيد العدو ولا شهد عليه أحد بشيء فأطلق سراحه ، ثم اعتقل من جديد فى ربيع عام 1958 م ، وأطلق سراحه ،ثم اعتقل للمرة الأخيرة فى 13 سبتمبر 1958 م ، وكان ذلك آخر العهد به ، وقد بلغنا انه عذب عذابا أليما حتى بلغ به الأمر الى تمني الموت والى دفع الجلادين الى اغتياله ، كـان يحقرهم ويشتم دولتهم أمامهم ويستفزهم ويبصق عليهم مما يدفعهم الى قتله وهذا ما فعلوه ، فانه لم يظهر له اثر منذ اعتقاله ، وكان مصيره كمصير صديقه العلامة الشهيد الشيخ العربي التبسي الرئيس الثاني لجمعية العلماء ومديـر المعهد رحمه الله ، وكمصير الشيخ محمد العدوي المدرس بالمعهد ، وكمصير الشيخ أحمد حوحو الامين العام للمعهد ، كلهم اختطف ، وعذب ، وأعدم ،

وقد قدم المعهد أبطالا للشهادة منهم هؤلاء وكثير غيرهم ، كما قدم أبطالا للفداء وللجندية بلغوا مناصب عظمى فى القيادة وما زال بعضهم بالحياة ، ولا نتبجح بعمل من مات أو بقي بالحياة ، ولكن نذكر هذا من باب ذكر النعمة التى أمر الله بالتحدث بها « **وأما بِنعمةِ ربك فحدّثْ** » وأى نعمة أعظم من أن يؤدى الانسان واجباته فى خدمة دينه وأمته ووطنه ، ويدفع حياته ثمنا لذلك ، ثم يتحقق له ما اراده ·

وهذا المقال عن هذا الاعتداء الجديد نشر بالشهاب 6 رمضان 1345 هـ ـ الموافق 10 مارس 1927 م · فلم يمر سوى نحو 3 أشهر على الاعتداء الاول الذى كان هدفه صاحب الشهاب حتى عقبه الاعتداء الثانى على مديره ·

وقد كتب المقال تحت عنوان (عجز عن القول ···) وهو بقلم الشهيد بوشمال نفسه :

قال رحمه الله : (**عجز عن القول فاضطر الى الضرب شأن الأوباش**) ·

من الافاضل الذين اجتمعت بهم فى بلدة الجلفة الشيخ بن عبد السلام الباش آغة ، فكان منه اعتراض ، ومني دفاع عن خطتنا الدينية فى هدوء · واذا برجل طويل القامة اسمر اللون ، اعتلى المشيب لحيته بوسام العلم (1) ونشان الافتخار جلس يبحلق (2) في بعينيه بدون سلام ! وولج فى الحديث معنا بدون نظام ، ففهمت من لهجته وابعاده شقة الخلاف بيننا ، وان المفاهمة مع الذى لا يرى الحق الا لجانبه ـ عنادا وتكبرا وخصوصا مع شاب ـ عسيرة النــوال ·

---

(1) كانت الادارة الاستعمارية سخية جدا بالأوسمة توزعها على عملائها وتعمر بشاراتها ـ صدورهم ، ومن سخريتها بهم أنها تعطى وسام الشرف لمن لا شرف له ، ووسام العلم لمن لا علم عنده !

ونيشان الافتخار يعطيه باي تونس لكل من زاره من الخارج بترشيح من وزير خارجيته ، وهو المقيم الفرنسى ، الذى بيده كل شيء فيها، وكثيرا من الموسمين يزهون على بني قومهم بهذه الاوسمة ، ويعلقونها على صدورهم ·

(2) كلمة « يبحلق » كلمة قسنطينية معناها ينظر بأعين مفتوحة بدهشة وتثبت وفضول ·

سألنى الباش آغة ما قولكم فى مسألة تجديد العهد (3) ! فقلت ـ تباعدا عن النزاع ـ ان وظيفتي ـ الآن ـ هى تجديد اشتراككم ، واعمدة الشهاب تتشرف بنشر سؤالكم ، وهى رحبة لردود الرادين ·

ثم التفت للموصوف المزين الصدر بالاوسمة ورغبـــت منه تشريفنـــا باسمه (4) فاجابنى بعنف : لا اعطى اســـمى للمتعجرفين · قلت : لمـــاذا متعجرفين ؟

فنطق واحد ـ دخيل أيضا ـ بأبيات معناها أن كل من أتى بفكرة جديدة فهو يدعى زنديق !

فأجبته : لا مذهبا جديدا نريد نشره ، ولا غاية للشبيبة الا اصلاح الامة ، وجمع كلمتها على الصالح العام وإنقاذ هذا النشء من براثن الجهل والجوع والأوســـاخ ·

وأشرت الى ولد واقف امامنا يطلب قوتا ، ومثله كثير اذ لا مؤسسة خيرية بهاته البلدة · · ·

ثم هممت بكتابة وصل السيد الباش آغة وفى ذمته أربعة شهور فقال : هاته الجريدة (انتاعكم) ياخذها · · ·

فاجابه صاحب الدكان الذى نحن جالسون فيه :

امالا · · · على ضلال ؟ ؟

قال : هذا هو مذهبكم ·

ولم يبق لى الا ختم هذا المجلس بهاته الكلمة (5) :

---

(3) المسلم منذ ينطق بالشهادتين يأخذ على نفسه عهدا وميثاقا ألا يعبد إلا الله ولا يشرك به شيئا ، وان يقيم أركان الاسلام ، ويتقي الله في السر والإعلان، ولكن مشائخ الطرق لا يكتفون بهذا حتى ياخذوا على كل (خوني) من إخوانهم عهد الطريق ، ولعل هذا المراد فى السؤال ·

(4) حق له ان يسأله لانه تدخل فى الكلام وشارك فيه ·

(5) يفهم من هذا أن الباش آغة امتنع من دفع ما عليه من دين للشهاب،ويعلن معارضته لخطته ليبرر شحه وأكله أموال الناس بالباطل ، وموقفه هذا هو الذى شجع رفيقه على الاعتداء بالضرب ·

لا مذهب لنا جديدا ، وخلاف المذاهب رحمة للمسلمين فى الفروع ، ولم يجلب على الامة ما جلبه عليها الا هذا الافتراق الطرقى الذى نحن بصدد ازالته ، وولجنا لاجله هذا الطريق الصعب وقلنا الحق الذى أغضب كثيرا من النـــاس

أفلا يكون المسلم مسلما الا اذا جدد العهد وصار تابعا أو خادما لاحد الاشيـــاخ ؟

ايه ! انا نرى ونسمع ـ وقد رأينا وسمعنا ـ أعمال وأقوال الذين جددوا هذا العهد ... !

فما سمع هذا الكلام ـ المخلوق الذى ستعرفه حتى قام ووجه الى ضربتين لولا تباعدي منهما لوقعتا عليّ ، وأخذ يقول : لا تستحي ، تسب الأولياء وتقول هذا الكلام أمام الباش آغة (6) ، وشرع فى سرد ألفاظ السب والبذاءة فى ملإٍ من الناس مجتمعين أمام الدكان .

خلته فى تلك الساعة ـ مع هيئته وساماته ـ من أخس الاوباش (7) الذين لم يعرفوا للتربية معنى ، ولا للآداب اسما .

وتعوذت بالله من الحمق والتكبر والطغيان والافتراء وتلطيخ اعـــراض الابرياء لتضليل البسطاء ليبقوا عبيدا أشقياء .

لم يكفه ذلك ، بل احب ان يغرى بى الحاضرين بقوله :

« لو أحببت لسلطت عليك عشرة من هؤلاء ليفتكوا بك » يعني دونكم ، فيه ـ ولكنهم كانوا أعقل منه ، فوقفوا بينى وبينه ، فانصرفت.وانا أقول : لا أحب ان أكون مجنونا مثلك فآسانى أحدهم بقوله : هذا هو صاحبكم الذى قلتم له : « حشلف ياحشلاف » .

---

(6) يقول هذا لارضاء سيده الباشاغة حتى ترضى عنه فرنسا !
(7) الأوباش جمع الوبش ، وهم سفلة الناس واخلاطهم .

عجبت من قوله وأخذتني الريبة حيث كنت أظـــن ان هذا المخلـــوق صبايحي (8) قديم ، أو دائرة (9) متقاعد مغرور فاذا هو قاضي يحكم بـــين الناس ، ويصلح بين المتخاصمين ··· ! ومؤلف أيضا ·· !

ما الحامل له على هذا الجرم ؟ لقد ألقى بنفسه في صف الجناة الأوباش !

قال صاحبي : لا غرابة ، وقص علي من حديث (القلاقليـــة) ما ازال عجبي واستسمح قرائي في عدم ذكره ·

وقد بلغني ان السيد الباش آغة انبه على فعلته المخالفة للآداب وازرائه بوظيفتـه (10) ·

احمـــد بوشمـــال

اثـــر الحادثـــة وسببـــه :

تركت هذه الحادثة اثرا اليما في احساس الشيخ عبد الحميد لما اصاب مدير مجلته ولكون المعتدى يحتل منصبا دينيا خطيرا في مجتمع المسلمـــين ولهذا علق عليها بقوله :

(الشهاب) يسوئنا ـ والله ـ ان يكون في هيئة القضاء المحترمة مـــن تنحط تربيته الى هذا المقدار ، وان كنا نعلم شذوذ هذا الرجل فيها بهـــذه

---

(8) كان في الجيش الفرنسي فرقة (الصبايحية) أو (السبابيس) يمتازون بضخامة الاجسام ، ويركبون الخيول ـ فهم فرقة من الخيالة · ولا شك ان اسمهم من غارات الصباح ، لانهم يصبحون العدو · هذه الفرقة تتكون من المتطوعين في الجيش الفرنسي ويكثر هذا النوع في ناحية الجلفة وفي ناحيـة عين البيضاء وفي الجريد التونسي لان القوم في هذه الجهات كلها فرسان ·

(9) دائرة يطلق على اعوان الحكام في البلديات الممتزجة ينفذون تعليمات المتصرف وأصل الكلمة أن قبيلتين من قبائل وهران كانوا تعاونوا مع الفرنسيين وتجندوا لخدمتهم وهما الزمالة والدوائر · وكانت لهم سمعة سيئة جدا ، وفي الامثال العامية : (صاحب الكلب وما تصاحب الدايرة · وخذ بنت عمك ولو كان حايرة) ·

(10) لابد من مثل هذه الكلمة لفصل الباشاغا عن مسؤولية الاعتداء ، حتى لا ينضم الى المعتدي ويقف الى جانبه ويقدم تقريره « الرسمي » فتسوء العاقبة أكثـــر ·

الاخلاق ، وما كنا لنشرفه بالمقالة والملامة كالاحرار ، وهو من أهل الضرب والعصا ... لولا انه رجل دفعته غيرته المرابطية .. وهمته الطرقية فدخل ميدان الكتابة والتأليف أيضا ... فتمسك به أولئك الغرقى الذين يتمسكون حتى بخيوط الخيال ، وتبجحت به تلك الفئة التى ترى فخرها وانتصارها فى كل كويتب ونويظم يضرب على نظمتها ويكثر سوادها ، فرفعت أصواتها منوهة به وبكتاباته الخرافية التى وجدت فيها الضالة التى كانت تنشدها ، حتى رجا صاحب الضالة (هداه الله) ان تحى طريقة الجنيد السالك بخرافات حشلاف ...

فوجب علينا بعد هذا كله ان نذكر هذه الواقعة ليعلم من ينظر الامور بعقل وانصاف مقدار من تنتصر به تلك الفئة ومقدار تحري كاتبها فى مقالاته وان القوم يلتجؤون لأيديهم عندما تقطع السنتهم من جانبهم العليوي الى قاضيهم حشلاف .

الى الأمام :

كل هذه الآلام ، والمحن الجسام ، لم تثن عزم ابن باديس وصحبه الكرام ولم تزدهم الا اندفاعا الى الأمام .

فبعد أشهر قليلة كملت لهم السنة الثانية فى ميدان إعلان الدعوة بالصحافة الوطنية ، ودخلوا فى السنة الثالثة بالعدد الـ : 100 من الشهاب ، وفى صدره بشرى بالعيد السعيد ـ عيد النحر ـ وتقديم « خالص التهنئة والتبريك لأبناء الاسلام عموما ولقرائه وأنصاره وحزب الاصلاح الدينى فى شمال افريقيا خصوصا ... داعيا الله تعالى أن يعيده على الجميع بالهناء والسعادة والمجد والسيادة » هذا ما جاء فى التهنئة .

وقد جعل افتتاحيته فى الحديث عن ختام السنة الثانية من عمر الشهاب واستقبال السنة الثالثة منوها بالماضى وما كان من أحداثه ، متطلعا نحو المستقبل فى ثقة وثبات . وهذا نص ما قال :

« الشهاب » بعد عامين

الى الخطوة الثالثة !

مضت على الشهاب سنته الثانية ، وكانت سنة ابتلى فيها أصحابه وزلزلوا زلزالا شديدا .

أصيبوا فى أبدانهم ، وفى أموالهم ، وفى أعراضهم · فما ضعفوا وما استكانوا وصبروا صبرا جميلا ·

تنمر لهم قوم لدعوتهم السياسية ـ وما هى الا وجوب تسوية الجزائريين بسائر « أبناء » فرنسا فى الحقوق كما سووا بهم فى الواجبات ـ فرموهم بالفكرة الشرقية بالتعصب للجامعة الاسلامية ، وبالعلاقات الاجنبية ـ رميا ليس معه ما يشبه البرهان ، ولقد كادوا ان ينالوهم بسوء لولا سعي صادق تؤيده الحجة ويحوطه الاخلاص من جهة « الشهاب » وعقول كبيرة تهديها الحكمة ويقودها الانصاف من جهة من بأيديهم أزمة الامور هنا وهنالك ·

وتنكر لهم قوم لدعوتهم الدينية ، وما هى الا لزوم الرجوع الى الكتاب والسنة بالاهتداء بهما فى جميع الاعمال ، والتحاكم اليهما عند كل نزاع ـ فرموهم بالافك ، وحاولوا ـ لو استطاعوا ـ بهم الفتك ، وخرجوا معهم عن دائرة العلم التى تضيق عن غير أهله الى دائرة أخرى تسع كل قوال ···

ولو كانوا فى جموعهم الكثيفة ، وأموالهم الكثيرة ومنزلتهم عند العامة منذ قرون ـ على شيء من الحق لقضوا على هاته الجماعة فى أمد قريب ـ لكن الله ـ وله الحمد ـ يحق الحق ويبطل الباطل ، ويدافع عن الذين ، آمنوا وينصر من نصره ، ان الله قوى عزيز · فذهب افك الافاكين هراء فى الهواء ، وآب جميع الفتاكين بالخيبة والعناء ، وثبت الشهاب نجما ساطعا يزيد قراؤه ومشتركوه ولا ينقصون ·

صحيفة أسستها فئة قليلة ، بمالية ضئيلة لتخدم مبدأين عظيمين وتثبت أمام القوة والمال والكثرة ، فقضت عامين من حياتها ، ماضية على خطتها ، غير خاضعة ولا متملقة ولا مستعينة بزيارات ولا هدايا ··· ولا اكتتاب ، ولا إعانات ··. هذه ـ والكلمة (بشهادة الله) للحقيقة والتاريخ ـ هى صحيفة (الشهاب) ·

واذا كان لذلك من سبب فهو صدق الدعوة واحقيتها والاخلاص فيها والثقة بالله ، ثم بأهل الفطر السليمة ، والافكار المستنيرة فى تأييدها · واذا كان لذلك من فضل فهو لكتاب هذه الصحيفة بتونس والجزائر ، والمغرب الاقصى ، والازهر الشريف ، ولانصارها بهاته الاقطار ·

واليوم ـ ان شاء الله تعالى بتلك الدعوة الحقة الصادقة ، وبذلك الاخلاص التام ، وبتلك الثقة الكاملة ، يدخل الشهاب سنته الثالثة ، راجيا للامة الجزائرية كلها فى وجهتها السياسية ان تنال جميع حقوقها حتى تكون عضوا حيا عاملا فى الجسد الفرنسوى العظيم ، وفى وجهتها الدينية ان تفقه دينها بفقه الكتاب والسنة ، وان تهتدى بهما اهتداء سلف الامة لا غلو ولا تقصير ، وان تسلك الى ذلك طريق التفاهم بأدب وتعقل ، والتناصح بحب وشفقة واخلاص » ٠

الادارة

حركاتنا ذاتية :

كذلك كانت اتهامات أعداء النهضة القومية آنذاك سواء من الجانب الاستعماري وعملائه وسدنته ، أو من الجانب الخرافي المستغل للغفلة والجمود ٠ فكل من يتحرك يتهم بان حركته ليست ذاتية وانما هو (عميل) للجامعة الاسلامية ، أو الدول الشرقية ـ وكانت الوهابية هى التي خرجت منتصرة فى العشرينات ، فلما هاجمت الصحف المغربية الفرنسية اللسان (الشهاب) و (البرق) زعمت انهما تعملان بايعاز من (السعودية) ثم تحولت النهضة من الشرق الاسلامي الى الشرق الاوروبى ، فكان من التهم العمل للشيوعية ٠

واتضح لكل الناس ان (تحرك) الجزائريين (ذاتى) وانهم كسائر الشعوب يعملون للنهوض والتخلص من العبودية الاستعمارية ، الا بالنسبة للفرنسيين فانهم ـ حتى آخر لحظات حرب التحرير ـ كانوا يتهمون المحاربين بـ : (العمالة) لغيرهم ٠

لقد أشار الشهاب الى ما أصاب جماعته في أبدانهم ، وأموالهم وأعراضهم ، فاما فى أبدانهم فقد سالت دماؤهم ـ بالفعل ـ وكاد يقضى على زعيمهم ٠ وروعوا ترويعا يكفى ان يصد غيرهم عن متابعة الطريق ٠ وأصيبوا فى أموالهم بالنفقات الباهضة ـ لمثل من كان فى وضعيتهم ـ على مشاريعهم، وكانت المداخيل لا تغطى النفقات ، وليس لهم موارد أخرى ٠ وحتى بعد انتصار الفكرة ونجاحها في الثلاثينات كان الشيخ عبد الحميد يتناول مرتبا

أسبوعيا من المطبعة والشهاب ـ مائة فرنك فقط ـ وحتى بعد موته رحمه الله بقي هذا المرتب يخرج من الميزانية ويدفع كصدقة عنه ، هذه حقيقة ربما تذكر لأول مرة ·

وأما ما أصابهم في اعراضهم فقد كانت جرائد خصومهم مليئة بسوء القول وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، واشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ، كانت البلاغ الجزائري ثم المعيار وغيرهما تتولى كبر ذلك وتروجه ·

و (الشهاب) ـ وكتابها ـ تتصامم عنه ولا تبيح ان تنشر مثله · فلما بلغ السيل الزبى أسس بعض كتاب الاصلاح جريدة (سفيهة) مثل جريدة (المعيار) فكالوا لها بصاعها وخاطبوها بلهجتها ، وجروا معها في ميدانها فظفروا بها وانتصروا عليها ، واحرقت (الجحيم) المعيار وأصحابه « **ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل** » ·

ومن عجيب الامر أن ما روجته (المعيار) و (البلاغ) واصحابهما في الوسط وراج في ألسنة السفهاء ، حتى وقع فيه بعض ذوي الغفلات ، ورمزوا اليه في (المؤلفات) ··· وآذوا به الأحياء والأموات ، ولو التفتوا حولهم لكان في (وضعيتهم) عبرة رادعة لهم عن مثله ، ولو اتقوا الله وتأدبوا بآداب الاسلام الحقة لكان لهم غنى عن الاشارة اليه ولو رمزا ، حفظا لكرامة صديق عزيز يدعون الوفاء له ، قال تعالى يؤدب المؤمنين ويعلمهم :

« **لولاَ إذ سَمِعتمُوه ظَنَّ المؤمنُونَ والمؤمناتُ بأنفُسهم خيراً وقالُوا هَذا إفكٌ مبينٌ لولا جاءُوا عليه بأَربعةِ شُهَداءَ فإذْ لَمْ يأتوا بالشهداءِ فاولئِكَ عندَ الله هم الكاذبون** »

ونحب أن نلفت نظر النبهاء ان المقال صدر في ظروف عسيرة كشف عن بعضها، وقد ورد فيه تعبيرات تقتضيها تلك الظروف الحرجة ، وهي تدفع شرا وتلقم الدساسين حجرا ، ولا تلحق بالمبدإ ضرا ·

منها قول الشهاب (تسوية الجزائريين بسائر أبناء فرنسا) · فليس في ذلك اعتراف بان الجزائريين من (أبناء) فرنسا بدليل أنهم غير (أبناء) فرنسا ولكن ولما كلفوا بالقيام بجميع الواجبات فانهم استحقوا جميع الحقوق ، وهذا

منطق قانوني لا يدفع ، ودفعه من خصومهم يكذب (دعوى) هى قائمة منهم باصرار ، ويثير حفيظة (المظلومين) ، ويهيجهم ، ويبعثهم على الحركة والمقاومة. وفى مقال آخر وضح الشهاب غرضه بأبين من هذا منشدا عليه قول الشاعر العربي القديم يعلن رفضه للضيم :

واذا تكـون كريهـة أدعى لهـا   واذا يحاس الحيس يدعى جندب

فالنتيجة التى كان ابن باديس يسعى اليها ـ بمثل هذا ـ هى ان يثـور الشعب على هذا الوضع الفاسد لدفع الضيم ويعلن بلسان حاله وفعله ومقاله ما أعلنه نفس هذا الشاعر فى قصيدته تلك :

هذا ـ وجدكم ـ الصغار بعينـه   لا أم لي ان كــان ذاك ولا أب

وهذا ما كان بالفعل ابتداء من عام 1945 م ، غداة انتهاء الحرب العالميـة الثانية ، واستمر حتى عام 1962 م ، فقضى الأمر،وتم النصر،والحمد لله ٠

وكذلك القول فى عبارة (لتكون عضوا حيا فى الجسد الفرنسى !) فما كان الشهاب وأصحابه يسلمون بأن الجزائر عضو فى هذا الجسد ، وقد أعلن لما حان الوقت بان (الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد أن تكون فرنسا،ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت) ٠ وليس هذا قول صحفي فقط فى مقال ، ولكن هذا ما أكده ابن باديس أمام لجنة رسمية برلمانية جاءت للبحث والتقصى عن الحالة فى الجزائر، فأبرز أحد اعضائها عددا من مجلة الشهاب وسأل ابن باديس بما فحواه ـ وهو يريد توريطه ، وإقامة الدليل على انفصاليته ٠

هل تقولون وتعتقدون أنه يوجد فى الجزائر شعبـان اثنان مختلفـان جزائـري وفرنسي ؟

فأجاب نعم ، هو الواقع ، هذا مبدأ جريدتي ٠ وقد أيده فى قوله هذا بقية أعضاء العلماء فى حضرة الوفد ٠

وكان الغرض من السؤال إثبات تهمة (الانفصالية) المتهم بها ! فهـذه الكلمات الموهمة التى وردت فى هذه الافتتاحية جاءت فى مقال كتب عام 1927م فى ظروف أعرب عنها المقال نفسه ، فلابد منها لإحباط مكائد من اشار اليهم وأشتكى من دسائسهم ؟

ما مع مثلك يتكلم يا جـودي ... !

لم يكتف حشلاف باستعمال يده ولسانه في الاعتداء على السيد أحمـــد بوشمال مدير الشهاب ، ولكن رفع قلمه وراسل جريدة النجاح لسان حال القياد والباشغوات والقضاة ! يزيف الحقائق ، ويتمادى في الشتم ، فكتبت ادارة الشهاب كلمة في عددها 88 الصادر يوم الخميس 14 رمضان 1345 هـ، الموافق 17 مارس 1927 م ، تحت العنوان أعلاه تقول :

(نشر الشهاب (الحادثة الحشلافية) كما وقعت بالصدق والصراحة المعروفين فيه فنشر (النجاح) مقالا من الجزائر تحت عنوان (تزييف دعوى) بامضاء هذا المذكور · خرج فيها من التزييف الى السب والقذع والافتراء مما تتنزه الأقلام عن رقمه ، والصحف الراقية عن نشره · تاخر العدد الماضي من الشهاب فما وصل الجزائر الا عشية الجمعة ، وقد علمنا بوجود المقال في إدارة جريدته يوم السبت فهل أتى في طيارة خاصة،أم هيء مـن قبـــل،أم خلـق بنهـج القصبـة (1) ؟

---

(1) القصبة مكان بقسنطينة فيه كانت مطبعة وإدارة (النجاح) واذا كانت مجلة الشهاب ـ التى بها ذكر خبر الحادثة ـ وصلت الى الجزائر مساء يـــوم الجمعة فلا يمكن ان يصل الرد عليه الى قسنطينة ـ بعد قراءته في الجزائر ـ يوم السبت الا اذا حمل في طائرة خاصة ، وكان البريد لا يحمل في الطائرة لقلة استعمالها · فلابد اذا ـ ـ اذا ـ صحت نسبته الى كاتبه الحشلافي ان يكون هيء من قبل ، أو يكون قد هيء بجريدة النجاح نفسها في نهج القصبة بقسنطينة · وهو أقرب ، وكان مامي اسماعيل ومحرروه مستعدين للكتابة ضد أنفسهم اذا قبضوا الثمن ، وبهذا صارحني اسماعيل ذات يوم لما لمته على نشر مقال ضدي وليس بيني وبينه سوء فقال : « عفا الله عنه » الفلـوس ! هات مائة فرنك وأكتب الرد علي وفي هجوي ما شئت أنشره لك ! قلت أتفعل هذا ؟ قال : أي والله !

اما ما لا شك فيه فهو دخول أصبع الادارة بالتحليل والتتميم الـذى لا يخفى على من يفرق بين أساليب الكتابة ولهجات الكلام ، فهنيئا بهذا الكاتب البذيء الجديد فلتوسع أعمدتها لسبه وقذعه وما وعد أو توعد بنشره عن زعماء حزب الاصلاح الدينى ورجاله (جماعة الملاحدة أعداء الملة والدين وخصوم أولياء الله الصالحين) (2) كما يقول المذكرون ٠

ولتتحمل باكتافها العريضة مسؤولية ذلك أمام الشرع والقانون والادب العام كما تحملت مسؤولية ما زفر به كاتب من كتابها فى شان تونس الخضراء مستهزئا فقال :

خدعوها بقولهم حسنـاء — وهى خلو من الجمال بلراء (3)

هذا ومديرها (4) حسنة من حسنات تونس وعلمائها ، وجنابه لا ينكر ذاك ٠ وما عندنا شيء من بضاعة القذف والسفه فنكيل منها لهذا المذكـور

---

(2) هذا ما كان يتهم به الخرافيون حزب الاصلاح ٠ فاذا انكروا ان (الاولياء) يتصرفون فى الكون وينفعون ويضرون ، ويعطون ويمنعون قيل لهم : انكـم تنكرون الاولياء وينشدون عليهم قول الجوهرة :

وأثبتـن للأوليـا الكرامـة ومـن نفاهـا فانبـذن كلامـه !

(3) صدر البيت لشوقي رحمه الله يقول :

خـدعوها بقولهـم حسنـاء والغـواني يغـرهن الثنـاء

ويقول بعده :

أتـراهـا تنـاسـت اسـمي لمـا كثـرت فى غـرامهـا الأسمـاء

وأما الكاتب المستهزىء بتونس فاظنه الكاتب الشاعر القسنطينى محمد الصالح خبشاش وكان محررا بإدارة النجاح ومترجما لها الأخبار وأديبا كاتبا شاعرا ، ولكنه ابتلى بالكحول فاضطر الى ان يسخر قلمه فيما لا يؤمن بـه ، ولم يكفه النجاح حتى نشر مقالات فى جريدة (النهضة) بتونس ، وكان لها مشرب النجاح، وقد كتب عنها ذات يوم كاتب جزائرى ــ عبابسة فى صحيفته مقالا تحت عنوان : مسيلمـة وسجـاح أو النهضـة والنجـاح

(4) ومدير النجاح هو الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي من مشائخ زاويـة طولقة وهو عالم متخرج من الزيتونة تولى الافتاء ، وكان يجالس الشيـخ عبد الحميد بن باديس ولا يؤمن بالخرافات ولكنه كان ــ فى النجاح ــ مغلوبا على أمره لان الادارة الفرنسية سخرته ووجدت فى اسماعيل مامي طلبتها ٠

وأمثاله بصاعهم فاننا ـ علم الله ـ فقراء من هذه المزية ٠٠ أو الرزية ٠٠ من حيث كانوا منها أغنياء فلتخب ادارتهم وكتابها واذنابها ومن دارت بهم ٠٠ وداروا بها ٠٠ فى هذا الميدان ـ ان شاءت ـ وتضع ، فليس عندنا لمن هانت عليه نفسه واستطابت هذا المرتع الا قولة الشاعر لاخى ابى مسمع ٠٠٠

ادارة الشهاب ـ بلسان حزب الاصلاح الدينى

تكرر الاعتداء على أصحاب الشهاب

وسوء سلوك أصحاب (النجاح) و (البلاغ الجزائرى)

هذا أبو يعلى الزواوى ينحي بالملائمة على جريدتين هجيراهما آنذاك الجهر بالسوء من القول ، ومحاربة حركة النهضة القومية ، والاصلاح الديني بالجزائر، وفى التعريف بهما نقول :

أما جريدة (النجاح) فانها من أوائل الجرائد العربية بروزا إثر الحرب العالمية الاولى · أسست عام 1337 هـ (1919 م) بمدينة قسنطينة،وكانت أول أمرها مشروعا وطنيا يشمل مطبعة عربية ، ومكتبة وجريدة عربيتين · والمؤسس هو السيد عبد الحفيظ بن الهاشمى من آل زاوية (سيدي علي ابن عمر) بطولقة ، الرحمانية وقد ولد عام 1310 هـ ، وبعد حفظه القرآن هاجر الى تونس ثم رجع بشهادة التطويع (العالمية) · ولما أسس جريدته أسند رئاسة تحريرها الى السيد إسماعيل مامي ـ ويعرف أيضا بابن عبدي ـ من عائلة شهيرة بمدينة قسنطينة . وكانت النجاح أول أمرها مؤسسة وطنية استبشر بها العلماء والأدباء والمفكرون وشاركوا فى تحريرها وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، كان يكتب فيها باسمه الصريح أو بامضاء مستعار « العبسي» اقتباسا من اسمه ولقبه ، أو انتحالا للقب عنترة الذى كان من الشعراء الاثيرين عنده ، وقد أقرأنا معلقته وختمها لنا شرحا وتحليلا عام 1933 ـ 1934· ، وكتب فى (النجاح) أيضا الشيخ العربي التبسي،والاديب محمد النجار الحركاتى، والشيخ أبو يعلى الزواوي وغيرهم،وازدهرت حركتها حتى اصبحت أول يومية عربية جزائرية · ولكن الادارة الفرنسية لا تستطيع أن تبقي مثل هذا المشروع مستقلا ، وما كان لأصحابه من قوة الإيمان والصبر

والاحتمال ما يقدرون به على الثبات والتضحية فسقطوا فى حبائلها وقبلوا ان يتعاونوا معها وأن ينالوا حظهم من «الصندوق الأسود»فىمقابلة مقاومةالحركة الوطنية ، ومهاجمتها ، ومن ذلك أن الشيخ ابن باديس الذى كان ياتمنهم على سره فى مقالاته أصبح معلوما عند الادارة الاستعمارية،معروفة ميوله ومقاصده، وهذا من أسباب استقلاله عنهم وتأسيسه المطبعة الاسلامية . وانفصال السيد ابن القشي عن النجاح وانضمامه الى مشروع ابن باديس كمدير للمطبعة ·

وهكذا تنكرت (النجاح) للشعب فتنكر لها،فسقطت قيمتها ، وعجزت على الاستمرار فى (يوميتها)،وأصبحت تصدر ثلاث مرات فى الاسبوع ، وبقيت كذلك الى اختفائها نهائيا عام 1957 م ، وكانت تعيش على ما تقبضه من إعانة (الصندوق الأسود) واشتراكات (القياد) والبشغاوات،والقضاة ، والائمة الرسميين ، ورؤساء الزوايا، والطرقيين،داخل الوطـــن وخارجه ، واندفعت أشواطا بعيدة فى نهجها الجديد حتى قالت عن المصلحين وكتّاب الشهاب انهم (الملاحدة أعداء الملة والدين وخصوم أولياء الله الصالحين) (1) وما فتئت تشتم الأقوام وتسب الأفراد وتتهكم عليهم وتزدرى بهم ··· (2) ولم تقف عند هذا الحد بل تجاوزته الى التفرقة بين أمتين شقيقتين تونس والجـزائـر (3) ·

ولم تكن نصرتها للزوايا والخرافات والمشائخ إيمانا بهم ، واحتراما لهم، ولكنها قاومت بذلك بوادر النهضة الوطنية ، والاصلاح الديني إرضاء للإدارة الاستعمارية وخضوعا للتعليمات (العليا) · وبلغت فى تورطها الى حد الاسفاف وسدرت فى غوايتها الى النهاية · ولم يمنعها من ذلك خلق الحياء ، ولا الروابط التى كانت لبعض أصحابها مع المصلحين ، فقد كانت زوجة اسماعيل مامي باديسية وهو نفسه كان تلميذا للشيخ ابن باديس ، وعليه تعلم إنشاء المقالة، وكانت له قرابة مع السيد ابن القشى ، كما كان الشيخ عبد الحفيظ تجمعه

---

(1) نقلا عن مقال للكاتب التونسي الشهير مصطفى بن شعبان ـ الشهـــاب عدد 92 ·
(2) المصدر المذكور ·
(3) المصدر المذكور ، وهذا من عمل أو وحي الادارة الاستعمارية ·

المعرفة العلمية والنسب الأدبى والمجد العائلى بالشيخ ابن باديس،وقديما قال أبو الطيب رحمه الله :

وبيننا ــ لو رعيتم ذاك ــ معرفــة ان المعارف فى أهـــل النهى ذمـــم

وقد قال الشيخ ابن باديس رحمه الله فى صاحب النجاح وخطة جريدته ودوافعها ما نصه : « لصاحب النجاح » المحترم حظه من العلم والفضل ، وجميل الاخلاق ، ولطيف المعاشرة ، وكرم الاصل ، ومن حقه ان نذكر له هـــذا ، وما كنا لنبخس أحدا حقا،ولكن لم تكن صحيفته ــ مع الأسف الشديـــد ــ متجلى لهذه الصفات ، وعلة ذلك ــ ولا نقول هذا وحدنا ــ استسلامه لأناس لا يساوونه فى المنزلة ، ولا يشاركونه فى المسؤولية ، **وضعفه امام رغبات... ومـؤثـرات .**

ونحن ــ كجزائريين ــ نود لكل مشروع جزائري كـــل تقـــدم ورقي ، وخصوصا للمشاريع الصحافية التى هى مقياس درجة رقي الأمة وانحطاطها، ونود لصحيفة النجاح ــ أقدم صحفنا اليوم ــ كل فوز يثمره العمل الشريف وكل نجاح تثمره الاستقامة .

اما محاولة الانتشار بتأييد خرافات الطرقيين وضلالاتهم الـتى اجمـــع المفكرون فى مشارق الارض ومغاربها من المسلمين وغيرهم على أثرها السيء الفتاك فى جسم الاسلام،وأخذ المصلحون فى كل قطر فى معالجة دائها، فمما يمقته كل ذي عقل أو دين ، لا سيما اذا كان ينشر الباطل والقذف بالزور والتعرض لشخصيات الناس»اهـ(4). ولم تتعظ (النجاح) بمثل هذا ولا تاثرت بل اشتد كلبها على الاصلاح بعد ان تاسست جمعية العلماء وانتشرت حركتها وبعد ان اشتد ساعد الحركة الوطنية ولما صدرت (الكلمة الصريحة) التى قالها ابن باديس ونشرت فى الشهاب : (ان الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد ان تكون فرنسا،ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو أرادت) هاجمته النجاح

---

(4) نشر هذا المقال كتعليق من الشهاب على كلمة الكاتب التونسى السيـــد مصطفى شعبان فى عدد الشهاب 92 الصادر فى 12 شـوال 1345 هـ ــ 14 أبريل 1927 .

وتهكمت عليه والقت اسئلة تطلب جوابها منه ، منها متى كانت فى الجزائر أمة ؟ ومتى كانت لها لغة ؟ ومتى كانت لها دولة ؟ وما هى حدود هذه الدولة ؟ وأمضى المقال اسماعيل مامي، وتفطن لذلك الشيخ ابن باديس فقال ما فحواه : (لقد وجهت الينا اسئلة كتبها رجل كبير وأمضاها رجل صغير) والرجل الكبير هو المستشرق الفرنسي (ميو) الذى كان يتولى ادارة الشؤون الأهلية فهو الذى بلسان فرنسا ينكر وجود (الأمة الجزائرية) ولغتها ودولتها وحدودها فى الحاضر والماضى ٠٠٠ والمستقبل ! وهذا مبلغ الغرور !

وبلغ الغرور بالسيد مامي ــ عفا الله عنه ــ أن صار يسخر أحيانا بالشيخ ابن باديس ويخترع على لسانه محاورات ، فبلغ السيل الزبا ، واشتد غيظ الشهيد أحمد بوشمال ولم يملك نفسه ذات يوم ــ 1938 م ــ ان ارتمى عليه فى نهج تجاري مزدحم وأعطاه (طريحة) حوكم من اجلها وحكم عليه بأربعمائة فرنك ، وكانت كافية لكفه النهائي عن التعرض لشخصية الشيخ ابن باديس بسوء حتى مات رحمه الله ٠

ومما يجب ان نسجله بإنصاف أن آخرة اسماعيل مامي كانت خيرا له من أوله، فقد كف فى الاربعينات عن كثير مما كان يصنعه ، ومما نذكره له انه شارك فى احتفال الأمة بافتتاح دار الطلبة التابعة لمعهد ابن باديس واستضاف ــ فى داره ــ نحو ثلاثين من الضيوف أكلا وشربا واقامة ، وحدثنا الشيخ صالح ابن عتيق أنه ــ فى سره ــ كان يحب الشيخ ابن باديس ويأتيه بأسرار الادارة الفرنسية ويطلعه على بعض ما يدبر من مكائد،وهذا ما جعله لا يقطع صلته به ، لكن موقفه الأروع انه لما نشبت الثورة عام 1954 م ، لم ينـدفع فى مقاومتها واقتصر فى الجريدة على رواية الأخبار كما ترد من مصادرها ، وقد بلغني ان الادارة الاستعمارية حاولت منه أن يهاجم الثورة ويقف بجانب فرنسا أو تسحب منه عونها فامتنع وقال : (لا أريد ان أموت كالكلب فى أزقة قسنطينة)،وربما سمعت هذا باذنى منه،ولعله أخذ عبرة من موت صاحب (النهضة) السيد الشاذلي القسطلي بيد فدائي تونسي فى نهج القصبة بتونس. وكان موقف (النهضة) فى تونس كموقف النجاح فى تأييد الادارة الفرنسية، وبلغ بها الامر ان سخرت بالثوار التونسيين واشاعت عنهم اسم (الفلاقة) ٠

ولما توقفت الادارة عن عون (النجاح) توقفت الصحيفة أوائل عام 1957م ولم يلبث اسماعيل ـ عفا الله عنه ـ ان مات فى يناير عام 1958 م ، وقد مات حتف أنفه لم يسىء الى الثورة ولم تقتله خلافا لما جاء فى رواية بعضهم ونشره فى كتابه ٠

أما الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمى فقد قبل وظيف الافتاء وتولاه فى عنابة ثم فى قسنطينة،ولما جاء عهد الاستقلال التحق بسلك التعليم الثانوى وعاش الى ان وافاه الأجل المحتوم ـ بعد ان تجاوز الثمانين ـ فى رجب 1393هـ أوت 1973 م ، مات بقسنطينة ودفن بطولقة رحم الله الجميع ٠

اما جريدة البلاغ الجزائري ـ فانها ـ كما أعلنت عن نفسها (جريدة علمية ارشادية دفاعية) أسسها العليويون عام 1345 هـ ، 1926 م ، بعد نحو أسبوع من محاولتهم الفتك بالأستاذ ابن باديس رحمه الله ، وبرز العدد الاول منها فى 4 ديسمبر 1926 م ، لكن هذه الجريدة لم تلتزم آداب الصحافة الكريمة وأسلوبها ، فأسفت كثيرا وتنازلت ـ من الدعوة بالحكمة والموعظة ، والجدال بالتى هى احسن ـ الى أسلوب السباب والشتم والقذف بالزور والبهتان ، وهذا ما يستفاد مما قاله أو نقله عنها أوثق الكتاب وأعفهم لسانا وقلما واصدقهم لهجة ، وانقاهم ضميرا ٠

ان الشيخ ابا يعلى ـ فى كلمته التالية ـ يحاول ان يلوم من لا يلام ، ويقوم ما لا يستقيم،وتظهر رغبته الملحة فى الجمع بين الماء والنار ليكون فى صف الكتاب والعلماء السلفيين من جهة وصديقا للعليويين من أخرى،ولا يتم له هذا الا بالصلح بين الطرفين ! ان مقال أبى يعلى « تكرر الاعتداء على أصحاب الشهاب » نشرته جريدة الشهاب فى عددها 9 الصادر فى 1 شوال 1345 هـ ، الموافق 14 أبريل 1927 م ٠

وهذا نصه بعد العنوان : تكرر الاعتداء على أصحاب الشهاب ٠

ليعلم أصحاب الجرائد الثلاث ـ خصوصا والقراء عموما ـ انى انما زججت بنفسى للكتابة فى الجرائد لغرض واحد وهو الاستفادة والإفادة من علوم رجال

ومعارفهم واختبار عقولهم ومداركهم وبث ذلك للطبقة التى تعقبنا لياخذوا عنا كما اخذنا نحن عمن قبلنا حسبما ذكرت ذلك فى ابتداء مقالاتى :

(نظرة فى الحديث النبوي أيضا) ويشهد الله وهو خير الشاهدين اني ما أردت غير هذا، ومن ذلك احتسب فى جميع ما اصابني او يصيبني فى هذا الميدان كما كان ولتعلموا ـ ايضا ـ انى لا أنتصر لفريق اذا خطأً ولا أتخلف عن الانتصار لفريق اذا ظلم أو ظلم عملا بالحديث الصحيح : (انصر اخاك ظالما أو مظلوما) (1) ·

ثم بعد هذا ولو لمزني عدة منكم بانى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء من صفوفكم نعم ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فى الباطل ولكني مع هؤلاء وهؤلاء فى الحق والعقلاء يشهدون ، وانشد :

(على أننى راض بان أحمل الهوى واخلص منه لا علي ولا ليا)

كتبت فى النجاح عدة مقالات الى ان هاجمني فيه بعضهم وتجهمني، فدافعت ولم ينشروا لى فوقفوا بينى وبين المهاجم فشبهتهم بالبلجيك (2) فخسرت المعركة وجئت للعدو من عدوة أخرى وجددت الكرة فى ميدانى (صدى

---

(1) من حديث أنس بن مالك ونصه الكامل : (انصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل : كيف انصره ظالما ؟ قال : تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره) رواه البخاري والترمذى وأحمد ، اما نصرة المظلوم فلا غبار عليه بالاخذ بيده واعانته فى حقه على ظالمه ، واما الظالم فبكف يده ومنعه من الاستمرار فى الظلم ، فهذا الحديث من روائع المبادىء الاسلامية ، وقد حرفه أحد الذين ران على قلوبهم الكدر ونشر فى جريدة (العالم) الفرنسية (لوموند) هذا الحديث منقوصا وزعم ان نبىء الاسلام يأمر بنصر الاخ ولو ظالما ! ، تولاه الله ·

(2) البلجيك : مملكة أوروبية بين فرنسا والمانيا عاصمتها بروكسيل مساحتها 30447 كلم ، وشعبها اقل من عشرة ملايين وهى من أرقى الدول الاوروبية وأوفرها ثروة وصناعة شعبها مسالم ولكن جنى عليها موقعها مرتين فاجتاحتها جيوش الالمان ـ دون ذنب ـ عام 1914 ـ للوصول الى فرنسا وهذا ما يشير اليه الكاتب ، ثم أعادت فعلها مرة ثانية عام 1940 م ، للغرض نفسه أثناء الحرب العالمية الثانية وحدث هذا بعد نشر المقال بأكثر من 10 سنوات ·

الصحراء) (3) و (الشهاب) فانتصرت انتصارا باهرا وهى الواقعة التى شبهتها بواقعة (المارن) (4) الفرنسية ٠

وكتبت فى الشهاب منذ أكثر من سنتين وصرت لى فيه عـــدة معـارك ومناظرات علمها القراء وترك لى الوسع والساحة ونشر ما علي وما لى ، وقد سرنى ما علي مثل ما سرني ما لى،وقد وطنت نفسي لخدمة ما ذكرت آنفا فى صدر المقال الى ان كاد المحب بظهر الغيب (5) الاستاذ الشيخ عبد الحميـد ابن باديس يمل من معاركى التي اعجبته واثنى علي فيها كما ذلك بخطه،ثم هو لم يعجبه جعلى شيوخ الطرق من جملة العلماء ، وانتقد علي ذلك ، وجعله باطلا ، ومنكرا من القول وزورا،فأجبته عن ذلك بمقالة بينت فيها ان كلامى عن ذلك له أصل وفرع وبرهان محسوس ومشاهد ، وذكرت له أن العالم بالاحكام الشرعية الفقهية علم الحلال والحرام هو العالم عندنا منذ أحقـــاب بل من عهد النبىء صلى الله عليه وسلم اذ قال : « أعلمكم بالحلال والحـــرام معـــاذ » (6) وبرهنت بعدة من العلماء أهل العصر ممن عرفتهم وهم بقيد

---

(3) جريدة وطنية صدرت بمدينة بسكرة صاحبها السيد أحمد بن العابـــد ومحررها شاعر الجزائر الاكبر محمد العيد آل خليفة رحمهما الله برحمـة الاحياء والاموات ٠

(4) اسم نهر فى فرنسا من روافد نهر السين على شاطئه أوقفـت جيوش فرنسا عام 1914 م ، زحف الالمان على باريس وانقذتها من احتلال وشيـك وكان القائد الفرنسى المنتصر هو الجنرال (جوفر) ٠

(5) هذه الجملة يريد بها أبو يعلى انه حتى ذلك الزمن لم يكن قد اجتمـع بالشيخ عبد الحميد بن باديس وانما أحبه بظهر الغيب ثم اجتمع به بعـد تأسيس جمعية العلماء وكان أبو يعلى رئيس لجنتها الدائمة بالعاصمة بعد ان نحي عنها السيد عمر اسماعيل ولم يكن من العلماء ٠

(6) هنا علق الشهاب بقوله : وهل مشائخ الطرق اليوم من هؤلاء العلماء ؟ وهل هم اعلمنا بالحلال والحرام ؟ ٠٠٠ غفـر الله لـك يا أبا يعـلى فانك الى اليوم لم تحسن الجواب ولا عرفت كيف يكون الاعتذار » اهـ ٠

واما معاذ بن جبل فهو من كبار الانصار علما وفضلا حضر بدرا وعمره 21 سنة وحضر المشاهد كلها وقال فيه عمر بن الخطاب عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ٠ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم أميرا لليمن ، ومـات فى طاعون عمواس عام 18 هـ ، خلف أبا عبيدة فى امارة الجيش ثم لحق به شهيدا فى طاعون عمواس ٠

الحياة أنهم علماء ولم ينشر هذا المقال ، فكانه خشي أن يكون عليه لا له (7) ·

وكتبت اليه مقالا داعيا الى الهدنة والى الاتفاق مع المخالفين أهل الطرق وأرسلت نسخة من المقال الى البلاغ فنشره ولم ينشره الشهاب ، فعلمت أنه لم يعجبه رأي في ذلك كله (8) والله حسبي ·

ثم الرجاء من الاخوان ان يتأملوا هل يجدون في ما لا يرضى ؟ عند هذا علمت ان العداوة قد استحكمت ، والتسامح مفقود، وليس في ذلك كله ما يحمد، وساءني كثيرا اذ فشلت في سعي في الصلح والهدنة والاتفاق على قواعد نجري عليها نحن معشر السلفيين، ويجرى المتصوفة على قواعد ذكرتها أيضا ولو فعلنا لكان لنا وأقوم ·

هذا ونعتذر أصحاب الشهاب في واحدة بالخصوص ، وهي تكرر الاعتداء عليهم الذى لا يرضاه ولا يقبله الا من لا خلاق له ، ولا مدنية ولا انسانية ولا عقل، وانه لدليل التوحش والهمجية التى لا تصدر الا ممن لم يبق فيهم

---

(7) علق الشهاب هنا بقوله : « قد نشرناه في عدد 90 لانه جاء قبل هذا فقدم لمقتضى الترتيب وما كنا ـ والله لنخشى من مقال لانه اذا كان حقا قبلناه ، واذا كان باطلا دمغناه ، وليس في حزب الاصلاح ـ بحمد الله ـ من يستنكف عن الخضوع للحق ولا من يعجز عن قمع الباطل » اهـ ·

(8) علق الشهاب على قول أبي يعلى هنا بقوله :

ما كادت النوبة تصل الى نشره حتى رأيناه منشورا ، وعلمنا ـ من تعليقات ناشريه ـ ما أيأسنا من قبولهم لما فيه ، فمن العبث ان نملأ به بعد صفحات الشهـــاب ·

وبعد فاذا كان أبو يعلى يعني بالهدنة والاتفاق مع الطرقيين السكوت عن ضلالاتهم التى جنوا بها على القلوب والعقول والاموال والابدان ، وشوهـوا بها سمعة الاسلام وسودوا صفحاته البيضاء فان دعوته من الضلال الـذى يجب ان يستغفر الله منه ولا نستجيز لانفسنا ان نعينه عليه بنشره ·

وان كان يعني أننا نسكت لهم عن بعض الباطل ليقبلوا منا بعض الحق ، فان هذا لا يرضاه من أنزل عليه « **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** » ·

وان كان يعني السكوت عن اعراضهم وأشخاصهم فان الطعن في الأعراض والتعرض للشخصيات مما قد تنزه عنه كتاب الاصلاح قبل دعوته وان اتخذه سلاحا قوم آخرون » هـ ·

تلك الخصلة العربية الاسلامية (حماية الذمار) (9) واكرام الضيف وايواء الغريب ونصرة المظلوم ·

ومن الاسف الشديد ، بل من الغيظ ومن العار والشنار وسوء الدار وما سوء الدار ؟ سوء الدار الجلفة أو (الجيفة) الذى يقع فيها ذلك الفعل الفظيع والتوحش الشنيع · وان الجلفة أو (الجيفة) من الجزائر ونحن من الجزائر التى نرجو لها علما وادبا ! ان نحن الا مغرورون !!!

نعم مغرورون اذ كنا نظن ان الحرية التى حرمناها منذ ثورة 1871 (10) وكنا وآباؤنا فى قيود العبيد الجناة الا باق ، حتى لقد صدق علينا المثل المضروب فى المعنى « فى رقابهم الرباق ومن شأنهم الاباق » (11) ولهذا انسحب علينا الا لجبر ، وضربت علينا الذلة والمسكنة ، واستمرت علينا « الانديجينا » (12) ثم نطمع بعد هذا الاخلاق ان نفوز فى الاجتماع والمدنية بين الامم أو ندعى اننا عرب مسلمون عقلاء منصفون ؟ ؟

هيهات هيهات ! اذا رجع قومنا الى ما قبل الاسلام بقرون كما قص الله تعالى علينا أمثال هؤلاء الاجلاف « **يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا** » والا فديانتنا السمحاء تسمح لمناظر المخالف ان يقول ما يشاء ويعتقد ما شاء اذا كان مسالما مجردا من السلاح ، وأحرى اذا كان ضيفا أو غريبا أو ضعيفا·

ولكن قد يرد على الخاطر وجود الشذوذ من الجهال والجفاة الاجلاف وذلك كله من الممكن ، وقد نتسلى بما تسلى به من قبلنا ممن مثلنا من الدعاة الى

---

(9) الذمار كل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفاع عنه وان ضيعته لزمك اللوم ·

(10) فى هذه السنة وقعت ثورة المقرانى بمجانة واتسعت فشملت معظم أراضى الشمال ، فانتهزتها فرنسا لقمع شديد وسلب الاراضى ، وفرض ارهاب لا نظير له بقى من آثاره ما أشار اليه الكاتب ·

(11) الرباق جمع ربقة الحبل ، تربط به الدواب ، وهو اسم لكل حبل تقيد به الحيوانات عندنا والأباق الفرار ، فرار العبد عن سيده ·

(12) الانديجينا مجموعة قوانين وحشية سنتها فرنسا لتحكم بها الجزائريين منها أخذ البرىء بجريرة المجرم ، والمسؤولية الجماعية ··· الخ · مما تتبرأ منه الانسانية وبقيت هذه القوانين مسلطة علينا الى انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وقد يحاولون التخفيف منها ثم يرجعون اليها باعنف وأشد ·

المبادىء والمذاهب فى العالم ، ونطالب الحكومة (13) باتخاذ الاحتياطات مثل هذه المظالم ، ونعذر الجاهل ·

ويقول الذى أوذى ـ منا ـ ما قال نبينا صلى الله عليه وسلم : « اللهـم أغفر لقومى فانهم لا يعلمون » ·

ولكننا لا نعذر أهل العلم عموما ، وأهل الجرائد خصوصا ، كأصحـاب (النجاح) وأصحاب (البلاغ) الذين لم يقوموا ولم يعقدوا ، ولم يبدوا ولم يعيدوا شيئا فى هذا الحادث الملم المليم ، بل سلكوا مسلك المتفرج المتشفى وهم أصحاب مبادىء ومذاهب (14) ، وبعبارة أخرى انهم أصحاب جرائـد كالشهاب لهم مخالفون يكادون يسطون عليهم فلا يأمنون ذوى بغي (15) · كان المتعين عليهم ان ينتقدوا هذا الفعل الفظيع الذى هو ضد الحرية والعدل التى تدافع عنها جرائدهم ·

وان ما جرى على متصرف الشهاب الشاب أبى شمال (16) يجرى عليهم مثله ، اذ مثل النظير النظراء · وهذا ما أنتقده انتقادا مرا على أصحاب النجاح وأصحاب البلاغ ·

وهذا معنى قولى آنفا اننى لست لهؤلاء ، ولا لهؤلاء فى الباطل ، وهذا هو الذى ادين به الله ، وادين به الوطن وبنيه وهذه الامة المتقهقرة ، بل المتدهورة فانا لله وانا اليه راجعون ·

---

(13) المراد الحكومة العادلة المنصفة الحريصة على استيتاب الامن والضمـان لحرية الرأى ، وهل الحكومات الاستعمارية كذلك ؟ المراد بمثل هذا اقامـة الحجـة ·

(14) هم كذلك فى خيال أبى يعلى رحمه الله ·

(15) اقتباس من قول الشاعر :

لا يأمن الدهر ذو بغـى وان ملكـا جنوده ضاق عنها السهل والجبـل

و «لا» فى قول أبى يعلى نافية لا ناهية ـ وفى قول الشاعر ناهية جازمة ·

(16) كان عمره رحمه الله حينما اعتدى عليه نحو 28 عاما ·

ولقد صدق علينا قول (17) جونار ، الوالي العام (كان على هذه الديار) . في جوابه الى المرحوم الشيخ علي يوسف ، صاحب المؤيد حينما اجتمعا في باريس سنة 1903 م ، فتشكي صاحب المؤيد منتقدا عدم وجود الجرائد العربية الاسلامية في الجزائر ، فقال الم ـ جونار : « انه لم يجد من يستحق الامتياز لادارة جريدة ، وتكون فيه أهلية لذلك فيمنحه ذلك » الى غير ذلك مما جرى بينهما في الحديث في هذا الشأن ونشره المؤيد في ذلك التاريخ (18) .

وعلى هذا فاني انتقد الجرائد الجزائرية كلها ، فالشهاب للشدة وعدم الحلم والتسامح ، والنجاح للتملق والمداراة للزوايا والطرق (19) . والبلاغ الجزائري بعدم التبرى والانكار على هذه الاعتداءات ، و (البرق) (20) على الاستفتاح بالشر وتأبط شرا (21) لكونه انتقد عدم رواج كتبي التي ألفتها في حين انه يطلب رواج جريدته ، فلنتب الى الله ايها المؤمنون .

الزواوي السلفي إمام جامع سيدي رمضان

---

(17) كان وليا عاما لفرنسا على الجزائر في التاريخ الذى أجرى معه هذا الحديث .

(18) الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد اليومية المصرية من أكابر رجال الصحافة العربية ولد عام 1863 م ، وتوفي بالقاهرة عام 1913 م ، تخرج من الازهر وانشأ مجلة الادب ، ثم صحيفة (المؤيد) عام 1889 م ، وبلغت درجة كبيرة في الرواج والاشتهار ، وفيها كتب الشيخ عبده رده على هانوتو . كما كتب مقالات كثيرة في الرد على من يهاجم الاسلام .

(19) أهذا هو المبدأ والمذهب الذى تقدم (اتهام) النجاح به ؟

(20) جريدة البرق عربية وطنية صدرت بقسنطينة ، صاحبها السيد عبد المجيد بن رحمون وكان الاديب الشاعر محمد سعيد الزاهرى من محرريها

(21) تأبط شرا لقب شاعر جاهلي فاتك ، واسمه ثابت بن جابر توفي 530 م واصل لقبه انه وضع سيفا تحت ابطه وخرج فلما سئلت عنه أمه قالت « تأبط شرا وخرج » فلصق به اللقب وكان من العدائين ، وله اشعار حماسية رائعة ، اما من انتقد ابايعلى وعدم رواج كتبه فهو صحافي كان يمضي مقالاته بـ : « تأبط شرا » ولعله الزاهرى .

« تعصـــب »

محاولـــة قتـــل صحـــافي اهـــل

قضية خطيرة - جريمة منوم - (دين وسحر !)

هذه مقالة كتبها صحافي فرنسي - واظنه الصحافي الفرنسي لوسياني المعروف بمدينة قسنطينة ، وكان من أشهر صحافييها ، وله معرفة كبـيرة بالمسلمين وعاداتهم والاتصال باعيانهم ، كما كان له صلة خاصة بالدكتـور الزبير بن باديس شقيق الشيخ عبد الحميد بن باديس - لأنهما كانا زميلين أثناء الدراسة - وربما دفعته هذه الصلة الى العناية بكتابة هذا المقال ، مع الوفاء لمهنته الصحافية وإشباع رغباتها ، وخصوصا بعد عناية الرأي العام الاسلامي بالحادثة وتجمع المسلمين أثناء التحقيق مع الجاني رغم أن الساعة كانت ليـــلا ·

وان كانت جريدة « الدبيش القسنطينية » من اعدى أعداء حركـــة ابن باديس المغرين بها والمحرضين عليها والمؤلبين ·

وقد نشر المقال - بعد 8 اشهر من حصول الاعتداء بمناسبة تجديد البحث تمهيدا لمحاكمة الجاني فى عدد 110 بتاريخ 19 صفر 1346 هـ ، الموافـــق 18 أوت 1927 م ·

قـــال الشهـــاب :

« تحت هذه العناوين نشرت صحيفتنا جريدة (لادبيش كونستانتين) مقالا - بقلم (ن - ل) أحد محرريها - في نازلة الاعتداء العليوي على الأستاذ ابن باديس بمناسبة تجديد بحث الجاني فى مكان الحادثة ·

وقد جاءنا تعريب هذا المقال المذكور من الاديب البارع والكاتب الشديد الاستاذ الامين العمودى (1) مترجما بقلمه ترجمة حرفية ، فنشرناه على قراءنا ليطلعوا على رأى جيرانهم الاوروبيين فى نازلة لا تزال شغل الافكار اليوم .

---

(1) الاستاذ الامين العمودي من أعظم الكتاب الأدباء الجزائريين ، شاعرا وناثرا، بليغ القلم باللسانين العربي والفرنسي ، وهو من شعراء كتاب (شعـــراء الجزائر فى العصر الحاضر) لمؤلفه الشيخ الهادي السنوسي . ومـــن كتاب الشهاب ، لما أسست جمعية العلماء كان الأمين العام لها مدة سنوات ثم تخلى عن هذه الأمانة للشيخ العربي،وقد خاض غمار السياسة،وأسس جريـــدة الدفاع (لاديفانص) فكانت لسان حال السياسيين الجزائريين الأحـــرار ، المناهضين للاستعمار ، ومنهم السيد عباس فرحات وزملاؤه فى حزب (وحـدة النواب) وكانوا هم الناطقين باسم (السياسة) الأهلية ، فى المجالس النيابية. كما لعب العمودي دورا هاما فى منظمة المؤتمر الاسلامى أثناء وجوده ، وكان عضوا فى وفده مترجما ـ بأمانة ـ عما يعرب عنه ابن باديس ـ الذى كان يطمئن الى ترجمته ويثق فى صدق أدائه . كما كان رئيس منظمة (شبيبة المؤتمـر) ذات الميول الوطنية العربية المتحررة من تاثير سياسة وحدة النواب .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية ألقي القبض عليه وزج به فى السجـــن أوائل شهورها ، عام 1940 ـ وذلك فى حياة ابن باديس ، وكان فى إقامـــة جبرية ففهم القصد وظنه بداية محنة لفريقه فلم يسؤه سجن العمودي ولـم يربكه ، بل اهتم به وبعائلته اهتماما شخصيا،ورجا أن يخرج من المحنة بطلا ، فكم صنعت المحن من أبطال ! ولكنه أفرج عنه وشيكا قبل وفـــاة ابن باديس بأسابيـــع .

ولم يعد الى نشاطه السياسى كما كان ، وقد تغيرت بعد الحرب مقاييســه وموازينه ودخل فى الاعتبار ـ الأعمال السرية ، والتنظيمات الحربية ، ونشاط الثوار ، وكان العمودي يغلب عليه طابع النشاط الفكري والنقاش القلـــمي ، والحجاج العلمى فاكتفى بذلك وحافظ على سلامة العقيدة الوطنية ووضوحها واستقامتها . فلما نشبت الاعمال الثورية عام 1954 كانت متنفس كل وطنى حر أبي ، وقدم لها كل بما يستطيع . وكان العمودي ـ مثل غيره ـ كجنـــدى بسيط أدركته الشيخوخة وفاته عمر رفع السلاح .

ولكن اعداء الوطن لم ينسوا له ماضيه المشرق واسمه اللامع فقـرروا أن يعدموه ، ونفذوا ذلك بالفعل فى يوم 10 أكتوبر 1957 كما أخبرنى به الاستاذ =

قالت لادبيش :

« منذ نحو ستة أشهر وقعت على صحافي أهلي (2) قام بمهمته باتقان وشجاعة ـ وهو السيد ابن باديس نجل النائب المالي (3) الفاضل ـ محاولة قتل فى ظروف هاك بيانها :

بينما كان السيد ابن باديس ـ فى بعض الليالى ـ نحو الساعة التاسعة هابطا بدرج نهج (مايو) ليذهب الى داره الكائنة بنهج السود ، اذ انقض ، عليه رجل أهلي كان متخفيا بمكان مظلم وضربه بهراوة أصابت جبينه وجرحته جرحا خطيرا ·

سعى السيد ابن باديس سعيا غريزيا فى الدفاع عن نفسه ، ورغما عن خطورة الضربة تمكن من القبض بكلتا يديه على مهاجمه الذى كان يومئذ مسلحا بهراوة وموسى (بوسعادي) وأمسكه بضع دقائق ، لكنه لما فشل وخانته قواه تخلص منه المعتدي المجهول والتجأ الى الفرار ·

= محمد صالح رمضان وقيل عنهم انها منظمة اليد الحمراء الارهابية وهى وراء جرائم كثيرة رهيبة · وكانت تتالف من كبار رجال الادارة الاستعمارية ومن كبار مجرمى الجالية الفرنسية اليهودية · وغالب ضحاياهم ممن لم يجدوه متورطا فى تهمة ظاهرة ، لهم عليه فيها مجرد شبهة ·

وقيل عن العمودي ـ فى رواية جريدة لهم ـ أنه ألقى بنفسه من قطار قرب البويرة وهو يحاول الفرار فاطلقوا عليه النار وأردوه قتيلا ! وهذا ما كانوا يعللون به كثيرا من اغتيالاتهم وجرائمهم فلا يصدقهم أحد ولا يجرأ على سؤالهم ومحاسبتهم حاكم ولا قاض ولا مسؤول لأنهم ذاك كله ·

(2) كلمة أهلي (انديجان) كان يلقب بها الفرنسيون كل أبناء الجزائر تمييزا لهم عن السكان الفرنسيين واليهود المتفرنسين ويريدون بها تحقيرهم بنسبتهم الى الوطن بينما كانوا يعدون أنفسهم من الاوروبيين ! والحقيقة ان الله أنطقهم بها شهادة بان الجزائريين هم (الاهليون) وأنهم هم الاجدرون بارجاعهم الى أوطانهم الاوروبية !

(3) كان المجلس المالى فى الادارة الجزائرية شبه برلمان ! وكان يسمح ـ أنذاك ـ لخمسة ملايين من الجزائريين ان ينتخبوا لعضويته 12 نائبا ! بينما ينتخب الاوروبيون أضعاف (أصحابهم) بمقدار خمسة أو ستة لكل نائب أهلي !

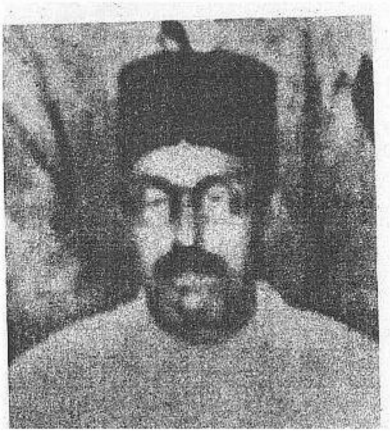

الأستاذ الأمين العمودى

وقد استنجد السيد ابن باديس ببعض المارة بالطريق وهؤلاء أحاطوا بنهج السود وشرعوا في التفتيش لكن بلا طائل ، ثم ان بعض اصدقاء الشيخ ذهبوا به الى داره القريبة جدا من ذلك المكان وما تعدوا عتبة الدار حتى راوا الجاني كامنا في احد أركانها ، مسلحا ــ كما كان سابقا ــ وواقفا موقف الهجوم ، فلما أخطا المرمى ــ المرة الاولى ــ ظن أنه يصيبه حقيقة حين يصل السيـــد ابن ابن باديس الى محل سكناه .

القى القبض على الجاني ، وانتزع منه سلاحه ، وسيق الى (الكوميسارية) واستنطق فأنكر بادىء بدء ــ رغم ما عليه من الحجج القاطعة ــ وقوع السطو منه ، ثم اعترف ببعض ذنبه ، وذكر أنه أراد أن يبعد عن العالم الاسلامي رجلا مرق من الدين !

تبين مما ذكر أن هاته جريمة ليست من الجرائم المعتادة وقوعها ، وثبت بوجه القطع ان السبب الحامل عليها هو ما ذكره الجاني ، وقد أنتج البحث جملة أشياء تدعو الى التعجب بقدر ما لها من الخطورة .

دعـــاة الباطـــل والضـــلال :

كان السيد ابن باديس أثار في جريدة (الشهاب) حركة قلمية تضاهي حملة الابطال ليفضح ويظهر لاخوانه في الدين جميع دعاة الباطل والضلال وسفلة المرابطين الذين يدعون العصمة وخوارق العـــادات ، تستر هـؤلاء الدجالون باسم الدين ، واخذوا يستثمرون احسان عامة الاهالي ، مؤيدين سلطتهم على البسطاء (بكرامات) صبيانية ، وربما كان الخطب سهـــلا لو اقتصر عمل (المرابطين) على اختلاس (الدراهم) بطريقة تروج عـلى السذج حتى تظهر لهم الحجر جوهرا .

لكن السيد ابن باديس زيادة على تشنيع هذا الصنع المنكر على أصحابه قد اشهر حربا خاصة على رجل أخذ نفوذه يتزايد بكيفية مفزعة ، وتعاليمـه تنتشر بسرعة يسهل ادراك علتها بين طبقات الاهالي الذين يؤمل منهم الاقبال على الدعوة الجديدة بشدة رغبة وحماس مفروط .

على نمط راسبوتين (4) :

استمد تاريخ هذا الرجل فى الاصل من تاريخ الراهب صاحب الشهرة السيئة بروسيا المقدسة ، دونكم شرح معنى ذلك :

كان منذ سنين في مدينة (التقى) مستغانم يوجد من بين أعظم المسلمين تمسكا بالديانة – حذاء فقير وضيع اسمه (ابن عليوة) استلفت الانظار بشدة ما يظهره من التقى والصلاح وقد ملك قلب (مقدم) البلدة حتى ان هذا الاخير لما احس بقرب موته أوصى بان يتولى خطته بعده الحذاء ابن عليوة.

كانت هذه الوصية من الغرابة بمكان عند أرباب الشؤون الدينية الاسلامية الا انها لما كانت معربة عن ارادة الهالك ، وموافقة لشريعة القرآن وجب العمل بها ، وسمى ابن عليوة « مقدما » وكان لسان حاله يتمثل بالمثل اللاتيني (هل ، ومتى يكون لصعودي حد) .. ؟

امتاز بكونه اماما مواظبا من أئمة الديانة الاسلامية العظمى بسرعة امتيازه بالذكاء والفراسة وشدة الطمع وحب الرياسة وبفضل ذلك قدر على تحريك الضمائر واستخراج أسرار العقائد ، وله فى هذا الفن طريقة خاصة . فكان لا يكتفى بأمر (فقرائه) بتوطيد ايمانهم بالله ، « لأن الله هو الله » بل يشير عليهم أيضا بتقديس « خلفائه فى الارض » .

ادعى – محتجا بما يسميه كرامات ، وما هى فى الواقع الا شعوذة بحتة – بأن الله حال فيه ، وبفضل قوته الجذابة النادرة وقوته التأثيرية العجيبة – تمكن ابن عليوة من جعل أتباعه أو (زبنائه) تحت سيطرة ارادته وقد رأى منه المسلمون الغرائب ، وهكذا قويت شوكة الدجال بكيفية مدهشة.

ولما فهم ابن عليوة مقدار ما تجره له هذه (البضاعة الخصوصية) من المنافع عزم على تحسينها ، وتوسيع نطاقها ، وقد كان سمع بان فى ذلك الشرق القاصى ... اساتذة يدرسون علوم الباطن فسافر اليه وبقى به مدة ثلاث

---

(4) راسبوتين هذا هو راهب روسى ادعى الصلاح – مع جهله وغباوته – ونال حظوة عظيمة عند الملكة (اسكندرة) بما روج على فكرها من أن امر صحة ابنها – ولى عهد القيصر – كان بيده ، يفعل به ما يشاء ، وكان معظما لدى القيصر نقولا الثانى فى مدة الحرب الكبرى ، ومات قتيلا (المعرب) .

سنين تلميذا مجتهدا حريصا ، وبعد أن تدرب ومهر فى فنون (الفقـــراء) السرية عاد الى منصبه ، واتخذ بلدة برج بوعريريج مركزا ومقرا ، وأسس (طريقة) أسرع (الاخوان) الى الدخول فيها أفواجا ٠

صورة عمله ان يختار من المقبلين عليه (أطوعهم) كما يقول المؤمنون ، ويدخلهم فرادى فى بيت ، ويأمرهم بذكر اسم الله وتكراره ألف مـــرة ، ويجبرهم على النظر الى نقطة واحدة ، ويعدهم بانهم يحسون بنزول الاله فى ذواتهم ، تلك احدى عملياته ، وفى بعض الاحيان يدخلهم فى خلوة مظلمـــة ويريهم صورة « الله » بطريقة تدع الابصار حائرة ، وقد أبدى فى تعاطى هذه الصناعة من المهارة والبراعة ما حصل به على الإعجاب العام ٠

ابن عليوة ـ كما يقول أصحابه ـ هو محـــل حلول اللـه فى الأرض ! ابن عليوة قادر على إيقاف الشمس فى دورانها ! ابن عليوة يفتح السماء ! ابن عليوة يغيض مياه العيون ! ابن عليوة فى وسعه ان يستمطر الدرهـــم والدينـــار ! !

وتوصل هذا الداعي الجديد الى إدخال آلاف من المسلمين فى مذهبـه ، وها هو الآن يؤمل ويحاول البلوغ الى مقام النبوءة ، وقد أسس جريدة سماها الاصـــلاح (5) ٠

يلـــزم قتـــل الحقيقـــة :

السيد ابن باديس رجل متنور متضلع فى العلوم ، مسلم عالـــم بنص القرآن ، تتبع أطوار تلك الدعوة وقابل بالغضب والنكير أعمال ابن عليـوة المنافية للأخلاق ، وأقدم على اظهار مساوية لإخوانه فى الدين ، فكتـــب فى جريدة الشهاب مقالات رنانة ، وكان ذلك سبب المؤامرة بالسطو الذى وقع عليه وكاد يذهب بحياته ، والرجل الذى سطا عليه فى احدى الليالى بنهـج (مايو) هو واحد من إخوان الطائفة العليوية جاء من برج بوعريريـــج (6) بمأمورية خاصة هى قتل الصحافي الذى تجرأ على مقام ذلك النبىء الجديد !٠٠

(5) يعنى (البلاغ) قطعا ٠

(6) الصواب أن المؤامرة دبرت فى مستغانم وأن الجانى جاء منها وركـــب قطار الجزائر على ان يعـود اليها بعد تنفيذ الجريمة وهذا ما أكده الشيـــخ ابن عتيق واستنتج فى التحقيق من بطاقة العودة.

الفاجعـــة :

أول أمس على الساعة التاسعة مساء استؤنف البحث فى القضية على يد المسيو أودوانو قاضى الاستنطاق ولم يكن ذلك بالامر السهل ، فمن كثـرة تزاحم ألوف الاهالى برغبة سخيفة فى الاطلاع على ما لا يعنيهم حتى ادى الى خرق السياج الذى اقامه البوليس ، ومن جهة اخرى ترى جانيا خلى البـال غير مكترث بما حوله ومع ذلك يجد فى المناقشة كان ذلك جبلة ورثها عـن أصله يمـاحك فى الجزئيات التافهة وينكر ويصر على الإنكار بوقاحة بلغت أقصى درجات القبـح ٠

سيرافع هذا الجاني ـ بعد انقضاء بضعة أشهر ـ لدى محكمة الجرائـم لكن سيرافع التلميذ وحده، واما استاذه الدجال الناشر لدعوة الباطل والضلال فانه سيستمر فى دعة وهناء ساعيا فى الاهلاك واستعباد الافكار ناصبا للبله فخ العقائد المميتة للعقول جادا فى تدجيله الذى به (ينزل الله فى أجسـام عباده) و (يعطل حركة الشمس) ويستمطر الدرهم الرنان و ٠٠٠ (يسلح المجرمين) ٠٠٠ وكل ذلك باسم الله ! ٠..

عن جريدة لادبيش القسنطينية المؤرخ : 30 من جويلية 1927 م ، بسكرة

الامـين العمـودى

* * *

علق الشهاب على هذا المقال بعد نشره بقوله : (فى هـــذه المقالة عبـارة ما كان نحب نشرها ولكن امانة الترجمة واحترام الكاتب والمعرب اضطرتنا الى ابقائها على حالها) ٠

في مجلس الجنايات :

الجاني العليوي

خمس سنوات في السجن المضيق

بعد خمسة عشر شهرا ـ (جمادى الآخرة 1345هـ ـ رمضان 1346هـ) ـ ديسمبر 1926 م ـ مارس 1928 م ـ من الاعتداء الوحشي الذى ارتكبه الجاني العليوي (ممين أو ميمان الشريف الجعفري المجاني) على شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس فأسال دمه الزكي بقصد قتله ، مسلحا بهراوة استعملها وبمدية سلها من المدى التى تستعمل فى الذبح والطعن عادة (بوسعادي)،بعد هذا الزمن الطويل مثل هذا الجاني أمام محكمة الجنايات بمدينة قسنطينة يدافع عن جنايته محام يهودي ويتصنع الإنكار لفعلته رغم التعرف عليه من المجنى عليه، وتثبته لشخصية يوم عرض عليهفىالبحث، ورغم شهادة الشهود الذين راوه وزملاءه يسألون عن مسكن الشيخ ويثبتون من أوقات دخوله وخروجه ، وشهادة الذين حضروا إلقاء القبض عليه مساء الجريمة مستترا فى سقيفة دار الشيخ وحجزوا منه أسلحة الجريمة والسبحة العليوية، ومع هذه الأدلة الواضحة لم يلتفت القضاء الى إنكاره واصدروا عليه حكما بالإدانة ، وعين له خمس سنوات يقضيها فى السجن المضيق ·

ان القانون الفرنسي يسمح للقاضي ان يحكم على مثله بالإعدام بتهمة محاولة قتل مع ترصد وسبق إصرار واستعمال سلاح حديدي ثم القاء القبض عليه فى حال تلبس بالجريمة واصراره على إتمامها ·

ولكن حكم القاضي الفرنسي صدر عليه بسجن خمس سنوات يقضيها في السجن المضيق ، وقد يرى هذا الحكم خفيفا ، ولكن الحقيقة ان الموت أهون من السجن مدة طويلة مثل هذه عند الأحرار .

ان الشريعة الاسلامية لا تقر مثل هذا الحكم بل تشرع في مثله القصاص أو العفو « **والجروحَ قصاصٌ فمن تصدّق بـه فهو كفّارة لـه** » ، وفي القصاص عبرة للجاني وغيره ، وفي العفو سمو ونبل ومحو لأثر الحقد من قلب الجاني . ولهذا فان الشيخ رحمه الله لم يرض بهذا الحكم واخبرني الشيخ محمـد الصالح بن عتيق وسمعت ذلك من غيره انه اعتبره قاسيا وقد سامحه ، ولكن الحق العام أبى ذلك ، ويشهد لهذه الرواية ما ختم به الاخبار عن الحكم من دعاء كما يرى ذلك في (الشهاب) .

والشريعة الاسلامية السمحة قد تسمح بالقتل فيما اذا كان الامر من باب الحرابة والفساد في الارض « **إنما جزاءُ الذين يُحاربون اللهَ ورسولَه ويسعَوْن في الأرض فساداً ان يُقتّلوا او يُصلّبوا او تُقطّعَ أيديهم وأرجُلُهم من خِلافٍ أو يُنفَوْا من الارض** » فاما اذا لم تتحقق حرابة فلا . وقد أوصى الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه في الجنة ان يحبس عبد الرحمن بن ملجم الفاتك به ، فان شفي رأى فيه رأيه،وان هلك فلولي الدم السلطان عليـه ولا يسرف في القتـل .

اما القانون الفرنسي الوضعي فانه يسمح بالحكم بالإعدام وقد ينفذه ، وخصوصا اذا كان الجاني (أهلي) والمجنى عليه أوروبي .

قالت جريدة الشهاب في عدد 137 الصادر في 9 رمضـان 1346 هـ - الموافق أول مارس 1927 م ، تحت عنوان اعلاه ما نصه :

على الساعة الثانية بعد الزوال من يوم الاثنين السابع والعشرين مـن الشهر المنصرم انعقدت محكمة الجنايات بقسنطينة للحكم في جناية محمـد الشريف ميمان العليوي على الأستاذ ابن باديس المشهورة . وتولى النضال من طرف الاستاذان : ميراكسيون ، وابن حبيلص . ومن طرف الجاني الاستـاذ زاوي الاسرائيلي وبعد سماع الشهود وكلام المحامين ووكيل الحق العـام اثبتت المحكمة جناية الضرب والجرح على الجاني رغم بقاء الجاني على إنكاره

مع اضطراب في كلامه ، حيث اعترف ـ في البحث الاول بان العصا لــه ، وانكرها امام المحكمة ، وحيث زعم إنه كان مقيما بالبلدة قبل يوم الجناية ولم يستطع إثبات محل إقامته مع انه كان يحمل ورقة الذهـاب والإيـاب ـ واستنادا على شهادة الشهود التي جاءت على وجه لا اضطراب فيه ، فأصدرت عليه الحكم بخمس سنوات في السجن المضيق ·

وهكذا نال هذا الجاني جزاءه الذى يكون زاجرا لكل من يدعوه التعصب والتوحش الى الفتك بالنفوس ·

وهكذا انتهت هذه المأساة التي كتبت تاريخ النهضة الاصلاحية في افريقيا الشمالية بالحبر الاحمر الذى لا تستطيع محوه الأيام ·

وختاما نسأل الله تعالى ان يؤلف بين قلوب جميع المسلمين بالمحبة والرحمة وان يقرب بين عقولهم بالعلم والانصاف ويغفر لجميعهم انه هو الغفور الرحيم ·

« ربنا اغفرْ لَنا ولإخواننا الذين سبقُونَا بالإيمان ولا تَجْعَلْ في قلوبنـا غِلاًّ للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » ·

ـ أهي جناية عادية ومسألة فردية ؟ ـ

هذه مقالة صدرت في الشهاب عن جناية هذا الآثم بعنوان « الشـــقى العليوى » ، ويظهر ـ من مقدمتها ، وإلحاح كاتبها عـــلى نشرها وتبريـــره لكتابتها ـ ان الشهاب رغبت عن مواصلة النشر ، وفي اقفـــال الموضـــوع · غير ان الشيخ الزاهري كان يرى غير ذلك ، وان الرأي العام ما يزال مهتما به مشوقا اليه ، وليس من حق الشهاب ان تستبد باتخاذ مثل هذا القرار وحدهـــا ·

ونزلت « الشهاب » على رغبة الكاتب فنشرت له ، ثم علقت على مقاله بما يدل على نبل ابن باديس وسمو أخلاقه ، وتمسكه بالآداب الاسلامية ، ووقوفه عند حدود الشريعة من الاقتصاد في القاء الاتهام دون بينة ، وتربية قرائــه على هذا الخلق المتين ·

وهذه مقدمة الأستاذ الزاهري يتبعها مقاله تحت عنوان الشقي العليوي ، وقد نشرنا في العدد 140 الصادر في 30 رمضان 1346 هـ ـ 22 مارس 1927م

« حضرة أخي المحترم سيدى أحمد بوشمال سلام الله عليكم ورحمته ·

هذه كلمة كتبتها عن « الشقي العليوي » أرجو من فضلكم ان تنشروها في باب « النشر الحر » من الشهاب · وليس لكم ان تقولوا ان هذه مسالة خاصة ، وهى مسالة جزائرية عامة ، بل هى مسالة تهم شمال افريقيا كله ، وقد تناولتها الصحافة الفرنسية كل واحدة بما ترى ، مثل الجزائر الجديدة ومثل « ليكو دالجي » وغيرهما ·

وهى مسالة بعد ذلك شغلت أكثر النوادى الاسلامية والمجتمعات فهي موضوع أسمار الناس وأحاديثهم في هذه الايام ، حتى لا تسمعهم يتحدثون الا عن « الجاني العليوي » وعن الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس·

ولقد اطلعني أديب من أدباء تلمسان على رواية تمثيلية فى هذه الحادثة كتبها باسلوب شيق ، وسماها « المصلح والطرقي » وأبدع فى تصوير الواقعة وفى مراد المصلحين ، وشخص تشخيصا محسوسا خرافات الطرقيين وتدجيلهم وهو عازم على تمثيلها على المسرح البلدي بتلمسان غير بعيد ·

فهل بعد هذا الاهتمام الكبير الذى تهتمه الأمة بهذه الحادثة يظن (الشهاب) أنها مسالة خاصة ، وجناية فرد عادية ؟

أما أنا فاني جئت بهذه الكلمة ، وما أظن الشهاب يمتنع من نشرها ، وفيه باب النشر الحر » ·

والسلام من أخيكم محمد السعيد الزاهري

الشـــقي العليـــوي

مسكـين ذلـك الشـقي العليـوي مسكـين !

دخل السجن المضيق منذ أكثر من عام فكان يذوق فيه البلاء المر ، ويمتحن المحنة الأليمة ، ويعذب هنالك عذابا لا يعذبه أحد من العالمين ، ثم يحكم عليه بعد هذا ان يدخل السجن المضيق ، وان يبقى فيه خمس سنوات يقضيها بين الارهاق والعذاب الشديد ·

جنى المسكين « المنوم » هذه الجناية الفظيعة ، ولم يكن هو الجاني فى الحقيقة وانما كان آلة صماء فى يد شيخه ومربيه الذى رباه ونومه واعده لمثل هذا الامر الفظيع · أعده لمثل هذا هو وأمثاله من الأشقياء المجرمين الذين

يسفكون الدماء والاعراض البريئة بغير حق ، ويقتلون النفس التى حرم الله · فاذا صح ان نسمي (هراوة) هذا الجانى هى الجانية المجرمة صح ان نسميه هو أيضا جانيا من الجناة المجرمين ·

يرتكب المجرم الجناية ويدفعه اليها شيخه الذى يكون بين يديه كالميت بين يدى الغاسل ثم يعاقب المجرم بما يستحق من عقاب ، ويسلم دافعه الى ارتكاب الإثم والإجرام ·

وعلى كل حال فانه لابد ان يكون قد اعتبر بهذا الجزاء تلك الشرذمة من أولئك الاشقياء المجرمين ، ولعلهم ينتهون بهذا العقاب فلا يسفكوا - بعد اليوم - دماء عباد الله المؤمنين · ولعلهم يستغنون عن « الهراوة » و «السكين» بما يتقيأون به علينا كل يوم من الفحش وقول السوء ·

واما أنت - يا فضيلة استاذنا الكبير وشيخنا باديس - فلئن كنت أحلمنا صدرا وألييننا كتابة فى الاصلاح - فلقد كتبت الحق كتابة كلنا يتمنى لو سبقك اليها · كتبت الحق كتابة ليس شيء من الأشياء بقادر على محوها ، فستبقى لك بقاء الدهر ، وسيخلد ذكرك بها ما دامت السماوات والارض ، وكيف ظنك بكتابة كتبتها بدمك الزكى الطاهر ؟

ان تكتب الحق الدماء فانت من*كتبت دماؤك للهدى صفحات

فلك فى الأمة ما لرجال العلم والعمل ، وستكون فى الآخرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا· وأنت أيها (الشهاب) الكريم لا تصدق ولا تعتقد ان هذه آخر إذاية لقيتها ولقيها حزبك الاصلاحي من أولئك الذين لا يعلمون ، فما احسبك أنت ولا رجالك المصلحين تسلمون من « أذى » القوم ما دمتم فى هذا الصراط المستقيم تجاهدون فى سبيل الله وفى سبيل الجزائر · وسوف لا يردون علينا بالهراوي والعصي لانهم يخافون عقاب الحكومة لا عقاب الله · ولا يردون علينا بالعلم لأنهم (قوم) لا يفقهون ·

وانتم أيها المناهضون المشاغبون بغير هدى ولا كتاب منير : لم تحاجون فيما ليس لكم به علم ؟ ولم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ انتهوا خيرا لكم · وهذا صاحبكم الجانى العليوي لم تغن عنه من العقاب شيئا عناية الشيخ (أو همته كما تقولون) ·

آخر محاولة للسطو بالشيخ ابن باديس ؟

أول محاولة دبرها (القوم) للسطو بابن باديس كانت ـ كما مر ـ فى قسنطينة بتاريخ 14 ديسمبر 1926 م ، فكتب الله له السلامـــة ، وباءوا بالخيبة والندامة ٠

ولكن هل أقلعوا عن غيهم ؟

ذلك ما يحدثنا عنه الشيخ الفضيل الورتلاني رحمه الله ، وهو يقص علينا أنباء رحلة الشيخ الى ناحية برج بوعريريج فى سبيل الدعوة الى الله ـ التى بنيت على ما جاء فى قوله تعالى : « **قُل هذه سبيلِيَ أدعو الى الله على بَصِيرةٍ أنَا ومن اتَّبعني وسبحانَ الله وما أنا من المشركين** » وقوله سبحانـه ـ « **أدعُ الى سبيل ربك بالحِكمةِ والموعِظةِ الحَسنـــةِ وجادِلْهــم بالتى هــى أحسَنُ** » وكلتا الآيتين مكتوبة فى صدر الشهاب كشعار لأسلـــوب ابن باديس فى العمـــل ٠

وقعت هذه الرحلة ـ الى البرج ـ فى المحرم من عام 1353 (أبريل ـ ماي 1934 م) ونشرنـــبأها (الشهاب) فى عدد صفر ـ مايو ٠ وروى أحداثهـــا الشيخ الفضيل الذى رافق أستاذه رحمهما الله.والشهاب يتبين عند مجىء كل نبإ ، والراوي ثقة حريص على تجنب كل الريب ٠

ولعل الداعي الى محاولة القوم الجديدة توهم العليويين أن الخطر أصبح على أبواب قلاعهم فى تلك الجهات ، اذ لا ننسى أن ميمن محمد الشريف ـ الذى تولى كبر محاولة السطو بالشيخ الاولى ـ من قرية الجعافرة حوز مجانة دائرة

البرج،وكان بالبرج نفسه مركز هام لدعوتهم ، وتوجيهها نحو بلاد القبائــل التى كان يراد محو كل أثر فيها للطريقة الرحمانية التى تجرأ ابن الحداد ـ أحد شيوخها ـ على تأييد ثورة المقرانى ٠

فلما حل ركب ابن باديس ببلد البرج ، زين لهم ان يتآمروا ، وقـرروا ان يحولوا بينه وبين الاتصال بالشعب ان استطاعوا ، اما بتدخل من السلطة الفرنسية نفسها واستعمال حكامها وقوانينها ، وايهامهم بخشية حدوث الفتنة والشجار ٠ واما باشعال نار الفتنة بالفعل ومحاولة الفتك بالاستاذ ٠

يقول الشيخ الفضيل :

« هنا يجب ان أرتب الحديث لاستقصى الادوار التى حاول حزب الشيطان القيام بها وكيف اخفقوا ، وماذا كان موقف حزب الله ازاء جنونهم ٠

بينما نحن فى تبادل اطراف الحديث بين أسئلة دينية وابحاث علميـــة ـ اذ بنبا القوم العليويين ومن ضموه اليهم من الطرق الاخرى يرأسهم سى محمد ابن ساعد ـ يتألبون على وفد الجمعية ويظهرون سخطهم عليه ويتآمرون فيما بينهم على ألا تفوتهم هذه الفرصة فى نظرهم دون ان يحدثوا فيها فتنة يشوهون بها الجمعية » اهـ ٠

وهنا يقص الكاتب ان شيخ مدينة البرج كان قد اذن فى الاحتفال بقاعة الافراح ـ وهى قاعة توجد فى كل بلدية تقام بها الاحتفالات الشعبية ، وقد قبل الشيخ ابن باديس ان يلقى فيها الدروس فى الرحلات ، لان المساجـد الرسمية ـ محل الدرس الدينى ـ كانت ممنوعة على العلماء ، والزوايا لا تسمح لابن باديس ان يدرس بها ـ واما هذه القاعات فانها تابعة للبلدية ، ويمكن للنواب البلديين المسلمين ان يطالبوا بحقهم فيها فتعطى لهم وهذا ما فعلـه نواب «البرج» المسلمون ، فاستجيب لطلبهم ٠ ولكن الشيخ المقدم ـ وكان أيضا نائبا بلديا معهم ـ ذهب بمفرده الى شيخ البلديـــة الفرنسى دون ان يعلمهم ـ ثم لحق به وفد الجمعية الذى جاء ليؤدى زيارة مجاملة ـ فوجدوه عنده ٠ يقول الشيخ الفضيل :

« وجدوا الشيخ المقدم سبقهم عند شيخ البلدة ـ وهو نائب بلدى يصول ويجول ويحتج ضد هذه المحاضرات التى ستلقى بدعوى انها ستثير فتنة ويكون

وراءها ما يكون · ومن جملة ما ذكره ـ في وجوه وفد الجمعية أمام المير ـ ولم يحترمه ! ـ انهم ـ يعنى الجمعية ـ بولشوفيك ـ ! ـ يريد بذلك ادخال الريب على المير بهذه الكلمة ··. ظنا منه ـ أو غباوة ـ أن المير لا يفهم البولشنفيك أو الكمونيست أو العلماء أو غيرهم من الاحزاب ··· » اهـ ·

واخيرا تساءل « المير » لماذا يخاصمون العلماء ؟ فاجاب القائد : انهم يكرهون العلم لا غير ·

ولم تفد هذه الوسيلة لان شيخ المدينة لم يكن من مصلحته اثارة غضب سكان بلدته ، والمشاركة في القضاء على الحريات العامة ومنها حق النواب المسلمين فى الاجتماع بمواطنيهم واستعمال قاعة الافراح فاعلن انه سيعطيهم قاعة الافراح ، وسيتكلف كوميسار الشرطة واعوانه بحفظ الامن ، ضد كل تشويش ومشوش ·

ثم يقول الشيخ الفضيل :

« خرج الشيخ المقدم يشبه من قامت عليه البينة فى كبيرة ، على انه لم ينثن عزمه واعاد الكرة ثانيا بصفة مدهشة فجمع حزبه الملفق واغراهم ـ كما قيل ـ على التوحش ، وان يفتكوا ويبطشوا بالاستاذ فانتشر الخبر فى المدينة فما كاد يعمها حتى اجتمع جيش عظيم من الشبان لولا العقلاء من الكبار لانتقموا منهم شر انتقام قبل تحقيق هذا الزعم » ·

ثم روى خبر مجيء خلق كثير من سكان القرى والبوادى ، القريبة من البرج منهم أهالى قرية « قلعة بنى عباس » الذين لم يبلغهم خبر الاحتفال الا فى نفس اليوم ، لولا ذلك لحضر منهم العشرات · وكانت قلعة بنى عباس قلعة الاصلاح ، وهى قريبة الموقع من قرية الجعافرة ·

وهكذا تكون هذه المحاولة آخر ما هم به العليويون فى حياة شيخهم وامامهم الذى توفى بعدها بشهور ـ فى 2 ربيع الآخر 1353 هـ ، وقد توفى ابن باديس فى 8 ربيع الاول 1359 ·

وعند الله تجتمع الخصوم « **إنك ميّتٌ وانهم ميّتون،ثمّ إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ».« **إلى الله مرجعكـم جميعاً فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون** » صدق الله العظيم ·

ملحق أخير :

واذا كانت هذه آخر محاولة للسطو بابن باديس ـ وقد كان مآلها الفشل كالاولى ، وبيقظة الامة وتحركها ـ فان محاولات هذه الفرقة ـ ضد العقائد السليمة ، والسنة الصحيحة ، ما تزال متوالية حتى اليوم ؛ فقد تحركت أفاعيها وعقاربها · فى المدة الأخيرة ، ونشطت نشاطا كبيرا .

وبلغني أن الجرأة بلغت بهم أخيرا (1403 هـ) الى عقد (مؤتمر) كبير فى قرية (الجعافرة) مسقط رأس المتآمر الاثيم ممين محمد الشريف الذى حاول ان يذبح ابن باديس ، ويسدد السهم القاتل فى نحر الاسلام كما قال التبسى، فقد كانت المآمرة ضد الاسلام وأمته ·

فلتكن أمتنا على حذر ، وليعلم المبطلون أننا لهم بالمرصاد ، ولن يكتب النجاح ـ بحول الله ـ للباطنية والحلولية والاتحاد ـ فى وطننا الملتزم بكتاب الله وسنة رسوله · « **والله من ورائهم محيط** » .

القسم الثاني

هــذا القســم

حاولنا فى هذا القسم ان يعرف قراؤه هذه الطريقة على حقيقتها : ما هى ؟ وما أصلها ؟ كيف نشات ؟ من هو منشئها ؟ ما هى المبادىء التى كانت تـروج لها ؟ وما هى طرقها فى العمل ؟ ما هى الآثار التى أحدثها ظهورها فى الميدان ؟ ماذا يأخذه عليها خصومها ؟

جواب هذه الأسئلة يؤخذ من ثنايا الفصول التالية ، التى اعتمدنا فيها على مصادر لا يتطرق اليها الشك ، لانها صادرة عن أقطابها ، أو معترف بها منهم ، قد أقروها أو روجوها بأنفسهم ، وسيد الأدلة الإقرار ٠

تجد فى هذه الفصول التعريف بزعيمهم الأكبر ، منشىء الطريقة ، واسلوبه فى ترويجها ، وتجديدها ٠

طريقتهم فى عبادة الله وذكره ! الحضرة ، الرقص ، الغناء ، الاعتماد على الأحاديث الموضوعة ، كذب على الصحابة ، أثر الباطنية واليهودية فى (الذكر) وأسلوبه ، الإلحاد فى أسماء الله الحسنى ٠

القول بالحلول ووحدة الوجود ، الشطحات الصوفية ، شطحات الشيـخ ابن عليوة ، هل يصدق عليها اسم « الشطحات » الصوفية وهل هى من المعفو عنه ؟ أقوال فظيعة واصرار عجيب ! نائمون قلوبهم يقظة ٠

الفرسان الثلاثة وتسابقهم فى الميــدان

لهذه الطريقة ثلاثة فرسان ، أقوالهم المروية عنهم :

من أقوال الشيخ ابن عليوة : فساد فى اللفظ والمعنى :

علم الباطن وكتمان الرسالة ! نوم يغنى عن ذكر الله ، اثبات الجهة لله ، علامات وصل الواصلين ، عمن ورث الحلول ؟ ليلى وعاشقها تصوير فظيـــع ٠

هو ذات الرحمن ـ تعالى الله ـ فريد فى الزمن ـ فتشت عليك يالله ، لست سواك يالله ! جنة رضوان فى مستغانم ! ذوق فاسد فى مدح النبىء صلى الله عليه وسلم · أهو اعراض وصدود ؟

من أقوال ابن الحبيب :

فساد فى اللفظ والمعنى أيضا

التلميذ نسخة من أستاذه ، الكون فى قبضتى ! رؤية الله جهرا.ضريحه بيت المعمور ! دعوة الناس لشد الرحال اليه ·

رفع الحجاب ومشاهدة الرب ، الخمار الاعظم ، كل غوث وقطب وولى تحت حكمه خاضع له ، الفلك الدوار فى قبضته ·

من أقوال الشيخ عده بن تونس : التلميذ كأستاذيه ·

من رآه ـ فى زعمه ـ رأى الله ! ـ أنت مخلق وغير مخلق ، الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ! رسول الله يعلم ما فى الصدور ! الموتى يتكلمون ! مولى سطوة! أعبد الله أم مخلوق ؟ عبادة المخلوق بالدعاء ·

يشتمل هذا القسم فى التعريف بالطريقة وفرسانها على فصول ·

نشـأة الطريقة العليوية

الشيخ أحمد عليـوة من هو ؟ وما هو ؟

بـدع يعترفون بأنهم يعبدون اللـه بهـا

الفصـــل الأول :

الشيخ أحمد بن عليوة هو الذى تنسب اليه الطريقة وهو صاحب هـــذه الابيات المسؤول عنها ، والمستفتى فى شأنها ، وكانت موضوع نقد الشيـخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ومهاجمته وتفنيده ، وقد نشرت الابيات ضمن ديوان (شعر) طبعه الشيخ واذاعه عام 1920 م ، وكان محل تقدير من اتباعه وتأثير فيهم ٠

وكانت الطريقة العليوية ـ التى احدثها ـ وجدد بها الطريقة الشاذلية التى ورثها (قد امتدت فروعها فى الحاضر والبادى ، وتأسست جموعها فى أغلب النوادى (1) ٠٠٠ وكان بعض القبائل يحاول رؤساؤهم بكل إلحاح فى طلب من يصل الى ناحيتهم من رجال هذه الطائفة) (2) ٠

وقد ولد الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة بمدينة مستغانم أثناء الثلث الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى (سنة احدى وتسعين ومائتين وألف وبها توفى فى 4 ربيع الآخر 1353 هـ ، ودفـن بزاويته العامرة وهو من عائلة شهيرة تخرج منها عدد كبير من القضاة، وينتسب الى جده الرابع فهو أحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد المعروف بالقـــاضى

---

(1) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 5 ٠
(2) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 5 ٠

ابن عليوة

ابن محمد ابن الحاج علي المعروف عند العامة بعليوة ... ابن غانم القادم من الجزائر بقصد السكنى بها ، (ذكر ذلك صاحب كتاب الحلل المرضية في شرح الرسالة العليوية ، ص 6) .

وقال صاحب كتاب : (الشواهد) : (بلغنى ممن يوثق به انه من قبـــل احتلال الجزائر الى يومنا هذا ــ يعنى عام 1342 هـ ــ مر نحو 6 قضاة من عائلة الاستاذ،آخرهم ابن عم له يدعى الشيخ ابن هشى ابن الحاج حمو بن عليوة(3)اهـ وقد يدل هذا على عراقتهم فى التعاون مع العدو !

اما الشيخ أحمد نفسه فلم يكن له حظ كبير من الثقافة والعلم باجماع من عرفوه وترجموا له ، وبشهادة آثاره من (الشعر) والنثر ، وقد اعترف بتقصيره فى الطلب وضعف كتابته بالقلم فقال فى نظم رسالته العليوية :

معترفـا بتقصـــيرى فيمـا اعلـــم وضعـف الانامـل لاخـــذ القلـــم

وقد زعم شارح هذه الرسالة تلميذه محمد بن الصالح التمسمانى انه : (يعترف رضى الله عنه بتقصيره لما يرجع لمعلوماته الفقهية) صفحة 9 من الشرح وان ذلك تواضع منه (فهو وان لم يشتهر بتعاطى الدروس فى العلوم الظاهرة فقد كان له منها القدر الذى يجعله افقه أهل زمانه) (من أيـــن له ؟) قال : (بناء على ان العلم كما قال امامنا مالك رضى الله عنه ليس العلـــم بكثـــرة الروايات انما هو نور يضعه الله فى قلب من يشاء .

ثم زعم هذا الكاتب انه ناظر بعض علماء الوقت فبانـــت مكانته ، فيمـا تناظروا فيه وقالوا له بلغنا عنك انك **لم تتعاط شيئا من الدروس** فأجابهـــم بقوله : (استغفر الله فهو قول الله سبحانه) : « **وتِلكَ حُجَّتنا آتيناها إبراهيم على قومه** » .

وهذه الحكاية من شارحه وتلميذه تروى عنه انه كان معروفا عند العلماء المعاصرين له انه لم يتعاط شيئا من الدروس ، والمراد تعاطى الطلبة الدارسين لها ، المقبلين على طلب العلم ، واما حضور دروسها ، فان العامـــة فى بلادنـا يحضرون ، وهذا الشيخ يزعم ويزعم له ان علمه لدنى ، وروى عنه هذا الشارح

---

(3) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 1 .

(صفحة 9 ـ 10) ما يؤيد هذا الزعم وانه ذكر له ذات يوم انه اعطى ملكة الفهم وسلامة القريحة ما يجعله يكتفى بختمة واحدة فى تحصيل ما يحتاج اليه ، وانه ختم مختصر خليل ، وألفية ابن مالك مرة واحدة ٠

ولكنه مع ذلك كان يتوقد ذكاء ودهاء فى معاملة الناس سواء كانوا من مريديه واتباعه واصدقائه أو كانوا من خصومه ومقاومي طريقته ٠

قال عنه الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى التلمسانى : مفتى مستغانم وهو من المعجبين به العارفين بأحواله : (نشأ فى بلده بين اظهر قومه وتربى فى حجر والده وعشيرته **خاملا** متدينا مشتغلا بما يعنيه ، **ولما بلغ الرجولة دخل طريق القوم الصوفية** ٠٠٠ فتردد بين من شاء من أهلها حتى ظفر بقسمه وظهر بحكم وقته فى تدينه ، مالكى المذهب ، أشعرى العقيدة ، شاذلى الطريقة، يحضر الجماعة والجمعة ويرغب فى الخير » (4) ٠

شيخه فى السلوك :

يفهم من شهادة الشيخ المفتي أنه تردد على غير واحد من أهل التصوف وتردد على من شاء منهم ، ولكنه صاحب الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدى المستغانمي ، شيخ الطريقة الشاذلية بمستغانم أكثر ، وكانت هذه الطريقة منتشرة فى المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر ، وهى تنسب الى الشيخ أبى الحسن الشاذلى دفين مصر ، وقد اتصل الشيخ محمد عبده رحمه الله بأحد تلاميذ الشيخ المدني كان مستقرا فيها هو الشيخ درويش وتأثر به ـ والشيخ المدني كان من شيوخها ومقره ليبيا ٠

ودامت صحبة الشيخ ابن عليوة لاستاذه محمد بن الحبيب قريبا من خمسة عشر عاما خدمه فيها بأدب ، ولم يال جهدا فى مرضاته ، حتى مات وهو عنه راض ، وبذلك يعترف له عموم اخوانه (5) ٠

وفى ذلك يقول الشيخ ابن قارة فى شهادته :

« كنت أشاهده ملازما لشيخه بادب كثير وهو
راض عنه حتى توفى فناب عنه وخلفه » (6)

---

(4) المصدر المذكور ، ص 12 ٠
(5) أنظر المصدر السابق فى نفس الصفحة ٠
(6) حاشية الشواهد ، ص 5 ٠

والادب الجم ، والسلوك الحميد مع الشيخ واكتساب رضاه له أهمية كبرى عند القوم ، وقد يكون السبب الاوحد لنيل خلافته والنيابة عنه بعد مماتـه ، والظفر بـ : « قسمته » ويراد بهذه « القسمة » « نصيبه من معرفة الله الخاصة التى هى غاية كل سالك فى طريق الله عز وجل وما أوجبوا صحبة المشائـخ على المريدين الا من أجلها » (7) ٠

قال ابن عاشر :

يَصحبُ شيخاً عارفَ المسالِكْ   يَقيهِ فى طريقِهِ المَهَالِكْ

تجديد الشيخ أحمد بن عليوة :

توفى الشيخ محمد بن الحبيب يوم الاثنين 10 شوال 1327 هـ (1909م) وخلفه من بعده فى مشيخة الطريقة بمستغانم الشيخ أحمد بن عليوة ، وكان فى عنفوان شبابه وقمة نشاطه ، فاذا كان دخل فى الطريقة لما بلغ مبلغ الرجولة (8) وعاش فى خدمة شيخه المذكور ملازما له ما يقرب من خمسة عشر عاما (9) فان سنه يوم آل اليه هذا الارث ، وتولى قيادة القوم ، وإرشاد (الإخوان) يكـون فى الثلاثينات من عمره قد بلغ أشده ، وكاد يستوي ٠

لم يكتف الشيخ بالأساليب العادية لدى مشائخ الطرق ، أو بما ورثه عن سلفه ـ ومنها إقامة حلقات الذكر التى تدعى (الحضرة) ولها آداب معلومـة عند القوم ، وربما رأى هذه الاساليب عتيقة ، وقديمة بالية ـ بل جدد أساليب الدعوة الى الطريقة ، ونسبها الى نفسها فدعا ، (الطريقة العليوية) أو دعيت هكذا تكريما لنشاطه وبراعته ، ومن أساليب تجديده اتخاذه (الخلـوة) وتهيئته فيها الاسباب للمختلى حتى يتوهم رؤية الله بعينيه جهرة ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ أو يرى والديه الهالكين ، أو يرى خوارق للعادة ـ ، ومنها تأسس فرقة للدعاة المتجولين ، تعقد اجتماعات وتتخذ قرارات ، كما يتبين ذلك مما يأتـى :

---

(7) حاشية صفحة 13 من المصدر المذكور ٠
(8) شهادة الشيخ ابن قارة فى كتاب الشواهد ، ص 12 ٠
(9) كتاب الشهائد ، ص 5 ٠

الخلـــــوة :

« هي بيت يدخله من مريديه تارة واحد وأخرى هى ··· ولا يتجاوزون لعدد أصابع اليدين الا واحدا ··· مرسوم بهذا البيت أمام المريد « اللـــه » ينظر اليها أيام اقامته بالخلوة التى يفقد فيها الاكل ولا يخرج منها حتى يشاهد (الله) جهرة أو يرى أبويه الهالكين أو شيئا آخر ، واذا خرج المريد من الخلوة صار محبا للشيخ وأخا مخلصا لمريديه عدوا أزرق عن عاداهم (10) ·

ومن التنظيم الذى رتبه الشيخ للمريدين ان يعقدوا اجتماعات تنعقد من هؤلاء المريدين شبه جمعية فدائية آونة أو شبه لجنة تنشر الدعوة غالبا ·

ففى الحالة الاولى تبحث عمن يستنقص الشيخ أو يجرح عواطفه لكى تحل به غضبها وتنتقم منه لشيخها ، وقد تكررت اعتداءاتها على من لم يؤمن بغوثية شيخهـــا ·

وفى الحالة الثانية ينتقل بعض أعضائها فى البلدان ويتحدثون عن الشيخ وما له من الاسرار ، ويشترون بعض أصحاب الذمم الخربة ممن ينتسبون للعلم لكى يشهد لشيخهم ، أو يؤلف كتابا باسمه يصطادون به البسطاء ويغرونهم بانه عالم كبير بل بحر لا ساحل له (11) ·

كتاب الشهائد والفتـــاوى :

والكاتب يشير بقوله المنتسبين الى العلم ·· ـ بلا شك الى مثل صنع الشيخ محمد بن عبد الباري التونسي الذى أقدم على نشر كتاب باسمه سماه « الشهائد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوى » وطبعه فى المطبعـــة التونسية ، وجعله ردا مباشرا على رسالة الشيخ عبد الحميد بن باديس التى عنوانها « جواب سؤال عن سوء مقال » والتى قرظها كبار علماء تونس والجزائر والمغرب ، وضللوا من تجرأ على مقام النبوة ، واساء الادب مع من أمرنا بتعزيزه وتوقيره وحبه عليه الصلاة والسلام ، واعلنوا تصحيحهم لما قال ابن باديس وتاييدهم لموقفـه ·

---

(10) جريدة الشهاب عدد 78 يوم الخميس 2 رجب 1345هـ ـ 6 جانفى 1927·

(11) المصدر السابق ·

كما كان ذلك الكتاب ردا على حملة صحفية كاشفة لما تعلنه طائفة العليوية خصوصا وبعض رجال الطرق الصوفية عموما من أقوال أو أعمال منافية للشريعة الاسلامية مصادمة لها وما تتركه فى الامة من آثار سيئة دينية واجتماعية ٠

وقد زعزعت هذه الحملات : ـ برسالة ابن باديس ، وبمقالات أصحابه من المصلحين ودروسهم ـ زعزعت نفوذهم وهددت أركان بنيانهم ، وتحرجوا منها ، أيما حرج ، وزرعت الشك فى عقائدهم وفى شخصية وأقوال وأعمال شيخهم ، وكان قبل هذه الحملة قد انتشر نفوذهم أنتشارا عظيما فامتد الى المغرب والى تونس ، واجتاز البحر الى فرنسا وبريطانيا ، وكادت الطريقة العليوية (تبتلع) غيرها من بقية الطرق الصوفية وتعفى على آثارها بفضل تنظيمها ونشاط دعاتها ، ودهاء شيخها ٠

لم يكن مؤلف كتاب الشهائد والفتاوى من علماء تونس البارزين وكتابها المشهورين ، لهذا لم يعتمد على الرد العلمى ، ومقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ، وانما عدل الى التماس شهادات رسمية مستخرجة من المحاكم الشرعية بوثائقها وتسجيلاتها ودفع أجورها كما فعل لما التمس شهادة محكمة مستغانم الرسمية ٠

وقد ختمت الشهادة بقول الموثق التقليدى « شهد به من علمه وتحققه بتاريخ السابع عشر جانفى سنة 1924 م ، اجرته بترجمته أحد عشر فرنكا وخمسة وعشرون سانتيما وواجب السطور ثلاثة فرنك واثنا عشر سانتيما قبض الكل تحت عدد 363 بادارة الدومين بمستغانم يوم 18 جانفى 1924 م ، ٠٠٠ الخ (12)٠

وهكذا فليكن الرد وليجدد أسلوب النقد !

لقد اكتفى صاحب الكتاب بتوجيه اسئلة يوجهها الى اشخاص معينين ويتلقى اجوبتها ثم يسجلها كما تقدم ٠ من هذه الاسئلة ما وجه الى مفتى مستغانم يقول فيها : هل اتضح عندكم من سيرة الشيخ ما يخل بالشرع

(12) كتاب الشهائد ، ص 11 ٠

الشريف ؟ وهل هو عندكم ممن يعضد السنة والجماعة ؟ وهل ما جرى على لسانه من الشطحات كان مسبوقا بمثلها ؟ وهل ما اعتاده اتباعه من الرقص بالذكر والتغنى بالاشعار هو عندكم مما لا شبهة فيه ؟ (13) .

وقد كان الذين وجهت اليهم الاسئلة فاجابوا ، وشاركوا بأجوبتهم فى تأليف هذا الكتاب اما علماء موظفين ، متصلين بالادارة الفرنسية خاضعين لنفوذها ؛ معرضين لسطوتها وانتقامها ـ وأعظم بارهابها وانتقامها فى تلك الايام ـ ! (1924 ـ 1925 م) ، من قضاة ومدرسين ورجال الافتاء ، واما أجانب عن الموضوع ليسوا من أهل العلم ولا يدعونه كنواب المجلس وأعضاء البلديات ورؤساء القبائل ، واما علماء منسبين الى العلم خاملا ذكرهم مجهولة أسماؤهم فى المغرب أو فى تونس أو فى بعض جهات الجزائر .

ومن الملاحظات التى لابد أن تلفت الانتباه ان « المؤلف » وجه أسئلته الى قاضى تلمسان الشيخ شعيب رحمه الله ، وكان هذا الشيخ ممن قرظ رسالة الشيخ عبد الحميد بن باديس وعلق عليها ، فتحرج موقفه ، ولم يربدا من قوله يخاطب سائله التونسى (لما عزمت على الجواب حصل لى ألم اضنانى فامليت على ولدى هذه الكلمات ... وهى أننى اكتفيت بجواب الشيخين المفتيين ... حيث انى كنت عازما على القول فيها بمثل ما قالا ، ولانهما ادرى منى بحاله ... » ويعنى بالشيخين : عبد القادر بن قاره مصطفى مفتى مستغانم وضواحيها ، ومحمد ابن الحاج علال مفتى تلمسان ونواحيها ويقول : (لكون الأول ببلده ومصره ، والثانى عاشره مدة سبعة وعشرين عاما » (*) .

وهذا تملص واضح من الشيخ شعيب ينجو به من مخالب من أراد به سوءا اذا لم يجب ، ولا يوقعه فى تناقض مع تقريظه لرسالة ابن باديس وبتعليقه بقلمه عليها .

اسلوب أجدى فى المقاومة :

ولم يغن هذا الكتاب عن أصحابه شيئا فى دفع الاثر الكبير الذى تركته رسالة (جَواب سؤال عن سوء مقال) على موقفهم وموقف شيخهم خصوصا وقد

(13) المصدر المذكور ، ص 12 .
(*) كتاب الشهائد ، ص 23 .

دعمت من قبل اشهر علماء تونس والجزائر والمغرب الذين اطلعوا على ما جـاء فيها واقروه وأيدوه وضللوا صاحب الشطحة الصوفية بذلكم الشعر السخيف البارد كما وصفه قاضي الجماعة بتونس الشيخ محمد الصادق النيفر · ومن نشر الرسالة واشتهارها توالت الهجمات الصادقة العنيفة على أقوال وأعمال القوم المنتسبين الى الصوفية ، عندنا ، وكشف أمرهم ، وانهم لا يمثلون طريق الصوفية كما هي سيرة اقطابهم لم ينفع هذا الكتاب ، ولا مقالات صحيفتهم (لسان الدين) ولا تقلب جريدة (النجاح) ووقوف أصحابها في جانبهم ، خاضعين لاساليب الترغيب والترهيب معلنين توبتهم من موقف لهم سبق في نشر بعض مقالات المصلحين ·

لهذا قرروا أن يردوا على المصلحين بأسلوب آخر يملكون وسائله ويتقنون فنونه ، هو أسلوب العنف ومحاولة الفتك بهم · كما وقـع مـع الاستـاذ ابن باديس رحمه الله ومع كاتم سره السيد أحمد بوشمال ·

مقاتـل العليويـين والمبتدعـين :

كان من مقاتل خصوم الإصلاح عبادة الله (بالرقص) ، وما يقع فيها من قول وفعل ينافي السنة وان حرصوا على الادعاء انهم يلتزمون بها ، واقامـة (الحضرة) ، وإعلان الشطحات من أقوال تؤذي الله ورسوله كالقول بالحلول، ووحدة الوجود . واتهام النبيء صلى الله عليه وسلم بالدلال والترفع عليهم ، ودعوته الى المحاكمة أمام الله كما تضمنتها الابيات التي انتقدها ابن باديس وأخيرا الالتجاء الى العنف والاقدام على محاولة الاغتيال لخصومهم ·

الحضرة ـ عبادة الله بالرقص :

هذا ما كان ينكره حزب الاصلاح على الطرقيين عموما وقد التزمه العليويون ودافعوا عنه ووضعوا له آدابا واسماء ، ورفعوا سنده الى الصحابة رضوان الله عنهم ، واستشهدوا بأحاديث لا يعترف بها المختصون من رجال الحديث ولا تصح عندهم ولا تستحسن · يقول الشيخ عبد القادر بن قاره مصطفى مفتي مستغانم في جواب سؤال نصـه : هـل ما اعتاده أتباعه مـن الرقص بالذكر والتغني بالاشعار هو عندكم مما لا شبهة فيه ؟

« الذكر علـى هذا الوجه هـو المعروف عندنا (الحضرة) ، وهى اذا كانت مستوفية لشروطها وآدابها المعلومة عند القوم ··· سالمة من الموانع الشرعية لا شبهة عندنا فيها (14) .

والحضرة (عبارة عن اجتماع الذاكرين لله تعالى على وجه مخصوص وكيفية معلومة ···) أذكارها دائرة بين الهيللة (لا اله الا الله) والاسم الاعظم : اسم الجلالة (اللـه) واسم الهوية (هو) ، واسم المتاوهين المعنون عنه باسم الصدر (اهـ) اقتطافا من اسم (اللـه) اكتفاء بأوله وآخره ـ وعدوا ذلك من خواصه ، واسم المتولهين (هـو) باسكان الواو سكونا ميتا أو (هـ) بلا واو عـلى تدريج وترتيب عندهم على حسب حال الذاكرين .

رقص وغناء يرفع الى حضرة القدس !

ثم يقول وكيفيتها (الحضرة) التحلق والاهتزاز بحركة متزنة مع شيء مـن السماع للتشقق والتنشيط ، وقصدهم بذلك جمـع القلوب على طاعة اللـه ، واستعمال الجوارح فى طاعة اللـه عـز وجـل ، ودفع الكسل والفتور والنوم وجريان المدد بين المجتمعين من القوم ، وقد جربوا ذلك فوجدوا لـه خاصة فى تنويم القلب وتهييج سلطان الحب والزج بصاحبها فى حضرة القدس والانس والقرب . وقد قال سيدى أحمد بن يوسف ··· ذكر (الحضرة) أوله لسان ووسطه قلب وآخره روح (15) .

افتـراء عـلى الصحـابة

ومن أنكر المنكر ان يستدلوا لشرعية هذه (الحضرة) بعمل بعض الصحابة والتابعين ، ذكروا ان بعض أهل التفسير : ـ الالوسى ـ نقل ان ابن عمر وعروة ابن الزبير وجماعة من الصحابة خرجوا يوم العيد للمصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم لبعض أما قال الله تعالى : « **يذكُرون اللّهَ قياماً وقُعوداً وعلى جُنُوبِهم** » ؟ فقاموا يذكرون الله على أقدامهم (16) .

---

(14) ص 16 من كتاب الشهائد ـ الشهادة الثانية .
(15) ص : 16 و 17 من كتاب الشهائد ـ الشهادة الثانية .
(16) الشهائد ، ص 16 حاشية .

لو صــح النقل والخبر ، واستقام عنــد ارباب الصناعة فليس فيــه اذن باجتماع القوم ، والقيام ، والجهر ، والتطريب والتلحين ولروى عنهم بجماعة مستفيضة ، لو صح لما دل مطلقا على (الحضرة) التى عرفت عن القوم وصورها بأمانة قلم الشيخ المفتى ، وحدد لها شروطها وآدابها ، وعين لها الفاظا ليس فيها ما هو من الذكر الشرعى سوى كلمة « لا إله إلا الله » ووضع لها أسماء الهيللة ، والاسم الاعظم واسم الهوية وهو اسم المتأوهين والمعنون عنه باسم الصدر واسم المتولهين ، أما كلمات (هو) و (اه) و (هـ) الخ فانها بأصوات الحيوانات العجمى أشبه منها بأصوات العقلاء ٠

وأما الاهتزاز والرقص فقد احتجوا لــه بما زعموه مرويا عن رسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم « ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب ٠٠٠ سبــق المهتزون بذكر الله ٠٠٠ يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا » ورائحة الوضع تفوح من هذا الكلام ٠ ومنذ عهد السلف كان من أكبر الوضاعين للحديث جهلة المتصوفة ٠

وضع حديث عن أبي بكر

كما احتجوا له بما روى ان أبا بكر الصديق رضي اللــه عنه لما تبرع بماله كله وجاء به لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى التهيؤ لغزوة تبوك ـ سأله « ماذا أبقيت لأهلك ؟ قال : ابقيت لهم الله ورسوله » ٠

فهذا حديث رواه الترمذى وأبو داود من أهــل السنــن ، ولكن الوضاعين زادوا فيه زيادة وضعوها ولم ترو لا بسند صحيح ولا ضعيف ٠ قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : « اختلق بعضهم زيادة فى الحديث ان النبى (ص) قال له يا أبا بكر ان اللــه راض عنك فهل أنت راض عنــه ؟ فاسفزه السرور والوجد وقام يرقص أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا كيف لا أرضى عن الله ؟ ثم ذهبوا يجعلون من هذه الزيادة المختلقة دليلا على مشروعية الرقص والدوران فى حلــق الذكر ٠٠٠ فهو دليــل مختلق لم يثبت فى حديث صحيح ولا ضعيف ان أبا بكر قام يفعل ذلك » وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يقر أحدا على فعل حرام بحضرته ٠

ثم قال الدكتور : « فإدخال الرقص ـ مهما كانت كيفيته فى ذكر الله تعالى إقحام لما هو مكروه أو محرم فى عبادة مشروعة ··· اضف الى ذلك ما يتلبس به حال هؤلاء (الذاكرين) من التفوه بأصوات ليست من الفاظ الذكر فى شيء وانما هى حمحمات وهمهمات تصعد من حلوقهم ليتكون منها دوى متناسق معين ينسجم مع تواقيع المنشدين والمطربين ··· كيف يكون هذا العمل عبادة والعبادة ـ كما نعلم ـ هى ما شرعه الله تعالى فى كتابه أو سنة رسوله لا يزاد عليها ولا ينقص منها » ؟

ثم نقل الدكتور عن الإمام عز الدين بن عبد السلام قوله :

« واما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشبهة لرعونة الإناث ، لا يفعلها الا راعن أو متصنع كذاب » ·

وقال الدكتور : واعلم ان هذا الذى نقوله هو ما أجمع عليه علماء الشريعة فى مختلف العصور » انظر كتابه « فقه السيرة » فى كلامه على غزوة تبوك · صفحات : 408 ـ 409 ـ 410 ، طبعة جديدة ـ دار الفكر ـ بيروت ·

النسبة الصحيحة لذكر الصدر

ولعل النسبة الصحيحة للذكر الذى عنون له المفتى باسم المتاوهين ـ وقال عنه أنه (اهـ) وأنهم فيه « يذكرون الله بصدورهم دون السنتهم ويكرون مثل السباع » (17) وأنه عندهم « ذكر أهل الحقيقة ··· وذكر أهل الفراسة الصحيحة ··· فاذكر ولا تنكر ومن أنكر فقد أنكر الحق وأهله (18) لعل النسبة الصحيحة لهذا النوع من الذكر أنه يهودي المصدر ، وليس بإسلامي ، ولا يرتفع الى الصحابة الأبرار الأخيار ، ولكن يرتفع الى التوراة التى شهد الله أنهم حرفوا وبدلوا وغيروا فيها ، وحتى على فرض النص فيها فانه منسوخ ما لم يجدده شرعنا ·

وجزى الله الغفلة أو (الذكاء الخارق) لصاحب كتاب الشهائد الذى نقل النسب الحقيقي لهذا النوع من الذكر اذ قال ـ وهو يتحدث على المخترعين لهذا

---

(17) الشهائد ، ص 17 ·
(18) الشهائد ، ص 18 ·

النوع ويزعم أنهم ألهموا اليه الها ما ثم اقرهم على الهامهم النبيء صلى الله عليه وسلم والخضر ـ قال ما نصه:«قال الاستاذ ومما يشعرنا بصدق الهامهم ويزيدنا استغرابا في توفقهم لما هنالك هو موافقتهم بتكرير صدورهم اسما من اسماء الله تعالى صرحت به التوراة في سفر الخروج 19 ثم ينقل أن موسى سأل ربه عن اسمه وهو يناجيه فقال « اهيه » ، وانه أمره أن يبلغه الى بني اسرائيل ، وانه اسمه الى آخر الدهر ، وبه ذكره الى آخر الاجيال ، ونقل عن مختصر القاموس أن « يهوه » من اسماء الله بالعبرية » (20) ·

فالواضح أن القضية ليس فيها الهام وتوفق ، وانما فيها تسرب أو نقل وتسريب والمحققون من علماء السنة وغيرهم أن أغلب طقوس القوم جاءت من مذهب الباطنية ، وقد حقق ذلك شيخ المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون ·

ولله الأسماءُ الحسنى فادْعُوه بها :

جواب الشيخ المفتي عن الكيفية السابقة في (الحضرة) والذكر بها وانه لا شبهة عنده فيها كلام بعيد عن التحقيق ، بل يأباه الشرع كل الاباء ، وقد أجاب عنه جواب أحد اتباع الطريقة الصوفية المنهمكين في بدعها ، وليس جواب عالم في عنقه امانة علمية عليه ان يؤديها ، لان ذكر الله سبحانه ـ وهو مما أمر الله به المؤمنين في قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اذْكُروا اللهَ ذِكراً كثيرا** » وقوله في مدح أقوام منهم الذاكرون : « **والذّاكرين اللهَ كثيراً والذّاكراتِ** » لا يكون الا بما يوافق الكتاب والسنة · وكل خروج (عن الذكر الشرعي الى ذكر محرف يخالف الكتاب والسنة والاجماع ··· الذكر الذي لا يوافق قوله تعالى : « **فاعلَمْ أنه لا إله إلا الله** » ، وقوله تعالى : « **اللهُ لا إله إلا هو الحي القيوم** » ولا قوله صلى الله عليه وسلم (أفضل ما قلته انا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله) وغير ذلك عن الآيات والأحاديث الصحيحة ـ حرام بإجماع الائمة ومردود على فاعله (21) بنص الحديث المتفق عليه (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي رواية لمسلم (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ·

---

(19) صفحة 18 ·
(20) انظر صفحة 18 (حاشية) ·
(21) الابداع في مضار الابتداع ، 183 ·

ومما لا شك فيه أن تحريف اسماء الله تعالى من أقبح البدع المحرمـــة ، فالانسان العادى المحترم لا يحرف اسمه ، ولا يرضى به ، ولا يرضى له به ان وقع ، واسماء الله سبحانه توقيفية مروية عن رسول الله وجاء بها كتاب الله ، ووصفها بالحسنى وأمر ان يدعى بها : « **ولله الأسماءُ الحسنى فادعُـــوه بها وذرُوا الذين يُلحِدون في أسمائه** » فالوعيد الشديد لمن ألحد فى اسمائه تعالى بإجماع فى جميع الاوقات،فهم يذكرون الله ويعبدونه بالسيئات فيصيرون من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (22) ·

الرقص عند الذكر فعل اليهود :

لا سند لهم فى الرقص عند الذكر من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من فعل السلف الصالح في خير القرون ، وقد حقق العلماء سند فعل الراقصين عند الذكر · قال ابن الحاج فى المدخل ·

(واما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامري ، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ، فهو دين الكفـــار وعبّاد العجل (23) · ونقل القرطبي عن الامام الطرسوسي انه سئل عن قـــوم في مكان يقرأون شيئا من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون ويضربون بالدف والشبابة ، هل الحضور معهم حلال أم لا ؟ فأجاب : (مذهب السادة الصوفية ان هذا بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنـــة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واما الرقص والتواجد فاول من أحدثـــه أصحاب السامري ··· وانما كان مجلس النبيء صلى الله عليه وسلم مـــع أصحابه كانما على رؤوسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوابـــه ان يمنعوهم عن الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليـــوم الآخر أن يحضر معهم ولا أن يعينهم على باطلهم ، هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وأبى حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين (24) ·

---

(22) الابـداع ، 187 ·
(23) الابـداع ، 190 ·
(24) الابـداع ، 190 ·

وقد يزين الشيطان لهم أعمالهم فيتوهمون انهم بالرقص والاهتزاز والغناء والسماع قد فتحت لهم الأبواب (حضرة القدس) ووصلوا ونالوا الكرامة والرضى · ويعجبنى ما أجاب به إمام العارفين أبو علي الروذ بادي لما سئل عمن يسمع الملاهي ويقول هى لي حلال لانني قد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الاحوال،فقال رضي الله عنه : « نعم قد وصل ، ولكن إلى سقر » (25) ·

الفصل الثاني :

القول بالحلول ووحدة الوجود :

من أشد ما انكر على العليويين وشيخهم ، ووقع من أجله الصدام بينهم وبين خصومهم وسالت فيه أودية من المداد فى الصحف والكتب والمجلات ــ القول بالحلول ، ووحدة الوجود ، وهذا القول ليس من مخترعاتهم ، وابتكاراتهم ، ولكنهم مسؤولون عن الاخذ به وترويجه وفتنة دعوة الناس اليه ، فهو مذهب أخذت به جماعة من (المتصوفة) المتأخرين كما صرح به ابن خلدون فى مقدمته عندما تكلم على التصوف ، ولم يسلم لهم بل رده عليهم الفقهاء وأهل الفتيا وتعرضوا لنقمتهم وتكفيرهم ·

وفحوى هذا المذهب : (·أن المولى جل وعلا متحد بمخلوقاته) ·

قال ابن خلدون : (وهذا الاتحاد ــ هو الحلول الذى تدعيه النصارى فى المسيح عليه السلام ، وهو أغرب لانه حلول قديم فى محدث ــ أو اتحاده به ، وهو أيضا عين ما تقوله الامامية من الشيعة فى الائمة (26) ويكفيه شناعة ان يكون مذهبا للنصارى الذين كفرهم القرآن بهذا القول ، وهو مذهب للشيعة الامامية الاسماعلية وكيدهم للاسلام معلوم ·

ثم بين ابن خلدون أن الاتحاد فى كلامهم على طريقتين : الاولى ان ذات القديم كائنة فى المحدثات محسوسها ومعقولها ، متحدة بها من المتصورين ، وهى كلها مظاهر له ، وهو القائم عليها ، أى المقدم لوجودها ، بمعنى لولاه لكانت عدما (27) ·

---

(25) الابداع ، 191 ·
(26) مقدمة ابن خلدون فصل التصوف ، ص 870 ·
(27) انظر الفصل المذكور فى المقدمة ·

أما الطريقة الثانية فهى القول بوحدة الوجود، ونفى الغيرية بين القديم وبين المخلوقات فى الذات والوجود والصفات وقالـوا : « لا وجود ـ بالحقيقة الا للقديم لا فى الظاهر ولا فى الباطن » (28) . وبعد بسط ومحاولة شرح لهذا المذهب قال : « وربما قصد بعض المصنفين بيـان مذهبهم فى كشف الوجود وترتيب حقائقه فأتى بالاغمض فالاغمض بالنسبة الى أهل النظم والاصطلاحات والعلـوم (29) ·

الســر الـرافضية :

ثم حقـق ابن خلدون ان متأخري الصوفية قد خالطوا الرافضية وأخذوا عنهـم مذهبهم وأقوالهم · ثم ان هؤلاء المتاخرين من الصوفية والمتكلمين فى الكشف وفيما وراء الحس توغلوا فى ذلك فذهب الكثـير منهم الى الحلـول والوحدة كما أشرنا وملأوا الصحف منه مثل الهروى وغيره وتبعهم ابن عربى (يعنى محيى الدين بن عربى الحاتمى المتصوف وهو غير أبى بكر بن العربى امام أهل السنة وصاحب كتاب أحكام القرآن وغيره) ـ وابن سبعين تلميذهما ثـم ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائلى (تأمـل الاسرائلى !) فـى قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعلية المتاخرين مـن الرافضة الدائنين بالحلول والهية الائمة مذهبا لم يعرف لاولهم (30) · يعنى المتقدمين من أهل التصوف المصرحين بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله فى عقائدهم وعاداتهم ·

وقـد استند المصلحون فى الـزام العليويين وشيخهم وبعض المتصـوفة المعاصرين بمذهب الحلول على أقوال رويت عنهم ، ونسبت اليهم ، ورروجت باسمائهم طبعا ونشرا فلم ينكروها ، ولم يتبرأوا منها ، واذا وود فيها ما ينكر ويخالف كتاب اللـه وسنة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ونبهوا اليه فقصاراهم ـ ان قامت عليهم الحجة ـ قولهم : بانه شطحة من الشحطات التى تقال في الغيبوبة عن الوجود ·

---

(28) انظر صفحة 871 ·
(29) المقدمة ، صفحة 872 ·
(30) المقدمة بحث التصوف ·

انكار الفقهاء وأهل الفتيا :

وذكر ابن خلدون أن كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا انتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين فى هذه المقالات وأمثالها ، وشملوا بالنكير سائر ما وقع لهم فى الطريقة وذلك أربعة مواقف ·

1 ـ الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل تلك الاذواق التى تصير مقاما ويترقى منه الى غيره ·

2 ـ الكلام فى الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب ···

3 ـ التصرفات فى العوالم والاكوان بأنواع الكرامات ·

4 ـ الفاظ موهمة الظاهر صدرت من كثير من أئمة القوم يعبرون عنها فى اصطلاحهم بالشطحات فتستشكل ظواهرها ، فمنكر ، ومحسن ، ومتأول (31) وقد فصل الكلام فى ذلك بعض التفصيل فليراجع ، ولكن يهمنا أكثر القسم الأخير وهو :

الشطحات متى يؤاخذ عليها ومتى لا ؟

أطلقوا لفظ الشطحات ـ فى اصطلاحهم ـ على الألفاظ الموهمة المشكلة الظاهر ولو أخذ بظاهرها لكانت قاطعة بردة قائلها والحكم عليه ، فما حكمها اذا صدرت من احدهم ؟ فرقوا بين ان تصدر منه وهو فى حالة اليقظة وكمال الوعي وبين ما اذا كان فى حال الجذب وغيبة عن الحس،وفى هذا فرقوا بين من اشتهر بالفضل وأتى بمخرج وبين من لم يشتهر بذلك أو لم يأت بمخرج ، قال ابن خلدون :

··· الانصاف ـ فى شأن القوم ـ انهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عندها بما لا يقصدونه ، وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور فمن علم منهم فضله واقتداؤه حمل على القصد الجميل من هذا وأمثاله ··· ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك اذ لم يتبين لنا ما يحمله على تأويل كلامه ·

---

(31) المقدمة ، صفحة 880 ·

واما من تكلم بمثلها وهو حاضر فى حسه لم يملكه الحال فمؤاخذ أيضا ، ولهذا افتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج لانه تكلم فى حضور وهو مالك لحاله (32) ٠

الفصـــل الثالـث :

ابن باديس يهاجـم (شطحة) خطيرة

أخذ العليويون بمذهب متاخرى الصوفية ولم يكتفوا برواية (شطحات) من سبقهم ، ولكن شيخهم نشر ديوانا شحنه بالالفاظ الموهمة التى لا يمكن سكوت الفقهاء ولا أهـل الفتوى عليها ، وهذا ما فعلـه الشيخ عبد الحميـد ابن باديس فى رسالته (جواب سؤال عن سوء مقال) وقد انتقى من ذلـك (شطحة) تناولت مقام النبى صلى الله عليه وسلم ، وقدم اليه سؤال بشانها فتردد أولا فى الجواب عنه ثم عزم وصمم فرد ـ بالحجة والبرهان ـ ورفض ان يقـدم مسلم صحيح الايمان على ما أقـدم عليه صاحب الشطحة ونصحه واتباعه بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك عام 1340 هـ (1922 م) ، وقد نشرت هذه الرسالة فى مكان آخر مـن هـذا المـؤلف ٠

ولما انشأ المنتقد ثم الشهاب عام 1343 هـ (1925 م) توالت هجماته وهجمات الكتاب المصلحين على تصرفات هؤلاء المتأخرين من الصوفية المعاصرين وعـلى عبادتهم الله بالرقص وعلى النطق بمثل هذه الشطحات وترويجها فى الكتب وتضليل المتمذهبين المسلمين بمذهب الحلول ووحدة الوجود ، وعـلى مواقفهم السياسية واتصالهم بالمستعمرين ، وتارة برجال المسيحية أو بالمبتدعين مثل القديانيين ٠

(الشهاب) يهاجم الرقصات والشطحات :

كان الشهاب ـ بعد المنتقد ـ لسان حال الفقهاء وأهل الفتيا فى عصره ومصره فلم يكن ليقـر ذكر اللـه بالحضرة ، أو بالرقص والسماع والشطحات التى

(32) المقدمة : فى الكلام على التصوف ٠ والحلاج هو الحسين بن منصور امام القول بالحلول ، وقد حوكم وشهد عليه أقرب الناس اليه وحكم باعدامه وكان فيمن ادانه صوفية حضروا محاكمته وحكموا عليه ٠

تصدر فى الغيبوبة ـ كما يزعم ـ ثم تنشر وتطبع وتروج ، وكان يكتب فى الشهاب فطاحل العلماء والكتاب المفكرين وخصوصا من أهل الجزائر والمغرب الاقصى،ولم تكن لاهل المغرب ـ آنذاك ـ صحيفة حرة يتنفسون فيها فاتخذوا من الشهاب متنفسا لهم ، وكان بالمغرب من هؤلاء الصوفية المتاخرين ، ومن أهل الحضرة أو (العمارة) الذاكرين الله بالرقصات والشطحات مثل (ما) بالجزائر أو أكثر وأخطر ، والطريقة الدرقاوية منتشرة فيه ، وشرعت العليوية تنتشر به . ومن أشد الهجمات على هؤلاء الذاكرين (الغنائين) ما نشر فى الشهاب العدد 76 بامضاء (مسلم غيور) من فاس . ولا شك أنه أحد علماء القرويين الفحول نشير اليه فيما يأتى ، فلما وقع الاعتداء على ابن باديس ترك أثره كبيرا فى المغرب الاقصى .

ومن الملاحظ أن خبر الاعتداء الواقع على شخصية الشيخ عبد الحميد ابن باديس وارادة الفتك به ليلة 9 جمادى الآخرة 1343 هـ الموافق 14 ديسمبر 1926 م نشر بنفس هذا العدد الصادر فى 18 جمادى الآخرة الموافق 23 ديسمبر 1926 .

القوم فى الحضرة :

وقد جاء فى المقال ـ وما تبعه ، ذكر حركاتهم وأقوالهم فى شطحاتهم مما يثبت عليهم الحلول ووحدة الوجود والتصرف فى الكون مما لو أخذ على ظاهره لكانوا مرتدين لا يعفيهم من الارتداد أحد علماء المسلمين .
قــال :

« لعلك تتساءل أيها القارىء الكريم ـ ما قصدهم بهذه الشطحات ؟ وما معنى تسميتها بالحضرة ربما كان قصدهم الاولى من ابتداعها ترويح النفس من عناء العبادة وطول المراقبة والمشاهدة ومشقة الجهاد الاكبر جهاد النفس ، ولو وقفوا عند هذا الحد لخف الامر وهان وقلنا كما قال الغزالى (الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول الا بالتعب) لعل القوم اجتهدوا فاخطأوا ـ وسبحان من لا يجوز عليه الخطأ وهذه معصية كبرى أتوها بجهالة « **وكان أمرُ اللّه قدراً مقدوراً** » عسى الله ان يرحمهم وان تابوا يتب الله عليهم » .

« ولكن هيهات هيهات ! أنى لك بالتماس الاعذار لهؤلاء ... القوم يرفعون عقيرتهم حتى تشق عنان السماء ، صباح مساء . ان لهم فى تلك السويعات أوقاتا مع الله عندهم فيها المراقبة والمشاهدة والخلوة والجلوة ، فيها يفتح الله لهم البصائر والابصار ، وتخرق لهم الحجب والاستار ، تكشف لهم المعارف والاسرار ، ويخلعون العذار ، عن عالم الفناء والاغيار ، الى عالم الشهود والوجود المطلق !

هنالك تتجلى لهم الحقائق ، وتنجلى لهم الدقائق الخفية والرقائق ، وتدار عليهم الكؤوس ، ابهى من الشموس ، وتسفر لهم ليلى عن وجهها اللثام ، وتحط عن محاسن محياها الخمار ، وقد انقطع الغير ، وزال البين وامتزجت الذات فى الذات ، والصفات بالصفات ، فلم يبق عابد ومعبود ومحب ومحبوب وقال قائلهم :

عجبا كيف ينافينى البقا ... وارى فانى
ووجودى كل شىء سبقا ... ليس لى ثانى

وقال :

والذى أهواه حقا ... لم يزل ذاتى وعينى
فانظرونى تبصروه ... انه والله انى
ليس من يهوى سواه ... فى طريق الحب محبة

وقال :

فما ثم من شيء سوى الله فى الورى ... فما ثم مسموع وما ثم سامع
وما الخلق فى التمثال الا كثلجة ... وانت لها الماء الذى هو تابع

ذلك مقام السكر والفناء ، رقصوا فيه وشطحوا ، وصاحوا وصرخوا :

سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا ... جبال حنين ما سقونى لغنت

تغنوا فيه بليلى وسلمى ، وعزة ونعمى ، وحلالهم المدام ، وطاب لهم الحال والمقام واتحدث الانية بالهوية ، ورفعت عنهم سبة التكاليف الشرعية :

كذلك أرواح المحبين يا فتى ... تهزها الاشواق للعالم الاسنى
فلا تلم السكران فى حال سكره ... فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا

ومما زاد فى طين افكهم بلة وفى طنبور عويلهم نغمة انهم الحقوها - يعنى الحضرة - بالعبادات ، ففرضوا لها أركانا وواجبات وسننا ومستحبات ، وشروطا لم ياذن الله بها ، بل ارتقوا عن ذلك درجات ، ففضلوها على كثير من العبادات ، ففى كلام بعض شيوخهم (**عمارة واحدة أفضل** من عبادة خمسة وثلاثين سنة) وفى رواية لغيره « تعدل عبادة سبعين سنة » وانهم يجدون قلبهم فيها مع الله أكثر مما يجدونه فى الصلاة والصيام ، اذ هذه انما شرعت للعوام ! عياذابك - اللهم - من هذا الكلام ، فانه مخالف لشريعة الاسلام ، وتنقيص للرسل الكرام ، وتثبيط للناس عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهم بعمارتهم هذه « كالذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين ، وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم معهم أبدا » ولا تغترر بزخرف قولهم وبهرجة عملهم فان وراء الاكمة ما وراءها . اهـ

هذا نص بعض ما جاء فى مقال المسلم الغيور ، وظاهر كل (شطحة) مما جاء فيه من الشعر يردى صاحبها :

الاولى يزعم فيها هذا (المجذوب) انه هو نفس الاله لا ينافيه - كمحلوق - البقاء ، وهو كاله سبق وجوده كل شيء وليس له ثان .

الثانية هى نفس قول الحلاج الذى حكم الفقهاء بقتله :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... فكلانا قد سكنا بدنا
فاذا أبصرتني ابصرته ... واذا ابصرته ابصرتنا

وفى أبيات أخرى يقول :

فلا علم الا من بحار وردتها ... ولا نقل الا من صحيح روايتى
وشاهدت ما فوق السموات كلها ... كذا العرش والكرسي فى طي قبضتى
وامرى أمر الله ان قلت كن يكن ... وكل بأمر الله فاحكم بقدرتي !

الله سبحانه وحده من بقبضته الكون كله كما قال : « **ومَا قدَرُوا اللّـهَ حـقَّ قدْرِه والأرضُ جميعاً قبْضَتُه يوم القيامة والسمواتُ مطوياتٌ بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** » ونحن نقول : (سبحانك اللهم ربنا وتعاليت عما يقول

شيخ الطريقة هذا) فقد جعل نفسه ذاتك وادعى ما هو لك وحدك وزعم انه يقول للشيء (كن فيكون) ٠

وما علمنا ان صنما مما عبد من دون اللـه أسند لنفسه أو اسند لـه من يعبده من دون الله مثل ما قال عن نفسه هذا (الصنم) السخيف وحتى الذى قال : (أنا ربكم الاعلى) لم يسند الى نفسه مثل هذا ٠

وقد نقل أيضا عن (فتوح الغيب) قريبا من هذا مثل قوله :

ويسمـع تسبيـح الصوامت مسمعى	وانـى لاسـرار الصـدور اطـالع
وأعلم ما قـد كان فى زمـن مضى	وحـالا ، وآرى مـا أفـاد مضـارع
ولو خطرت فى أسود الليـل نملـة	عـلى صخـرة صمـاء انـى أطـالع
أعـد الثـرى رمـلا مثاقيـل ذرة	واحصى عديد القطـر وهى هـوامع
وكـل هـدى فى العالمين فانـه	هـداى ومـالى فى الوجـود منـازع
وبيتى سقف العرش حاشاى ليس لى	مكـان ومـن فيضى خلقـن المواضع
وكـل معاش الخلق تجريه راحتـى	لراحتهـم جـودا ولسـت أصانـع

قول مثل هذا ان صدر مـن مخلوق فأهون ما يلحقه أن يوضع فى مرستان ، ولكنه اعتقاد فاسد لأصحاب وحدة الوجود والحلول انهم (آلهة) يتصرفون فى الكون ! واذا سئلوا عنها قالوا : (هي شطحات) !

الفصـل الـرابـع :

هل للشيخ ابن عليوة شطحات ؟

اعترف الشيخ أحمد بن عليوة واتباعه أنه له شطحات وانه تعتريه الحال التى تصدر عنها مثل هذه الاقوال السابق ذكرها ٠

جاء هذا الاعتراف مسجلا فى السؤال المقدم الى ابن باديس عن قوله السيء فى مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم ، واعتذاره (بعجمة السنة المحبين) ٠

وقد فنـد ابن باديس هذا العذر بأدلـة شرعية مقنعة فى الفصل الثالث من رده ٠

كما سجل السيد اسماعيل مـامى ـ فى دفاعه عن ابن عليوة ـ اعتراف الشيخ واتباعه بهذه الشطحة ، ونقله عن الشيخ مباشرة مـن مشافهـة لـه ، ونشره فى جريدة النجاح وعنها نقله (كتاب الشهائد) فى صفحة 56 ·

يقول اسماعيل مامى ـ حسب نقل الكتاب المذكور ـ :

وبعد ما سكت الشيخ سألته عن الابيات التى بالديوان وهى :

أن مـــت بالشـــوق منكـــد مـــا عـــذر ينجيـــك ؟ الـخ

فقال : ـ يعنى الشيخ العليوى ـ : لكل شيء سبب ، وسبب تلك الابيات أنى كنت ذات يوم فى اشتياق عظيم للنبى صلى الله عليه وسلم ، وفى حال غير ما تشاهد منى الآن ، فأخذتنى سنة من النوم فرأيت كانى أخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بتلك الابيات ، **وهو فى تدلل وترفع عنى وانا فى احتقار وتذلل لـه** فلما انتبهت رسمتها فى « كنشى » ثم حكيت القصة لـرفيق كان مرافقا لى ، فقال : لا بأس باثباتها فى الديوان والنص عليه ·· الخ

فهذا اعتراف صريح ، وان كان فيه خلط بين رؤية المنام التى يتفق الجميع على سقوط الملام عنه لو أساء فيه القول ، وبين حالة الجذب والغيبوبة عـن الحس التى تصدر فيها الشطحات كما عرفها اربابها ·

وفى هذه الرواية اعتراف بشناعة أخرى هـى ادهى وامر ، لم تـرد فى الديوان فى جملة الابيات ، وهى قوله لصاحب (النجاح) عن النبى صلى الله عليه وسلـم « وهو فى تدلل وترفع عنى ، وانا فى احتقار وتذلل لـه » فهذا أخطر من كل ما جاء فى الابيات المنتقدة من ابن باديس ، فما كان يليـق ان ينسب مثل هذه الاوصاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى أدبه ربه فاحسن تأديبه ، فقال : « **واخفِضْ جَنَاحَك لمن اتَّبعك من المؤمنين** » · ثم شهد له بقوله : « **وإنكَ لَعلَى خُلُقٍ عظيم** » · وقوله : « **لقد جاءكُم رسولٌ من انفسكم عـزيزٌ عليه ما عنِتُّم حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيـم** » فكيف يوصف بالتدلل والترفع أو بقبول من تقدم اليه « فى احتقار وتذلل » ·

وفى القصيدة الموجودة فى الديوان اليوم ما يقارب ما روى عنه مشافهة فى سوء الادب اذ يقول :

حتى رأيتك يا سيد أحمد ، الله يجازيك ·

غـير أنـك بـاقـي شـارد خـائـف لا نـوذيـك !

فهل يصح ان يقال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم « شارد » ؟ وهو النافر الفزع من مطاردة ، والشريد الطريد ، هل يصح ان يقال فيه « خائف » وهو الذى لا يخاف الا من الله ، فهو الآمن المطمئن بالله ، ولما رأى صاحبه فى الغار حزينا ـ لوصول المشركين الى باب الغار ـ قال له وهو فى تلك الحال : « **لا تحزن ان الله معنا** » ٠

رواية لسان الدين :

وقد نقل صاحب كتاب (الشهائد والفتاوى) عنها وهى صحيفة العليويين الرسمية رواية مؤيدة لرواية اسماعيل مامى فقال : « يشبه هذا ما ذكرته جريدة لسان الدين بعددها الثالث قالت :

« ان هذه المسألة جرت ـ فى النوم ـ مع النبى صلى الله عليه وسلم فقام على اثر رؤياه فى الليلة نفسها فسبك المحاورة لعموم ألفاظها حسبما صدرت فى النوم ، وقصته مشهورة بين خواص أتباعه وعليه فهل يكون صدور شبه هذا الذى بغير اختيار ـ وفى النوم أيضا ـ معدودا من قبيل الاساءة ؟ اللهم الا اذا كان من قبيل نشره أو عدم التنبيه عليه ٠ وبالجملة ان العمد فى هاته النازلة لا يتصور بحال ، والحكم لا يتوجه الا مع القصد » (كتاب الشهائد 56 ـ 57) ٠

فهاتان الروايتان تثبت كلتاهما ـ اعتراف الشيخ اتباعه بوقوع هذا الخطاب منه ، والاعتذار عنه بالنوم يفنده تسجيله له بنفسه بعد يقظته ثم طبعه ونشره وتوزيعه ، ويخرج المسألة من حال الغياب عن الحس الى حال اليقظة والعمد ٠ ورواية لسان الدين صريحة فى ذلك إذ تقول : « فقام على اثر رؤياه فى الليلة نفسها فسبك المحاورة بعموم ألفاظها حسبما وقعت فى النوم » ٠ فهل صدر منه هذا السبك وهو حاضر الحس أم كان عنه غائبا ؟

رواية ثالثة للشيخ الوارزقى

ويؤيد الروايتين السابقتين ـ ان كانتا فى حاجة للتدعيم ـ بما نقله الشيخ حسن الوارزقى ـ وهو صحفى مستقل بقسنطينة لم يكن على وفاق

مع حزب الاصلاح ولا مع كتابهم ، بل كان ـ فى السياسة مناوئا لهم ـ عن الشيخ ابن عليوة نفسه بعد مشافهته ، ونشره فى الشهاب الصادر فى 5 رجب 1346 هـ (29 ديسمبر 1927 م) قال :

« يقول شيخ العليويين مجيبا منتقديه من العلماء والمفكرين ان لكلامى المطبوع المنسوب الي فى الديوان ، وخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك العبارات الكبيرة : عبس الخ ·

وكذلك قولى عن نفسى : أنا لست انسان (كذا) ولا جان ·· كلام قلته وأنا فى عالم آخر غير هذه الحال ، واذ ذاك كنت غائبا لا أفرق بين الابيض والاسود ، ولو وصل هؤلاء المنتقدون الى مثل ذلك لفاهوا بأكثر مما فهت به ، وهم معذرون ولكنهم لا يشعرون ·

هذا كلام مقتطف من مقال طويل نشرته جريدة الشهاب وقدمت له بمقدمة جاء فيها :

(مثل هذا الشيخ من الرجال الذين يتقدمون لشؤون العموم يجب ان تعرفهم الامة ويجب على الكاتبين عنهم ان يتحروا تمام الصدق والنزاهة ويجب ان يتلقوا الآراء المختلفة فيهم بالصدر الواسع والخلق الرحيب هذا ما نصدر به هاته المقالة وللشيخ العليوى وشخصيته ورأيه منا غاية الاحترام) · اهـ

وقد رضى العليويون عن المقال وحمدوا جريدة الشهاب وشكرت صحيفتهم (البلاغ الجزائرى) قول الشهاب :

« وللشيخ العليوى فى شخصيته ورأيه منا غاية الاحترام » ، فأجاب الشهاب بأن : (من لا يحترم الرجال ليس برجل ولكن لا يفهم من احترام الشخص تسليم رايه ولا احترام الرأى عدم المناقشة فيه بل من اعتبار الشخص ان تعرض آراؤه للبحث والتمحيص ومن اعتبار الرأى ان يعرض على محك الادلة والبراهين) ·

ثم قال : « وقد كنا نشرنا ··· ما هو محل رضا وقبول وما هو محل مناقشة ولعلنا نعود للبحث فى بعضه قياما بواجب التناصح فى الدين » اهـ

فهذه الروايات كلها تدل على اعتراف الشيخ واتباعه بوقوع (شطحات) صدرت منه وفيها ما لا يقبل من الشخص وهو فى حال الصحو فاعتذروا عنها بانها صدرت من فى حال المحو والفناء !

لكنا نقول : ما دام القول قد كتب واطلع القائل عليه بعد كتابته عنه أو كتبه بنفسه ثم طبع ونشر وراج وأقره من قاله فقد انتقلت حاله من (المحو) والغيبوبة الى الصحو واليقظة فاصبح مسؤولا عليه فلا يصدق تعريف (الشطحة) عليه كما نقله ابن خلدون ولا يندرج ابن عليوة فى درجة من يعفى عن المحاسبة ويتجاوز عنه · ثم من يسلم له ـ على فرض أنها شطحات ـ بأنه من ذوى الفضل المعفو عنه عند العلماء ؟ ثم نقول له : هل جاء عن كل شطحة مما صدر عنه بمخرج صحيح وتأويل مقبول ؟ كما جاء ابن عربى الحاتمى لصديقه الذى انتقد عليه قوله فى مخاطبة ربه :

يا من يرانى ولا أراه   كم ذا أراه ولا يرانى !

بقوله مرتجلا :

يا من يرانى مجرما   ولا أراه خاذلا
كم ذا أراه منعما   ولا يرانى لائذا

(كتاب الشهائد صفحة 37) ·

هيهات ان يجد لكل (شطحة مخرجا) والبرهان فيما يأتى :

الفصـــل الخـامس :

أقـوال فظيعة فى جانب اللـه
إصرار عجيب على أقـوال فاسدة خطيرة

بعد هذا نقول : لابد ان القارىء الكريم قد تشوف كثيرا لمعرفة بعض هذه الاقوال الفظيعه المنسوبة الى شيـخ العليويين أو الى أستاذه وبعض تلاميذه ، ولقد رأينا ان الشيخ ابن باديس متى سمع من احد رواية عن الشيخ يـزعم فيها ملازمته السنة، أو استعداداً للتعاون بشكل ما ، شرط وبالحاح ان يتبرأ من هذه الضلالات المنسوبة اليه فى ديوانه الرائج فى الاسواق، وان يسحب من السوق نسخه الموجودة . فما دام لم يعلن توبته منها والرجوع عنها فهو مصر عليها ، ولا توبة للمصر على ذنب هو عاكف على اجتراحه .

وقد كان هذا الديوان صدر من صاحبه عام 1339 هـ 1920 م اذ طبع لاول مرة بتونس بعناية الحسن بن عبد العزيز القادرى ، والحاج حسن بن محمد الطرابلسى ، ثم طبـع بدمشق عـام 1349 هـ 1931 م باشراف محمد بن عبد الرحمن التلمسانى ثم طبع ـ بعد وفاة صاحبه وباذن من خليفته الشيخ عدة ابن تونس عام 1355 هـ 1937 م وطبعة رابعـة صدرت منـه تحت عنـوان : (روضة المحبين فى كلام العارفين) (صدرت فى فلسطين المحتلة) .

اما الطبعة الاخيرة ـ والخامسة ـ وان كتب عليها الرابعة ـ فقـد طبعت اثناء السنة الماضية 1982 م بمطبعة القوم فى مدينة مستغانم وبامعان النظر فى هذا الديوان نجد انه ما يزال يتضمن الدواهى مما نسب الى الشيخ بـل

زادت الطبعة الاخيرة أن ضمت الى الفيل فيلة ! فقد طبع مع قصائد الشيخ قصائد أخرى منسوبة الى أستاذه محمد بن الحبيب البوزيدى وغيرها الى تلميذه الشيخ عدة بن تونس وكلها تخرج من مشكاة واحدة ، وتتضمن من الضلالات ما تكاد تنوء بحمله الجبال · فهذا أوضح دليل على الاصرار والعناد وهو ما لا يجوز السكوت عنه ·

وكنت قد اطلعت منذ بضعة عشر عاما على الطبعة الثانية الصادرة بدمشق ثم اطلعت على الطبعة الاخيرة الصادرة بمستغانم فما لاحظت الا حذف الابيات التى انتقدها الشيخ عبد الحميد بن باديس فقط ، مع بقاء القصيدة التى وردت فيها ·

كما لاحظت ان الديوان وما ألحق به ما يزال مشحونا بالدعاوى الباطنية والدعوة اليها ، وبأقوال الحلول ، ووحدة الوجود وبكل ما يؤذى الله ورسوله ولا يجوز بحال ان يروج فى مجتمع المسلمين أو يسمح بتلقينه للسالكين · ثم تيقنت الاصرار من القوم على الدعاوى العريضة بان علمهم علم أهل الحقيقة وعلم غيرهم علم أهل الشريعة· كان الشريعة ليست حقيقة (1)· وانما الحقيقة – عندهم – هى أوهام تستند فى معظمها على وساوس الشيطان ، ولا شك ان من ذلك قول قائلهم « الحب الالهى الفيصل بين أهل الحقيقة وأهل الشريعة الذين يعبدون الله طمعا فى الثواب وخوفا من العقاب ، اما الصوفى فقد خلص من دنياه واخراه ولم يبق له الا مشاهدة جمال المحبوب والتحلى بالاخلاق الربانية قولا وعملا وحالا ··· » (2) ·

ان هذه الدعوى بديهية البطلان ، ولا تروج حتى على الصبيان من أهل القرآن ، فانه يلزم عليها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وعباد الرحمن المنوه بهم فى آيات الفرقان ، والمتهجدين الذين اثنى عليهم الله فى آياته ووعدهم جنة رضوان ، كل هؤلاء – بمقتضى هذه الدعوى الساذجة – ليسوا من أهل الحب الالهى ، لانهم يعبدون الله طمعا فى ثوابه ، وخشية عذابه !

---

(1) فى تفسير قوله تعالى : « **قل جاء الحق** » وذكر ابن باديس أنه الاسلام بعقائده وحججه وقوته وعزته ونصره ، وان فى الآية وعدا بالنصر كما أشار الى ذلك النبىء (ص) يوم الفتح باشارته الى الاصنام فكانت تتهاوى ·

(2) مقدمة الطبعة الجديدة للديوان ، ص 3 ·

فقد جاء في سورة الانبياء عند ذكره سبحانه وتعالى عبده زكرياء ، وندائه ربه ان يرزقه ولدا ولا يذره فردا،فاستجاب له ربه ووهب له يحيى وأصلح له زوجه ـ جاء قوله تعالى : « **إنهم كانوا يُسَارعون في الخَيْرات ويدْعُونَنا رَغَباً ورَهَباً وكانوا لنا خاشعين** » ٠

فدعوتهم للـه ـ والدعاء مخ العبادة ـ كانت لرغبتهم في ثوابه ، وخشية عذابه ، وكانوا خاشعين متذللين لله ٠

وفي عباد الرحمن ـ الذين جـاء ذكر الثناء عليهم في خاتمة سورة الفرقان ـ يقول الله في التعريف بهم : « **وعِبَادُ الرحمن الذين يَمشُون على الأرض هَوْنًا وإذا خاطَبهم الجَاهلون قالوا سَـلاماً ٠ والذين يَبِيتُون لـربهم سُجَّداً وقيَاماً والذين يقولون ربنا اُصْرِف عنا عذابَ جهنم إنَّ عذابها كان غَرَاماً انها ساءت مُسْتَقَرًّا ومُقَاماً** » ٠ فهؤلاء يجتهدون في العبادة ، ويبيتون لربهم سجدا وقياما خاشعين لله ٠ وجلين من عذاب جهنم ٠ فهم المتهجدون الذين ورد ذكرهم في الم السجدة في قوله تعالى : « **تتجافَى جُنُوبُهم عن المَضَاجِع يدعُون ربَّهم خوفاً وطمَعاً ومما رزقناهم يُنفِقُون فلا تَعلَمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون** » ٠ وفي الآية الكريمة ان الله قبل أعمالهم ، واثابهم عنها أحسن ثواب ٠ ان هؤلاء بلا شك ممن عرفوا ربهم ، ووفقوا في التقرب اليه ، وأصابوا مواطن رضاه فأثنى عليهم ووعدهم قرة أعين ٠

أفنصدق القرآن وهو كتاب ربنا أم يضللنا قول الشيخ (العارف بالله) « تالله نوم العارف يغني عن ذكره » (3) فهـل هذا (العارف) أعرف بربـه من محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الذين قال الله فيهم : « **ان ربَّك يعلَمُ أنكَ تقوُمُ أدْنَى مـن ثُلُثَيِ اللَّيل ونِصفِهِ وثُلُثِه وطائفةٌ مِـن الذينَ معَـك** » ٠ وقد كان يتهجد حتى ورمت من القيام رجلاه ، فلما قيل له ان الله قد غفر لك ما تقدم من ذنب وما تأخر أجاب عليه الصلاة والسـلام : (أفلا أكون عبـدا شكورا ؟) انها ليمين غموس ، ودعوى عن الحق شموس ، ان يكون :

لهم قلـوب تـرى ما لا يـرى غيرها أيقاظ وان ناموا ففي نومهم وصلا !

---

(3) من القصيدة الاولى في الديوان المطبوع بمستغانم 1982 م ، صفحة 6 ٠

ما هذه أوصاف من استحقوا ثناء اللـه من أوليائه الصالحين وانبيائـه المرسلين ٠

ان كثـيرا من هذه الاقوال الفظيعة شحن بها هـذا الديوان ، وقد طبـع ــ منسوبا الى صاحبه منذ سنة 1920 م ــ كما علمنا ، وها هـو يعاد طبعـه للمرة الخامسة عام 1982 م ٠ وقد جمع ــ فى نفس الديوان ــ شعر أستاذه محمد بن الحبيب وتلميذه عدة بن تونس وشعرهما لا يقل سوءا وقبحا مبنى ومعنى من شعر صاحب الديوان مع إلحاح الشيخ ابن باديس وكتاب الاصلاح على وجوب التوبة منه والتبرى وسحبه من الرواج ٠

فعلمنا مقدار اصرار القوم على ترويج ضلالهم وبدعتهم وافشاء (الوهيتهم) فى قولنا ، والله سبحانه وتعالى الذى قال فى كتابه : « **لا تُدْرِكُه الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأَبصارَ** » أصبح عندهم يراه المرء فى كل شىء بمقدار قليل من الجهد ثم بيسير من التأمل والنظر يعلم المرء أنه هو نفسه الله وليس سواه ــ تعالى اللـه ــ

والله سبحانه المنزه عن الشبيه والنظير « **ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميع البصيرُ** » أصبح عند هؤلاء القوم هو كل هذا الوجود الفانى ولا يوجد سواه تراه حيثما نظرت وتوجهت ، وهذا ما امتلأ به هذا الديوان ٠

ولا يمكن ان يعتذر عنه بانه (شطحات) تأتيهم وقت الغيبوبة لانهـم يكتبونه بأنفسهم عنـد (صحوهم) بعد (محـوهم) ويطبعونه ويروجونه ، والشطحة تروى عـن صاحبها عند غيبوبته فاذا (صحـا) أولها بمخرج مـن المخارج الصحيحة ، ولا يقبل منـه التأويل ــ فى هذه الحالة ــ الا اذا كـان معروفا بالفضل وصحة الدين ٠

ان ترك هذا الضلال رائجا بين قومنا أهل الايمان من الشيوخ والكهول والشبان دون كشفه وفضحه وتحذير الناس من شره وشر أصحابه لمن واجب كل داعية الى اللـه بل كل عالم وكل مثقف وأديب يحب قومه ويحرص على حماية عقائدهم وعقولهم من الفساد والضلال ، وهذا ما سنبينه فى الفصول الآتيـة ان شاء اللـه بعد تمهيد بـذكر استدراج الشيطان ، وعصمة العلماء الربانيين من كيده بفضل حماية الله لهم بعلمهم ٠

الفصـــل الســـادس :

استدراج الشيطان وتحديه للرحمن

أمر الله سبحانه ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام ، فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ، وقال لربـه : « **أنَا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقْتَه من طِين** » • فقال له ربه لطرده من جنته : « **أُخْرُجْ منها فانك رجيم، وان عليك لَعْنَتِيَ الى يوم الدين** » وسأله (اللعين) ان ينظره الى يوم يبعثون فانظره الى يوم الدين فقال ـ عليه اللعنة ـ « **فبِعِزَّتِك لأُغوينَّهُم أَجمعين الاَّ عبادَكَ منهُمُ المخلَصين** » وهؤلاء عصمهم المولى من كيده وترك له الغاوين ، فقال جـل من قائل : « **انَّ عبادِي ليس لـك عليهم سلطانٌ اِلاَّ من اُتَّبعَك من الغاوِيـنَ** » •

وانتصب إبليس يفسد فى الارض وينشر الشر ويحاول إغواء الناس لكنه لا يستطيع ان يتمكن من عباد الله المخلصين •

وقد اتخذ طرقا مختلفة فى الإغواء وكل قوم يأتيهم حسب طريقتهم ، ولما رأى قوما تزاهدوا فى الدنيا وانصرفوا نحو طلب الآخرة أتاهم من هذه الناحية فزين لهم ان يعبدوا اللـه بالبدعة ويقترحوا أشياء من عندهم ، فاذا التزموا السنة وأعرضوا عن البدعة فقد هدوا الى صراط مستقيم ، واذا عرفوا الشريعة وعلموها فوقفوا عند حدودها ، فقد عسر عليه اغراؤهم ، فاما اذا جهلوا قواعد الشريعة واغتروا بـ : (حسن) نيتهم ، وعلمهم (اللدنى) وكثرة عبادتهم فقد يتمكن منهم ، ويضلهم ويصبحوا رعية طيعة له • ومما زينه لهم وضـع الحديث عن رسول الله ، وضع الحديث ولو فى الترغيب فى القرآن حرام يوجب للواضع ولوج النار ، ومع ذلك أقدم عليه بعض المتصوفة •

ان ما يفهم مـن صريح قـول الشيخ ابن عليوة انـه كانت تعتريه بعض الاحوال يخرج فيها عن طوره المعتاد فيأتى بما ينكر عليه ، وهو يقول للشيخ الوارزقى : (ان لكلامى المنسوب اليّ فى الديوان ، وخطاب رسول الله بتلك العبارات الكبيرة عبس الخ • وكذلك قولى عن نفسى أنا لست انسان (كذا)• • • ولا جان،كـلام قلته وأنا فى عالم آخر غـير هذه الحال ، واذ ذاك كنت غائبا لا أفرق بين الابيض والاسود ، ولو وصل هؤلاء المنتقدون الى مثل ذلك لفاهوا بأكثر مافهت به • • •) •

وانه لمصدق فى مثل هذه الاحوال ، ولكن كان عليه ان يبحث ـ لو كان عالما ـ أهى أحوال ربانية أم هى أحوال شيطانية ؟ وكان يزن ما يوحى اليه ـ فيها ـ بميزان الشريعة الذى لا يخبس شعيرة فلا يقع تحت تلبيس ابليس ، ولا يروج ما يوسوس به اليه •

☆

لا سلطان لإبليس على الصالحين

من كان بيده ميزان الشريعة اخزى الشيطان وطرده من حضرته شر طردة ولو جاءه بحالة فيها خرق عادة وزعم له انها كرامة ٠

قال أبو اسحاق الشاطبى فى الموافقات : (مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها فى نفسها ، ذلك انها قد تكون فى ظواهرها كالكرامات وليست كذلك ، بل أعمالا من أعمال الشيطان كما حكى عياض عن الفقيه أبى ميسرة المالكى انه كان ليلة بمحرابه يصلى ويدعو ويتضرع وقد وجد رقة فاذا المحراب قد انشق وخرج منه نور عظيم ثم بدا له وجه كالقمر وقال له :

(تملأ من وجهى ابا ميسرة فانا ربك الاعلى) فبصق فى وجهه وقال له : اذهب يا لعين عليك لعنة اللـه ! ، وكانت نجاة هذا العالم الرباني مـن عبث الشيطان انه جاءه فى صورة مكيفة مقدرة تقول له : (أنا ربك ، فيسمع نداءه ويحس فيه بالصوت والحرف ويقول أنا ربك) ٠

كل هذا باطل فى حق اللـه تعالى ، منزه عنه ، كما هو فى بديهيات علـم الكـلام (التوحيد) وفى القرآن الكـريم « **ليس كمثلـه شيء** » وفى قـوله : « **لا تُدرِكُه الأبصار وهو يُدرِكُ الأبصارَ** » وقوله لموسى كليمه : « **لن تراني** » فكانت معرفة هذا العالم الربانى عاصمة له من مكائد الشيطان ، فبصق فيه ولعنه فلم يضره بشيء لانه لا سلطان له عليه ٠

ومثل ابى ميسرة رضى الله عنه ما يحكى عن الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه انه « عطش عطشا شديدا ، فاذا سحابة قد اقبلت وامطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب ثم نودي من سحابة يا فلان أنا ربك وقد أحللت لـك المحرمات،فقال : (اذهب يا لعين) فاضمحلت السحابة ، وقيل له بم عرفت انه ابليس ؟ قال بقوله : (احللت لك المحرمات) (4) ٠

(4) الحكايات عن أبى ميسرة والشيخ عبد القـادر مرويتان فى الموافقـات ج 2 ، ص : 75 ـ 76 ٠

فهذا العالم الجليل عصمه علمه ، ان أحكام الشريعة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام لا تنسخ بعده ولا يبطل حكم من أحكامها لانقطاع الوحى وانما حرم ربنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن فكيف تحل المحرمات وهى فواحش ؟

قال الشاطبى: (كل خارقة حدثت أو تحدث الى يوم القيامة فلا يصح ردها ولا قبولها الا بعد عرضها على أحكام الشريعة فان ساغت هناك فهى صحيحة مقبولة فى موضعها والا لم تقبل الا الخوارق الصادرة على أيدى الانبياء عليهم السلام فانه لا نظر فيها لاحد لانها واقعة على الصحة قطعا فلا يمكن فيها غير ذلك ...) .

ثم بين كيفية عرضها فقال : (وبيان عرضها ان تفرض الخارقة واردة من مجرى العادات فان ساغ العمل بها عادة وكسبا ساغت فى نفسها والا فلا ، كالرجل يكاشف بامرأة أو عورة بحيث اطلع منها على ما لا يجوز ان يطلع عليه وان لم يكن مقصودا له ، أو رأى انه يدخل على فلان بيته وهو يجامع زوجته ... أو يكاشف بمولود فى بطن امرأة أجنبية يقع بصره على بشرتها أو شىء من اعضائها التى لا يسوغ له النظر اليها فى الحس أو سمع نداء يحس فيه بالصوت والحرف وهو يقول (أنا ربك) ، أو يرى صورة مكيفة مقدرة تقول له (أنا ربك) ، أو يرى أو يسمع من يقول له (قد احللت لك المحرمات وما اشبه ذلك من الامور التى لا يقبلها الحكم الشرعى على كل حال ويقاس على هذا ما سواه) (5) .

ولو التزم هؤلاء الفرسان فى ميدان الضلال هذه القاعدة الجليلة وعرفوها بعلمهم لعصموا أنفسهم من كيد الشيطان، ولعلموا انه لعب بهم اذ قال لهم : (أَنَا اللّه) و (انتَ الله لست سواه) فما هى إلا صور شيطانية كما أدركها أبو ميسرة رضى الله عنه فبصق عليه ولعنه،أما التصديق به والقسم عليه والتملى فى محاسنه ـ كما دعا ابا ميسرة ـ فانه اغراق فى الضلال ـ عصمنا الله من كيده ، ونجانا من شره ، فانه سبحانه يدافع عن الذين آمنوا .

---

(5) الموافقات الجزء الثانى ، صفحة 279 .

الفصـــل الســابـع :

الفرسان الثلاثة وسلسلتهم ... المتصلة

أعنـى بالفرسان الثلاثة (الاستاذ الاكبـر) محمد الحبيب البوزيدى ، والشيخ عـدة بن تونس وواسطة العقـد بينهما الشيخ أحمـد بن مصطفى ابن عليوة فهؤلاء هم الذين اشتركوا فى انتاج (الديوان وامتلأ كلامهم فيـه بالباطل والبهتان ، ومن أقوال الباطنية وأهل الحلول ووحدة الوجود ثم طرح فى المـلأ من شبابنا وشوابنا وشيوخنا وكهولنا ونسائنا ليذكروا اللـه بـه ويرتقـوا فى حضرة القـدس ، و (يشطحوا) بما جـاء فيه مؤلهين المخلوقات الفانية ، معتقدين انهم ذات الله وعينه ، وليسوا سواه ٠

لم تكن الطريقة العليوية بدعا من الطرق الصوفية فينا ، فهذه الطرق كانت موجودة منتشرة ، وفيها ما نفع فى حفظ العربية والدين ببـــلادنا ، وقـاوم المعتدين يوم فاجاؤنا ، ومــن بين الطـــرق التى كانت منتشرة (الدرقاوية ، ـ والعليوية فرع منها ، وغصن من اغصانها ـ والدرقاوية كانت هى نفسها فرعا من الشاذلية ٠ اذ الدرقاوية كانت منتشرة كثيرا بالمغربين الاقصى والاوسط ، متفرعة من الطريقة الشاذلية ، وهى أيضا تنتشر باقطار المغرب كلها : مراكش والجزائر وتونس وليبيا ، وبمصر ، والشام ، والحجاز ، ونبغ فى رجالهـــا مشائخ صالحون ، وأحدهم هو الذى اتصل بالشيخ محمد عبده فى شبابه بمصر واثر فيه ، وحبب اليه طلب العلم، وصرفه عن اللهو والبطالة، ومحا من ذهنه البدع والخرافات والإشراك بالله. وكان يدعى الشيخ درويش تلميذ الشيخ المدانى الذى لقيه فى ليبيا وذلك مبسوط فى تاريخ الاستاذ الامام رحمهم الله ٠

اما فى وطننا فان الجهالة نزلت بمشائخ الطريقة ـ وخصوصا هؤلاء الفرسان الثلاثة الذين اطلعنا على (تربيتهم لمريديهم) ـ الى الهاوية السحيقة ، فاعلنوا فيهم ـ بكل صراحة ـ عقائد الباطنية ، وانهم عين الاله ، وليسوا سواه وان الكون فى قبضتهم ۰۰۰ الخ ۰ ما تضمنه كلامهم و (أشعارهم) واذكارهم من ادعاءات تنبو عن كل ذوق سليم ، « مما يؤذى الله ورسوله ويؤذى المؤمنين » ۰

اسنـــاد الطريقـــة :

وقد زعموا أن طريقتهم متصلة الإسناد ابتداء من البوزيدي الذى أخذ عنه العليوي الى النبىء صلى الله عليه وسلم تلقاها من جبريل أمين الوحي ، الذى أمر ان يبلغها اليه من الله،فقد خصهم فى زعمهم ـ برسالة بلغها جبريل الى محمد عليه الصلاة والسلام ، وأوصاه بتركها فى الباطن ولا يبلغها الا اليهم كما هو صريح فى قول ابن عليوة فى قصيدته الطويلة :

اخـذ مـن الرسول علمـا كفى بـه　　انـه علـم الباطـن فى القلب يـدلى
علـم كان مكتوما عـن الخلق جملـة　　وسـر كان مصونا باللفظ لا يتـلى

(الصفحة السادسة من الديوان المطبوع بمستغانم 1982 م) ۰

ان اعتقاد مثل هذا يخرج صاحبه من الايمان ، فان رسول الله بلغ ما انزل اليه من ربه واشهد الصحابة على تبليغه فى حجة الوداع فشهدوا وهم الامناء ، واشهد الله على شهادتهم بتبليغه فشهد بإكماله الدين ، ولو بقي منه جرف لما صدق الخبر ۰ وكانت رسالته عامة الى الانس والجن ونحن نشهد انـه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ۰

فما معنى تخصيص طريقة من الطرق باسنادها لها وحدها،وقد جاء سند القرآن ـ وهو كتاب الاسلام ـ متواترا ، وروى العالم كلـه أركان الاســلام وقواعده وفرائضه وسننه وآدابه بطرائق لا يتطرق اليها شك ولا لبس ۰

اما سلسلة هذه الطريقة فانها تبتدىء بالشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة ـ الذى يعتبر فى الحقيقة مؤسس هذا الفرع منها ـ وهو أخذ التربية والسلوك عن شيخه محمد بن الحبيب البوزيدى المستغانمى (توفى 1909 م) وقد ذكر هذا اسناد طريقه فى قصيدة منشورة فى الديوان المطبوع عام 1982 م ابتداء من صفحة 137 فقال :

فهــذه سـلـسـلــة طــريقــى   وما لهــا مــن أركــان التحقيــق
ذكــرتها بحســب التــرقــى   باسنــاد الرجــال أهــل الشــوق
أو لهــم شيخنــا الكــامــل   محمــد بــن قــدور الــوكيل
عــلى يديــه كــان لى وصــالى   وشربت مــن كؤوس الجمال (1)

وهذا الاخير أخذ الطريق عن شيخه المهاجى :

عــن شيخــه ابى عــزة المهاجــى   من نســل الهادى صاحب المعراج
يبقــى طريــق الجمــع والصواب   فهــو مــن شيــوخنا الاقطــاب

وعن الشيخ الدرقاوى أخذ الشيخ المهاجى ، قال :

عــن شيخــه مــولاى العــربى   بــن أحمــد الدرقــاوى المــربى

وبهذا نعرف أن بـين البوزيدى وبين الدرقاوى اثنــين فقط وهما محمد ابن قــدور الوكيل ، وأبو عــزة المهاجى ، وكان البوزيدى ينتسب درقاويا ، حتى جاء ابن عليوة فغير النسبة (علاويا) وما تزال طريقة (درقاوة) منتشرة بهذا الاسم فى المغــرب الاقصى وفى ولايات الغــرب الجزائرى ـ ثــم تستمر سلسلتها بعد الدرقاوى ـ كما رواها البوزيدى ـ ولا تصل الى الشاذلى الا بعد عشرين شيخا وهم هكذا :

اخــذ الدرقاوي عــن (1) مولاي علي الجمل وهذا عــن (2) الغوث العربي ابن أحمد وهذا عن (3) أبيه أحمد وهذا عن (4) أبى السعد اليماني وهذا عن (5) أبى الفضل ابرقاوي وهذا عن (6) أبى الفيض قاسم الخصائصي وهذا عن (7) محمد بن عبد الله الفاسي وهذا عن (8) (غوث الزمان) عبد الرحمن وهذا عن (9) القطب الربانى يوسف الفاسي وهذا عن (10) أبى الفيوضات غــوث الزمان وهذا عن (11) أبيه أبى الفضل علي الصنهاجي وهذا عن (12) القطب الفحام وهذا عــن (13) أبى محمد أحمد الزروقي وهذا عــن (14) أبى محمد

---

(1) معذرة لدى كل مطلع اذا عددنا هذا من الشعر ، فقد فرضوا ذلك علينا وعلى كل ناطق بالعربية ، والحقيقة انه القسم الــذى أشار اليه الخطيــب القزوينى بعد ذكره اقسام الكلام : ما بلغ حد الاعجاز ، ثم ما يقرب منه ، ثــم سائر الكلام ، والقسم الرابع هو ما تغير عنه وهو هذا !

أحمد بن عقبة الحضري وهذا عن (15) يوسف القدير وهذا عن (16) شيخه علي بن وفاء وهذا عـن (17) أبيه محمد (بحر الصفا) وهذا عـن (18) داود ابن باخلي وهذا عن (19) أحمد بن عطاء الله ٠

ويعتبر ابن عطاء الله الاسكندرى من أشهر علماء التصوف ، عاش أواخر القرن السابع وأوائل الثامن الهجرى ـ فى عصر شيـخ الاسـلام ابن تيمية ، وتوفى عام 709 هـ (1309 م) بينما توفى ابن تيمية رحمه اللـه عام 729 هـ وترك ابن عطاء الله فى كتبه الشهيرة (تاج العروس وقمع النفوس) وكتاب (الحكم العطائية) ٠

وأخذ ابن عطاء اللـه عـن (20) الموسى وهذا أخذ عـن (21) أبى الحسن الشاذلى،وفى هؤلاء الذين تقدم ذكرهم يقول البوزيدى :

فكـــل هـــؤلاء عـارفــــين ... وكلهـم للشــــراب يهـــدون
عـن الشيـخ داود بـن باخـــلي ... عـن أحمد بن عطاء اللـه الكامل
ثـــم الى الصمـــد ان المـــوسى ... فهـو الـوارث أسـرار القـدس
عـن الشـاذلى مجمـع البحـرين ... وبـرزخ لا يبغيـــان دون مـين
لـه كــلام فى الطـريق عــالى ... ولطيـف التحقيـق عنـه غــالى

وأبو الحسن الشاذلي اليه تنتسب هذه الطريقة فى الحقيقة وأصله مغربي ولد قرب مدينة سبتة وسكن مدة طويلة بتونس فى (شاذلة) فنسب اليها ٠ وما زال له مقام مشهور بمقبرة الجلاز يجتمع فيه للذكر حسب تقاليد الطريقة مرة كل أسبوع ٠ ثم ارتحل الى مصر وتوفى بقرية فى صعيدها وتنسب اليه مؤلفات منها ، مجموعة الاحزاب ٠

وهكذا نجد بين الدرقاوى وبين أبى الحسن الشاذلى (21) شيخا كلهـم موسوم اما بـ (الغوث أو بالقطب) وكل ذلك يرجع بسند أو يتصل بسبب الى الباطنية كما حققه ابن خلدون فى مقدمته ٠

وان شئت ان تتم مواصلة هذه الرحلة مع السلسلة (العنكبوتية) التى توصل البوزيدى بالمولى عـز وجـل وعلا ما دام قد انحرف عن سلسلة رواية القرآن فان الشاذلى أخذ عن (22) عبد السلام بن مشيش ـ وقد بـرأه احد

علماء المغرب مما نسبب اليه ، وهو الاستاذ محمد غازى،قال ان لديه وثائق تثبت أنهم زوروا عليه ما نسب اليه من أقوال فاسدة ، ولعل منها منظومة الغوثية ، وكان يقرأها فى أحزابهم إخوان (الطيبية) بمدينة قسنطينة فحفظتها صغيرا ، ثم نسيتها ومطلعها :

باسم الاله نبتدي الغوثية   مصليا مسلما بالنية

وفيها ـ على ما أذكر ـ استنجاد بالصالحين واستشفاع بهم ، وانما يكون الدعاء خالصا لله ، ومن الله ٠

وأخذ ابن ماشيش عن (23) القطب الزيات وهذا عن (24) القطب الكامل تقى الدين الصوفى وهذا عن (25) فخر الدين وهذا عن (26) أبى الحسن على نور الدين وهذا عن (27) محمد تاج الدين وهذا عن (28) محمد شمس الدين وهذا عن (29) زين الدين القزوينى وهذا عن (30) أبى اسحاق الومينى وهذا عن (31) سعيد المريبى وهذا عن (32) شيخه سعدى وهذا عن (33) محمد ابن فتح السعود وهذا عن (34) العروانى وهذا عن (35) محمد بن جابر وهذا أخذ عن (36) الحسن بن علي السبط كرم الله وجهه فى الجنة ، وأخذ الحسن عن (37) أمير المؤمنين علي بن أبى طالب كرم الله وجهه،وأخذ علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقى رسول الله الوحي من جبريل،وجبريل أنزله رب العالمين ، وقد كذّب عليّ ـ فى حياته ـ ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه بشيء دون صحابته ، وشهد ان رسالته كانت عامة ، ورغم ذلك يزعم هؤلاء مثل هذا وانه خصهم برسالة !!

وفى هذا يقول البوزيدى :

ثم الى الحسن القطب الزاهد   فى الملك برهان له شواهد
عن القطب الاكمل جمع الجميع   وبرزخ البحار أصل النفع
له الجزاء فى الرضى والرضوان   آل وصحب شمس العرفان
سيدنا علي الامير   وصهر المصطفى بذاخير
اذ هو باب حضرة الرحمن   وعنه كل اعداد العرفان
ثم عن محمد واسط الوجود   فلولاه ما بدا من وجود

ثم عن الامين جبريل علیه بسلام الله صاحب الرسائل
ثم الى رب العزة والجبروت الواحد الاحد الذى لا يموت

وقد ذكر نفس هذه السلسلة الشيخ ابن عليوة في ديوانه (103 ـ 104 ـ 105) متوسلا باسم كل واحد منهم مزكيا له على الله .

ان هذه السلسلة التى يبثها هؤلاء فى أتباعهم توحي الى المريدين بالثقة التامة فى كل رجالها والاطمئنان الى صحة ما يروونه لهم ويبثونه فيهم ، ولا شك ان فى هؤلاء طيبين يوثق بهم ويؤخذ عنهم الدين ، كيف لا وفيهم الحسن وعلي عليهما السلام ، ولكن غيرهم يخضعون كلهم لقواعد الجرح والتعديل عند المحدثين، ولا تقبل رواية مبتدع وخصوصا الباطنية، وهذا ما اتفق عليه أهل الحديث فهل هم كلهم فوق الشبهات فى عملهم وسلوكهم وعقلهم وخلقهم ودينهم ؟ يقينا ان الامر ليس كذلك، فلابد لكل واحد من يعرف به ويرضى عنه أهل صناعة الحديث ، على انه اذا روي عنه ما خالف المعلوم من الدين بالضرورة رفض قوله ورد على وجهه، فما بالك بالذى جاء فى قوله :

(أنا منهاج الطريق ، والكون فى قبضتى)

أو قال **أنا لست انسان ، ولا من الجان ، أنا ذات الرحمن والكل مني** .

فالذى فى قبضته الكون والسماوات مطويات بيمينه وهو ذات الرحمن هو الله سبحانه وحده لا شريك له . اما هذا المدعي فانه والله ان صحت الرواية عنه ـ **لأحقر من كل ما ادعى** ، وانه ليصح ان يوجه الى من دعاهم ان يعتقدوا فيه مثل هذا الاعتقاد « **يايها النَاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاستَمَعوا له ان الذين تَدعُونَ من دون اللـه لن يَخلقُوا ذُبَاباً ولـو اجْتمعُوا له ، وان يَسْلُبْهُم الذبابُ شَيئاً لا يستنقِذُوهُ منه ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ ، ما قَدَروا اللهَ حقَّ قدره ان اللـه لقوي عزيز** » .

الفصـــل الثـامـن :

تسابق هؤلاء الفرسان في ميدان الجهر بالسـوء مـن القـول

أولا : من أقوال الشيخ أحمد بن عليوة

بعد كـل ما تقدم نشرع في اقتطاف أقوال من هذا الديوان صدرت مـن هؤلاء الفرسان الثلاثة : ابن عليـوة ، وابن الحبيب ، وابن تونس كشواهد عن انحراف قائليها عن صراط اللـه واندفاعهم في ميدان البدعة الباطنية ، والقول بالحلول ووحدة الوجود ٠ وغير ذلك من أقوال فظيعة ، ولوازم شنيعة مشيرين ـ باختصار ـ الى مواطن المؤاخذة ، ومنبهين أحيانا عليها برد وجيز ، عاذرين ابن باديس وصحبه في ثورتهم ، وفي عنفهم أحيانا ـ في انتقادهم ٠ فان في بعض هذه الاقوال ما يستفز الحليم ، لا من علماء الشريعة والديـن فحسب ولكن من العقلاء المدركين المكلفين ! بل من كل من ألقى السمع وهـو شهيد ممن يتمتع بعقل صحيح أو ذوق سليم ٠

أول ما يجابه المطلع على هذا الديوان صورة كبيرة للمؤلف ، مع تعريف به يقول عنه انه العارف بالله والدال عليه الاستاذ الاكبر فلان ٠

ويزاد عليه في جهات أخرى انه الملقن لاسم الله الاعظم ٠

ثم يفاجأ المرء بكلام فيبقى حائرا :

أى نوع من الكلام هذا ؟ ان كلمة (الديوان) توهم انه شعر ولكنك لا تملك نفسك أذا اطلعت عليه الا ان تتساءل :

أهذا شعر ؟ أم نثر مسجوع ؟ أم نثر مرسل ؟ أم هو شيء آخر ؟

الحق انه لا يخضع لشيء مما عرف به الشعر الفصيح ، ولا الملحون ولا النثر المسجوع ولا النثر المرسل،ولا حتى الهذر ، من خوار البقر ، الذى يسمونه الشعر الحر ٠

وقد استشعر هذا الحرج مروج (الديوان) اذ أراد أن يعتذر ، فجاء بما يصح أن يقال فيه (رب عذر أقبح من ذنب) قال :

(والذى يلاحظه القارئ ان معظم قصائد الديوان لم تجر على قاعدة العروض الشعرى والعناية بالاوزان ، وقد أجاب الاستاذ العلاوى عندما سئل عن ذلك فقال :

(ان القوم ـ رضوان الله عليهم ـ أغلبهم لا يتعاطى فى الشعر اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم حيث لم يؤذن له فى ذلك فكانوا فيه أقصر باع (كذا) من غيرهم الا من تعاطاه من قبل ـ فالصوفى يعبر عن معارفه وفتوحاته كيفما اتفق أذ لا عبرة باللفظ اذا استقام المعنى) (3) ٠

ليس فى الديوان قصيدة واحدة جرت على قاعدة العروض الشعري والعناية بأوزان الخليل بن أحمد وان كان قد يوجد بيت أو جزء منه فى القصيدة فقوله (معظم قصائد الديوان) مغالطة ٠

واما الاعتذار ففيه جراءة ، فالنبى صلى الله عليه وسلم منع من تعليمه الشعر لانه لا ينبغى له وحتى لا يصدق عليه زعم الذين قالوا : شاعر ، مجنون الخ ٠٠ فهل هو فى مثل هذا المقام أو متطلع اليه ؟ ولقد قال الشعر ابن الفارض وابن العفيف التلمسانى ومحيى الدين بن عربى ـ وكلهم من فرسان مذهب الحلول أو وحدة الوجود ـ فبلغوا فيه الذروة وصح فيهم أن يعدوا فى عباقرة فن الشعر، وليت موضوعاتهم كانت فى فنون الشعر ٠ وقد اقر النبى صلى الله عليه وسلم قول الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وسمع منهم ،

---

(3) مقدمة الديوان ، ص : 3 ـ 4 ٠

حتى ما جاء فى مقدمات قصائدهم من تسبيب ، ولم يقل مسلم : « لا أقول الشعر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم » وقد اخبر حسان بان روح القدس معه فى دفاعه عن رسول الله به • وليس بمرخص للصوفى ان (يخترع) فنا من الكلام ويأتى به أشبه بالهذيان : فاسد اللفظ ، فاسد المعنى فان انتقده عليه منتقد قال:انى أعبر عن (معارفى) و (فتوحاتي) كيفما اتفق ، وان جاء بطامة من الطوام فى المعنى قال : لن هذه (شطحة) من (شطحاتى) فلا تؤاخذونى بها !

هل تريد ان تسمع مثلا من هذا (الشعر) الفاسد مبنى ومعنى ؟ هذا أول بيت في أول قصيدة توجد فى الديوان :

يا أيها العشاق للمحضر الاعلى عيدونا(كذا)بوصلكم وروموا فيناوصلا

وبعده :

فهذا وقت النهوض للمقام الاسنى فلله الحمد حيث كنا له أهلا

والبيت الرابع نصه :

فنحن حمام الوصل من فضله فصرنا على جمع ـ تالله ـ ولا حولا

فأى معنى يستقيم مع الفاظ عجز هذا البيت ؟

ومن عيون القصيدة ـ وكلها عيون عمياء ـ قوله فى وصية من أراد الوصل :

وليقل أنا الغريق لا لى ولا معى وليستنجد أرباب الوصول الى الوصلا

فمن أين جاءت الشدة الى كلمة (الوصلا) ولم تستح من وضعها حتى امتدت الى الف الاطلاق مع وجود حرف الجر قبل اسم معرف بال ! الا يدركنا الخجل من مثل هذا الاستعمال ؟

فساد فى اللفظ والمعنى

ورغم الفساد البين فى التراكيب وفى الاستعمال وفى البعد الواضح عن كلام الناثرين والشاعرين فقد تعددت أبياتها و (نمت) وامتدت على عشر صفحات كاملة مشتملة على 215 بيتا ، اما المعانى الواردة فى هذه القصيدة ـ ان ادى التركيب معنى ـ فانها من اشنع المنكرات من أقوال المبتدعة الباطنية

الذين ما أسسوا مذهبهم الا لتهديم الاسلام ومحو دولة العرب مـن الوجود كما حققه العلماء الثقات ويمكن ان يطلع عليها فى كل جزء منها وهاكم بعضها :

1) ارتفـاع الحجب عـن اللـه :

زعم العارف بالله ان من (صل) :

يرفـع عنـه حجبـا كانت لقلبـه	منيعة عن الوصل للمقام الاعـلى !
ويدخل (حضرة) الله من بعد فصله	ويـرى ظهـور الحـق اينما تولى
ويفـنى عـن العالـم طـرا باسـره	فلا قاصرات الطرف يهوى ولا خلا!(4)

فهذا من دعاوى أصحاب وحدة الوجود وهو ان يرى الله ـ سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ فى كل موجوداته يفنى فيه ! أى يحل فيه !

2) اخذ علم الباطني وكتمان الرسول ؟!

ثم يزعم أن هذا الواصـل :

اخـذ عـن الرسـول علما كفى به	أنه علم الباطن في القلـب تـدلى
علـم كان مكتوما عن الخلق جملـة	وسر كان مصونا باللفظ لا يتلى (5)

فهو ـ فى هذه الدعوى ـ يسند الكتمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مما يخالف ما يجب اعتقاده في الرسل كلهم من الامانة والتبليغ ، ويستحيـل في حقهم من الخيانة والكتمان ، ورسولنا عليه الصلاة والسلام قد شهد اللـه له بانه بلغ رسالة ربه ، فقد قال تعالى : « **يا ايها الرسولُ بلّغ ما انزلَ اليـك من ربك ، وان لم تفعـل فما بلغت رسالاته ، والله يعصمك مـن الناس** » ثم قبل موته بنحو تسعين يوما انزل عليه يوم عرفة : « **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** » ، فهذه براءة الله لرسوله بانه بلغ رسالته كلها حتى أكمل الدين الذى رضيه سبحانه للمسلمين ولو كتم حرفا لما صح القول ان الدين كمل .

فالقول بان (الواصل) اخذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم « علم الباطن وان هذا علم كان مكتوما عن الخلق جملة ، وانه كان مصونا لفظه لا يتلى ـ

---

(4) الديوان طبعة مستغانم 1982 م ، ص 6 .
(5) المصدر السابق ، ص 6 .

لا يمكن ان يعد ـ بأى حال من الاحوال ـ شطحة من الشطحات ـ ولا يعـذر قائله لانه اسناد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يصح ان يسند اليه من الاتيان بعلم الباطن ومن كتمانه عن الخلق (جملة) ثم ابلاغه لواحد بعد قرون كثيرة » ! !

فالكتمان من المستحيلات فى حق جميع الرسل ومنهم نبينا محمد صلى الله عليهم أجمعين ، وهذا من بديهيات (علم التوحيد) ٠

3) نـوم يغنـى عـن ذكـر اللـه :

وقد وصف فى القصيدة نفسها (البدلاء) وعين مكانتها وهو فى زعمه منهـم ، قـال :

هم العـروة الوثـقى بهـم فتمسكن ... هـم أمان أهل الارض فى الخلا والملا

لهـم قلـوب تـرى ما لا يرى غيرها ... أيقاظ وان ناموا ففى نومهم وصلا

تالله نوم العارف يغنى عـن ذكـره ... فكيف بصلاة العارف اذا صلى (6)

أما العروة الوثقى ـ كما فهمنا من القرآن الكريم ـ فيمكن ان يستمسك بها من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وحده لا شريك له فى الوهيته ولا فى ربوبيته كما قال : « **فمن يَكفُرْ بالطاغوت ويُؤمن بالله فقد اسْتمْسَك بالعُرْوَة الوُثقَى لا انفِصَامَ لهَا** » ، واما هذا العارف بالله فانها عنده (قوم من البشر) يأكلون ويشربون ويتغوطون ! وينامون ويسهون ويمرضون ويموتون ، وأيـن هـو اليوم وهو منهم كما يزعم ؟

صدق الله العظيم القائل فى تربية المسلمين : « **مثَلُ الذِين اتَّخذُوا عـن دونِ اللهِ أولياء كمثَلِ العَنْكَبُوت اتَّخَذَتْ بيتاً وانَّ اوهـنَ البيُوت لبَيْـتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون** » ، فلو كان يعلم لما دعا لمثل هؤلاء القوم فى هـذا الموضوع ، وأقول ان هذا (البديل) يقول لمريده (بهم فتمسكن) والصيغـة ـ بمقتضى القواعد اللغوية ـ تقتضى الحصر بتقديم الجار والمجرور وتقتضى التأكيد لوجود النون وبالامر القاطع ، وهؤلاء القوم (البدلاء) هـم دون اللـه قطعا ، أم هم ليسوا سواه ؟ فهذا أدهى وأمر ، وهى دعوى أمثال هـذا

---

(6) المصدر السابق ، ص 7 ٠

العارف وهم عنده ايقاظ وان ناموا ، ثم ان نومهم يغنى عن ذكرهم ! ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه حقا ، ومع ذلك فما استغنى أبدا عن الذكر وما سوى بين الذكر والغفلة ، والله يقول : « **ولا تُطِعْ مـن أغفلْنَا قلبَه عن ذكرِنَا** » والذكر غذاء القلوب وأمانها : « **ألاَ بِذِكرِ الله تطمئنُ القلـوبُ** » .

4) اثبات الجهة لله ، والوقوف معه وحلوله فى خلقه :

هذه الدواهي يبثها فى نفس (القصيدة) وينسب لنفسه انـه صاحب هذه الحالة فيقول عن الواصل :

يكون بسقف العـرش حالـة قربـه واقفـا مـع الاله يا لها مـن حـالا
حالة لو حـال الحال بينى وبينها لقلت هذا محال والحال لا يحلى (7)
حالة حـل العزيز فيها بعد النـوى وطاف طائف الوصل منا بعد الفصلا

كيف يصل (واصل) الى سقف العرش ؟ كيف يقف مع الاله ؟ أكما يقف الند مع نده ؟ وأى جهالة وسوء أدب فى التعبير ؟ ثم يزعم أنها حالة أصبحت من حالاته لا تنفك عنه ومحال فى حقه ولا يحلو له شىء من دونها ثم ينتهى الى القول بالحلول حلول الله فيه ، تعالى عن ذلك : (حالة حل العزيز فيها بعد النـوى) .

5) الواصلون وعـلامة وصلهـم :

الواصلون عنده من أرتفعت درجتهم الى الحلول والاتحاد بالله ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ وفى نفس هذه (القصيدة) يذكر أوصافهم ويزعم ان من توفرت فيه فهو منهم ، قال :

فهل له ـ ياهذا ـ نصيب من ذوقهم فان كنت مثلهم نعـم فلـك صـولا
وان لم تجد لديـك شيئا مما لهـم فانصف من نفسك وهذا الوصف يتلى
فهل طويت الاكوان عنـك بنظـرة ؟ وهل شاهدت الرحمن حيثمـا تجـلى
وهل افنيت الانـام عنـك بلمحـة ؟ أم تمت عن الجميع علويا وسفـلا

---

(7) المصدر نفسه ، ص 8 ـ 9 .

وهل طفت بالاكوان من كل جانب وهل طاف بك الكون وانت له قبلا
وهل زالت الحجب عنك تكرما وهل رفعت الرداء عنك ثم السدلا
وقيل لك ادْنُ فهنذا جمالتا مرحبا فتمتع بك أهلا وسهلا
وهل دعاك الداعي فقمت لامره وكنت أديب السير وخلعت النعلا
وحاط بك التعظيم من كل جانب ولما صح الوصل ملت له ميلا
وهل صنت سر الله بعد ظهوره وكنت عنه أمينا وهل لبست الحلا
فهذا بعض الذى يدل عن قربك والاثم أسرار لا تفشى فى الملا
فان صح هذا الوصف عندك فذاكا والا أنت البعيد من (حضرة)المولى (8)

ان مثل هذه الاوصاف ومثل هذه المحاورة التى اجراها هذا الواصل ادنى من أى محاورة قد يجريها عبد مع ضيفه اذا وصل عنده ·

(زالت الحجب بين الله ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ وبين (الواصل) ورفع الرداء المسدول فيقول الله : ادْنُ فهذا جمالنا ، مرحبا وأهلا وسهلا تمتع فيخلع الواصل نعله ويحيط به التعظيم فيميل ميلا نحو واصله ثم يكتم سره!)·

6) الله كل شىء فى الوجود :

ومما شرحه فى هذه القصيدة نظريته فى وحدة الوجود وفناء الذات فى المعبود حتى يرتقى الى البقاء وبقاء البقاء ، يقول :

وليس وجود الحق قبل وجوده **وبعد وجوده** وحيثما تولى
كان الله وحده ولا شىء معه وهو كما كان آخرا وأولا
فهو واحد الذات لا شىء دونه باطن ظاهر أزلى ولا زالا
فاينما رايت رايت وجوده ففى مطلق التوحيد ليس فيه الا

ثم يقول :

الى ان ترى العالم لا شىء فى ذاته اقل من القليل فى تعظيم المولى
فان برز التعظيم تغنى فى عينه لانك لم تكن من أول الوهلا

(8) الديوان ، ص 10 ـ 11 ·

فلم تـدر مـن أنت فكنت ولا أنت　　فتبقى بلا أنـت لا قـوة ولا حـولا
وبعـد فنائك ترتـقي الى البقـاء　　**الى بقـاء البقـاء الى منتهـى العـلا**
ولتكـن **مـع الالـه في كـل حالـة**　　ومن ذا الذي يرغب عن هذه الحالا؟(9)

7) **وحـدة الوجـود** : هذه دعوة صريحة الى القول بوحدة الوجود ! والعبد مسبوق بعدم ، وهو من بعد وجود فان خلاف ما يقول هنا ٠

فالذى يعرفه علماء التوحيد ان الوجود وجودان ، وجود واجب هو وجود الله سبحانه وتعالى : « **هو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطـنُ** » ، وهو « **الحي الذى لا يموت** » المحيط بكل شيء ، وهو سبحانه « **لا تُدركه الأبصارُ وهـو يدركُ الأبصار وهو اللطيف الخبير** » ، وقد فصل علماء الكلام ما يجب فى حقه وما يجوز وما يستحيل ، والوجود الثانى هو جائز الوجود وهو ما سوى الله سبحانه وتعالى من العوالم ، والجائز الوجود مسبوق بالعدم ، فان بعد الوجود٠

أما عند هذا ــ الذى يزعم ويزعم له أنه يعرف الخلق بالله ــ فهو ما رأيت من أوصانه:أينما رأيت رأيت وجوده ، فاذا رأيت العالم لم تجد شيئا فى ذاته وأنت نفسك ــ بعد الفنا ــ تتحقق أنك لست شيئا سوى الله ! تعالى الله عن ذلك ــ لانك لم تكن شيئا فى أول وهلة فلم تدر من أنت ؟ ولما كنت قبلا موجودا فانك لست أنت ؟ ! ثم تبقى فانيا معدوما بلا أنت وبعدئذ ترقى الى البقـاء الابدى والوجود السرمدى لانك قد حل فيك الله ! (ولتكن مع الاله فى كل حالة) ، ومثل هذا الكلام لا يصح ان يحسب من آمن به فى صف الاسـلام ولهذا كفر علماء المسلمين القائلين بالحلول ووحدة الوجود ، وقد تقدم كـلام ابن خلدون ــ كمؤرخ ــ فى موقفهم منه ، وقال الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار وهو يتكلم على الذين ضلوا بالتأويل والتعطيل لصفات الله:(حتى خرجت به عدة فرق من الملة بعضهم باطنا وظاهرا ، وبعضهم باطنا لا ظاهـرا كالباطنية وكغلاة الصوفية الذين ذهبوا فى التاويل الى ما وراء العقل والنقل وأساليب اللغة فادعوا انهم يرون الله عيانا فى جميع الصور ويتلقون عنـه كالانبياء وان فيهم من هم افضل من الانبياء وأعلم بالله تعالى ، ومنهم من ادعى رفع التكليف عمن بلغ مقامهم فى المعرفة ، بل منهم من غلا فى وحدة الوجود

---

(9) المصدر السابق ٠

الى ادعاء الربوبية للبشر والبقر والحجر والمدر ، وما يستحى أو يتنزه قلم الاديب المتدين عن ذكره) (10) اهـ ·

8) تأكيد القول بوحدة الوجود :

ويقول أيضا فى نفس القصيدة :

ترى مظاهر الكون تسجد لبعضها ... وثم سر لطيف خفى عن المقلا
ولولا ظهور الحق فى كل صورة ... لما بلى قيس بالشوق الى ليلى
ولا عشق العشاق كل مليحة ... ولا مالت الحسان وجرت الذيلا (11)

والبيت الاول ينقل معنى لابن الفارض يزعم فيه انه عندما يصلى فانه يصلى لنفسه ! فبصفته مخلوقا مأمورا بالسجود يسجد لخالقه وبصفته هو نفسه ذات خالقة يعتبر قد صلى لنفسه !

وفى البيتين بعده يزعم أن قيس بن الملوح كان يعشق فى ليلى ظهور الحق فيها ! وهكذا كل عاشق ومعشوق حتى (أرمان) مع (مرغريت) فى رواية اسكندر دوماس ! (غادة الكاملیا) ·

فاذا أبصرته أبصرتنى ... واذا أبصرتنى أبصرتنا !

9) عن شيخه ورث الحلول : أرتق للالوهية !

وقد افصح فيما يأتى عمن انتقلت اليه العدوى منه اذ قال :

نوصيك بما أوصانى ... أستاذى قبل المنيا
البوزيدى كان غنى ... على جميع البريا
أترك كلك فى مكانى ... وأرتق للالوهيا
وانسلخ عن الاكوان ... لا تترك منها بقيا
هذا وذاك سيان ... انظر نظرة مستويا
المكون والاكوان ... **مظاهر الوحدانيا**
ان حققت بالعيان ... لا تجد شيئا فريا (17)

(10 تفسير المنار ، ج 9 ، ص 132 ، الطبعة الاولى بمطبعة المنار ·
(11) الديوان ، ص 13 ·
(17) الديوان 23 ·

ان هذا الاستاذ الذى وثق به قد أرتقى الى مقام « الغنى » المطلق ، يوحى اليه أن يرتقى الى الالوهية ! فهذا الداء سرى الى التلميذ العليوى من أستاذه البوزيدى كما اعترف فى هذه القطعة من قصيدته ، فهو الذى أوصاه بالانسلاخ عن الاكوان ، والارتقاء الى الالوهية ، وان المكون والاكوان شيء واحد ، ومظهر الوحدانية ، ومن حقق النظر يجد أن البوزيدى قد ذهب ، والعليوى لحقه ، والله الباقى الصمد باق كما قال : « **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام** » ٠

10) ليلى وعاشقها :

يكنى بعض مدعى مذهب التصوف عن الذات الالهية بليلى ، ويذكرون ذلك فى أشعارهم ويتغزلون بهذا الاسم ويرددونه فى الحب الالهى ، ويعلنون أن مقصودهم بذكر الحب حب الله وقد يسمونه ـ تعالى ـ باسم آخر من أسماء النساء المعشوقات !

ولا شك أن ذلك من وحى الشيطان ، وتلاعبه بهذه « الرعية » الطيعة التى وجد فيها من الجرأة على الله ما لم يتفق له (18) ، فان أسماء الله الحسنى توقيفية ولا يجوز تجاوزها ، ولا يحل لمسلم الالحاد فيها ، لقوله تعالى : « **ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون** » ٠ والالحاد فى الاسماء « بالميل بألفاظها أو معانيها عن منهج الحق الوسط الى بنيات الطريق ومتفرق السبل من تحريف أو تأويل أو تشبيه أو تعطيل أو شرك أو تكذيب أو زيادة أو نقصان أو ما ينافى وصفها بالحسنى ومنتهى الكمال » (19) ٠

ومن الالحاد « تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه وبما لا يليق بكماله وجلاله » ، وهل يليق به ان يسمى باسم امرأة هى رمز للعشق واشتهاء الجنس ؟ قال الشيخ محمد رشيد ان من الالحاد فى أسمائه : « تسميته بما لم

---

(18) قال تعالى لما تحداه ابليس : « **ان عبادِى ليس لك عليهم سلطانٌ إلا من اتَّبعَك من الغَاوين** » وبالاتباع صاروا رعية !

(19) تفسير المنار ، ج 9 ص 440 ,طبعة أولى ٠

يسم به نفسه فى كتابه ، أو ما صح من حديث رسول الله صلى اللــه عليــه وسلـــــم » (20) ·

وقـــال :

« وقد اتفق أهل الحق على أن أسماءه وصفاته ـ تعالى ـ توقيفية ونصوا على اثبات كل ما ورد فى الكتاب والاحاديث الصحيحة دعاء ووصفا له واخبارا عنه وعلى منع ما دل على منعه ، ومنه كل ما يسمى الحادا فى أسمائه وكــل ما أوهم نقصا أو كان منافيا للكمال ووصف الحسنى ، وقد منع جمهور أهل السنة كل ما لم يأذن به الشارع مطلقا » (21) · ومعنى التوقيفية انها تكون من نص الشارع وبتوقيف منه ، ولا تكون من اختراع أحد ·

ولكى تتصور مقدار الجراءة والفحش الذى يقع فيه القوم ، تعال معي لترى قول هذا القائل بعد أن ادركت مقصودهم من « ليلى » ·

قـــال : (22)

دنـــوت مـــن حـي ليـــلى	لمـــا سمعـــت نـداهـــا
يـــا لـــه مـــن صـــوت يحلـو	أود لا ينتهـــــــــــــى
رضت ـ كـذا ـ عني **جذبتني**	**ادخلتـــــــني لحمـاهـــا**
آنستـــــنى خـــاطبتـــــنى	أجلستــــــنى بحـذاهـــا
قـــربـــت ذاتهـــا مـــنى	**رفعـــت عـــنى رداهـــا**
أدهشتــــــنى تيهتــــــنى	حـيرتـــــنى فـــى بهـاهـــا
فـــاذا مـــا كـــان مـــنى	غـــير أن سجـــدت لهـــا
أخـــذتــــنى ملكتــــنى	غيبتــــنى فى معناهـــا (23)

هذا ما كان من ليلاه أولا ثم أنظر ما صنعت به ·

بـــدلتنـــى طـــورتنـــى وســمــتــنى بسمـنـاهـــا

---

(20) تفسير المنار ، ج 9 ص 440 طبعة أولى ·
(21) المصدر السابق ، ص 444 ·
(22) الديوان ، ص 30 ·
(23)الديوان ، ص 31 ·

جمعتني فردتني لقبتني بكناها
قتلتني مزقتني خضبتني بدماها
بعد قتلي بعشتني ضاء نجمي في سماها
أين روحي أين بدني أين نفسي وهواها
قد بدا منها لجفني ما قد مضى من خفاها
تالله ما رأت عيني ولا شهدت سواها (24)

ثم يقول :

حسبي من حبيبي أني متصل به شفاها
لنا منه نور يسني قد ضاءت منه جباها (25)

هل عرفت من هي « ليلى » في شعر هذا العارف بالله والدال عليه المعرف به ؟ هل كانت في أول أمرها سوى لعوب من بنات الهوى ، ثم كانت في آخرها معه سوى سفاكة للدماء ، ثم يكشف الحجاب عنه ويقسم بالله على دعواه أنها « الوجود الواحد » عنده وعند أصحابه من دعاة وحدة الوجود ؟

ان أقل ما يستحق من يحب الله بمثل هذا الاسلوب ، وينطق بمثل هذا الكلام ان يقضي حياته في مرستان ، ان التعريف الذي وضعوه لمثل هذا الكلام « الشطحات » لا يصدق عليه بحال ، لانه سجل وروج بعد ان زالت حال الجذب عن صاحبه ورجع الى طبيعته ، وأصبح مسؤولا عما يصدر منه ، فاذا اقره بعد عرضه فكانه قاله من جديد في يقظته .

11) هو ذات الرحمن :

بهذا صرح في قطعة ليقول فيها ، وانه ليس سوى ذات الرحمن ، استمع اليه :

لا نرى في الاكوان وفي نفسي مني
الا ذات الرحمن قرت بها عيني

(24) الديوان ، ص 31 .
(25) الديوان ، ص 33 .

شـاهـدتهـا عيـــان   حيـرت لـي ذهنـي
ظهـرت بكـل الــوان   مـاذا يصحـي جفنـي ؟
شـربتنـي كيـزان   اخـذتـني مـني !
أدخـلتـني الديـوان   نطقـت عـن لسنـي (26)

انه لا يرى في الكون ، ولا يرى في نفسه سوى ذات الرحمن ! وانه بذلك قرير العين ، يشاهد ذلك بعينه ، وقد أخذته من نفسه ، وأدخلته الديوان ، وانه صار نطقه هو نفس نطق الرحمن الرحمن !

واحـد فـريد في الزمـان !   الكـل دونـي ـ والكـل مني

وبعد أن غرق في « وحدة الوجود » عـاد الى الحلول ، لانـه يمكن له ان يكون ثانيا حل به اله الكون ، تعالى وتبارك ، قال : في نفس القصيدة :

هـب نفـس الـرحمن   مـن جانـب اليمنـي
تشكـل بـالانسـان   وبـالـروح منـي
قمـت نحكـي مـا كـان   ومـا معنـي كـوني
بـالصحـة والبيـان   قـولي قـول يغنـي
جـاد بـي الاوان   اعـرفـوني أنـي
واحـد فـي الـزمـان   فـريـد في وطنـي

ثـم يقـول :

أنـا حبـر العـرفـان   أنـا الحصـن المبنـي
أنـا كـوكـب فتـان   أنـا الفـرد المغنـي
أنـا نـور الاعيـان   أنـا الكـل دونـي
أنـا لـب الايمـان   أنـا قطـب الـديني
أنـا لسـت انسـان   ولا مـن الجـن
أنـا سـر الـرحمـان   أنـا الكـل منـي (27)

(26) الديوان ، ص 36 .
(27) المصدر نفسه ، ص 37 ـ 38 .

أما كونه واحدا فى الزمن فريدا فى الوطن ، فالحق أنه يشبه ذلك ، فانه ـ وان سبق باستاذه (الحبيب) ، ولحق به تلميذه عدة ـ بلغ من الاستدراج درجة لم يبلغ اليها (الاستاذ) الاكبر ، والذى اعتز بنفسه وتجبر ، وقال لما أمر بالسجود « **أنا خَيْرٌ منه** » فمن قال مثله (أنا) فقد أشبهه ، ومع ذلك فلم يبلغ أن قال : « أنا ذات الرحمن » « انا الكل دونى » « انا الكل منى » أنا لست (انسان ولا من الجن) ان ابليس اعترف باصل خلقته وانه من الجن اذ قال : « **أنا خيرٌ منه خلقْتَنِي من نارٍ وخَلَقْتَه من طِين** » فاعترف بانه مخلوق ، وان آدم مخلوق ، وخالقهما الله واعتز على آدم بالنار التى خلق منها ، لم يقل ابليس انه سر الرحمن وانه جلس الى جانبه الايمن وتشكل بانسان واخذ منه الروح ونطق بلسانه وان الخلق كلهم دونه وانهم منه وقائل هذا واحد فى الزمان ، فريد فى الوطن !

12) تالله لست سواه :

والفناء عنده فى الله ان يفكر فيه وينسى كل شيء ، فاذا به يجد نفسه ليس سواه ! فان سئل من تعنى ؟ قال : هو الله ! :

يا مريدا فزت به	بادر واقصد من تهواه
ان أردت تفنى فيه	لا تُصْغِ لما عداه
حضر قلبك فى اسمه	شخصه وافهم معناه
وجه وجهك لوجهه	واهتز اشتياقا له
اخفض الطرف لديه	وانظر فى ذاتك تراه
اين انت من حسنه	تا لله لست سواه
ان قيل من تعنى به	صرح وقل هو الله
أنا فيه ، فانى به	يرانى كما أراه
لا نرضى بدلا به	أهل الهوى فيه تاهوا (28)

(28) الديوان ، ص 47 .

لست سوى الله !

كثيرا ما روى الشهاب والكتاب المصلحون ان ابن عليوة قال في احدى شطحاته السخيفة : « فتشت عليك يالله وجدت روحى انا الله » .

وهذا ما يصدق ذلك بالنص الصريح فيما سبق وفيما يأتى من هذه القطعة :

تيهتنى ذاتك وغبت فيك يالله
ظهرت صفاتك منك وفيك يالله
لمن نحكى سرى لمن نريك يالله
رجعت لسكرى وحرت فيك يالله
دخلت للمعنى لكى نراك يالله

13) مع ليلى ، اشف الغليلا !

أرقنى الغرام من حسن ليلى
والقلب في هيام مع الجميلا
قالت يا غلام أمهل قليلا
وادن منى بإحترام وأشف الغليلا
فهمت الكلام كنت نبيلا
باشارة وابتسام بلا دليلا
صرنا في اغتنام ونحن كلا
بين صحو واصطلام وقتا طويلا (29)

أمثل هذا الكلام السمج يقال في الحب الالهي؟ أم يقال في حب الباريسيات؟

14) جنة رضوان في مستغانم :

روح وريحان ، ما بين الخلان جنة رضوان في (حضرتنا)
حضرة القدوس محيا لنفوسنا جنة الفردوس تحتاج الينا (30)

جنة رضوان هي التى أعدها الله للمتقين جزاء أعمالهم في دنياهم لآخرتهم، ومثلها جنة الفردوس، وفيهما يتنعم أصحاب اليمين كما قال المولى سبحانه وتعالى

---

(29) الديوان ، ص 53 .
(30) الديوان ، ص 63 .

« وأصحابُ اليَمينِ ما أَصحابُ اليَمينِ ؟ في سِدْرٍ مخْضُود وطَلْحٍ منضُود ، وظِلٍّ ممْدُودٍ ، وماءٍ مَسكوبٍ ، وفاكهةٍ كثيرةٍ لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ وفُرُشٍ مرفوعةٍ »٠

اما اذا كانت جنة هذا الشيخ في مستغانم مثل هذا المدعى فما أرخصها وما اهونها ! وحق لكل ساخر من الاسلام أن يسخر من جنة في «حضرة» الشيخ

15) فتشـت عليـك يـا اللـه :

أتباع الشيخ ومريدوه يعرفون به فيقولون عنه (العارف بالله) الملقن لاسمه الاعظم ، وكذلك يقولون في شيخه البوزيدى وفى تلميذه عدة كلهم فى زعمهم عرف الله ، معرف به ، ملقن لاسمه الاعظم ، تعال معي لنـــرى كيف يعرفون بالله من يجهله :

قال الشيخ العليوى :

تيهتـــنى فى ذاتـــك	وغبـت فيـك يـاللـه
ظهـــرت صفـاتـك	منـــك وفيـك ياللـه
لمـــن نحكـــى سرى	لمـــن نوريـــك ياللـه
رجعـــت لسكـــرى	وصـــرت فيـك ياللـه
دخلـــت للمعـــنى	لكـــى نـــراك ياللـه
نـديـت مـــن أنـا ؟	لسـت ســواك ياللـه
خـرجـــت للحـــس	نفتـــش عليـك ياللـه
ابتـديـــت بنفـــسى	حصلـت عليـك ياللـه
ظهـــرت فى الكـــل	عمـــن نخفيـــك ياللـه
ظننتـــك غـــيرى	جـاوزت عليـك ياللـه
حـــتى نـــارت شمـــسى	قلـــت عليـــك ياللـه
نـــوديـــت ممـــن نفـسى	قلـــت لبيـــك ياللـه

يعني ان نفسه نادته فاجابها بقوله لبيك يالله ! ، والقصيدة فى الديوان صفحة 55 من الطبعة الاخيرة، فهل عرفت الله ؟ ما أرخص هذه المعرفة وما أفسد عقيدة من دان الله بها ، وما افظع ما توصل اليه ، وما عرف به ٠ وهذا قول منه انه فتش على الله فوجد نفسه هو ٠٠٠

16) هـو عينـك لسـت سـواه :

هذا جواب لمن يسأله عند الله ، والمجيب هو الذى قالوا عنه انه العارف بالله ، والدليل عليه ، والملقن لاسمه الاعظم ، يقول :

أهـل الهـوى العارفين بالله | لهـم نشـوى فى ذكـر الله
فنـوا السـوى وقد غابوا في الله | مـن ذا يقـوى فى قـرب الله
يا خليلى اذكـر وافـن فى الله | لا تبـال بغـيـر الله
اسمـع قـولى لكـى تبـقى بالله | وانظـر حـالى تعـرف الله
حـض قلبـك وغـب عنك فى الله | واخفـض بصرك لكـى تـراه
شربـك منك اعرف نفسـك بالله | هـو عينـك لسـت سـواه

17) خاتمة : حـاكي الكفـر ليس بكافـر :

بهذه الأبيات الرهيبة نختم ما رأينا اقتباسه من (ترهات) هذا (العارف) بالله في تعريف خلق الله بربهم الذى ينتهى به ان يقول لهم : (لستم سوى اللـه ...) .

ان سماع مثل هذا القول يزلزل الكيان ، ومجرد روايته لاظهار شناعتـه مما يهز الاعصاب ويرهقها بالاوصاب ، فكيف حال من يؤمن بمعانيها ويتقرب الى الله متغنيا بها منتظر ثواب الله عليها ، وهل ينتظر الثواب حقا ؟ وممن ينتظر الثواب اذا آمن ايمانا بقول معرفه بالله (اعرف نفسك بالله ، هو عينك لست سواه !) .

انى اعترف للقراء الاعزاء انني قاسيت كثيرا فى البحث عنها ، ثم النظر فيها ونقل (عينات) منها ، واسأل الله جزاء هذا ان يغفر لى ويرحمنى ويرأف بى ان اذعت مثلها فانما فعلت رجاء منه ـ سبحانه ـ ان يكشف أمرها وأمـر قائليها ورواتها ومروجيها ومقلدى مذهبهم فى قول مثلها ، والذين (يذكرون) الله بها ! يرجون ثوابه عليها ، ان السكوت على مثلها وهى من اشنع المنكرات يجب على المؤمن ان يستغفر الله منه ويتوب اليه ، وقد رأينا ـ كيف بادرهـا استاذنا ابن باديس بالانكار وعاش بقية حياته يطالب أصحابها بالتوبـة والانابة،ولم يذكر من هذه (الاشعار) سوى أبيات يسيرة مما أوذي به رسول

الله صلى الله عليه وسلم وذلك يسير مما جاء فى الديوان لكن ما جاء فيه - مما يؤذى الله - أكثر وأكبر وأكفر ! ففى الديوان 115 صفحة مما قاله الفارس الاول ، و 28 صفحة مما قاله الثانى ، و 61 صفحة مما قاله الثالث ورواج أكثر من مائتى صفحة من هذا الضلال يكفى لزعزعة أقوى الامم .

وقد اختفت الابيات التى انتقدها ابن باديس ولكن بقيت القصيدة التى كانت فى ضمنها والفصل الآتى فيه تعليق - وجيز - عليها .

الفصـــل التـاسـع :

أهــو إعــراض وصــدود ؟

قُــلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّـهُ

فيما مر من أقوال صاحب الديوان ، وفي طيات (قصائده) المنقول منهـا والمتروك ـ تصريحا أو تلويحا ، أو مجازا ، ورمزا وكناية ـ ما يؤذي ويغضب رسول الله ويستفز صالحي المؤمنين وقد روينا عن الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله وصفه لديوانه ـ في طبعته الاولى انه (مملوء بالعقائد الباطنيـــة والحلولية والتهجم على مقام الربوبية ومقام الرسالة) وقد عرفنا ان أصــل نشوب المعركة العنيفة بين ابن باديس ـ من جهة ـ وبين العليوة والعليويين من جهة أخرى ـ أبيات وردت في قصيدة نشرت في الديوان فيها إذاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وانتقدها ابن باديس ـ بدئت بقوله :

ان مــت بالشــوق منكــد   مـــا عـــذر ينجيـــــك

ان هذه الابيات لا توجد اليوم بالديوان المنشور في هذه الطبعة الاخـــيرة عام 1982 م ، بمستغانم، كما انها لا توجد بالطبعة الثانية التي طبعت بدمشق في حياة المؤلف عام 1931 م ، ولا شك أنه أمر بحذفها ، وأقر بخطاه فيهـــا وعدوانه على الحضرة النبوية، وان كان لم يحسن الاعتذار ، ولم يتبرأ من غيرها من الدواهي التي جاءت في بقية الديوان ، بل أصر عليها بإصراره على طبعه بما فيه في حياته ٠

توجد بالديوان قصيدة يظهر انها هي التي كانت تتضمن الابيات المنتقدة ! المحذوفة وهي منشورة في الصفحات : 87 ـ 88 ـ 89 من طبعة 1982 طالعها :

يـا سيـدى أحمـد يـا محمد صـلى اللـه عليـك

يـا مـن بـك القلـب تـايـد وتـربى عليـك

لا تحـرمنى يـا محمـد ـ مـن سنـا وجهـك ـ

ـ تـرانى مقـروح الثمـد ـ لا زلـت نراعيـك

موضوع القصيدة مدح للنبىء صلى الله عليه وسلم ، وعتاب عليه ، وفيها تصريح بانه مدحه وهيأ داره لاستقباله يرجو ان يزوره مرة ثم يعود للزيارة مرارا ، لكن رسول الله ولى عنه وأبى ان يزوره مع انقضاء الايام ومرورها دون جدوى) حتى ان الشيخ لو وجد سبيلا الى ان يقدم له شفعاء ووسطاء لما تردد فى ذلـك :

وليـت عـنى يـا الامجـد اللـه يـرضيـك

وانـا فى الايـام نسـرد لـو صبـت نجـاهيـك (31)

ولم ينفعه هذا واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حسب روايته ـ فى الاعراض عنه ، وهو متألم يخشى نفاذ الاجل ، ويحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم الضمان ، لانه حريص ـ وذلك من طبعه ـ على ما يريده ، ولا يفرط فيه ، ويقسم انه ما يزال يردد الصلاة عليه ولو بقى الى الابد فلن يسمح فيه لعله بذلك يشاهد ضياء وجهه • ويقول ان هذا هو الظن فيه ، وان الكمال ـ كمال الظن ـ واجب عليه :

هذا ظنى يا محمد ـ والكمال عليك ـ بعد المـدح بقيت مرصـد

فى النوم نراعيك (32)

ثم يعلن فى القصيدة ان رؤيا المنام تحققت ، ولكنها كانت على صورة لـم يرض عنها فقد قال : (رايت كانى اخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بتلك الابيات وهو فى تدلل وترفع عنى وانا فى احتقار وتذلل له ، فلما انتبهـت رسمتها) (33) واذ كان قد حذف تهديده ووعيده للرسول صلى الله عليه وسلم

---

(31) الديوان ، الطبعة الاخيرة سنة 82 ، ص 87 ، نجاهيك نقـدم لك وجهاء كشفعـاء •

(32) نفس المصدر ، ص 87 ومرصد : أترصد وانتظم •

(33) كتاب الشهائد والفتاوى نقلا عن النجاح ، وتسليما بصحة الرواية •

ان مـــت بالشـــوق منكـــد   مـــا عـــــذر ينجيـــك

وقوله (للمولى نـدعيك ... الخ .

فانه ما حذف عتابه للنبيء صلى الله عليه وسلّم في بقاء صدوده عنه حيث يقول فيه هو مثبت حتى الآن :

حتى رأيتـك يا سيدى أحمد   اللـــــه يجـــازيـــك
غـــير انـــك بـــاقي شارد   خـــايـــف لا نـــوذيـــك
مـــن فعـــلي نعرفـــه فاســـد   مـــا يخفاش عليـــك ، الخ (34)

ولم يتحقق له ما أراد ولا ظفر بالمطلوب واستمر في استرضائه والالحاح عليه بتكرير الزيارة ولكن عبثا :

لابـــد في اليـــوم تفاقـــد   كـــي نستـــانس بـــك
والهـــفي مـــا زلـــت نـــراود   متـــى نحظـــى بـــك (34)

وفي سذاجة بالغة يستمر في الحاحه ، ويقدم عروضا مغرية ـ في نظره ـ لارضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زاره فيقول :

قبـــل اليـــوم صبرت بزايد   والآن يكفيـــــــــــك
من نعتك ترفق بالجاحـــد   عســـى يـــامـــن بـــك (35)

وعبارة (يكفيك) فيها سوء أدب حسب تعبيرنا العامى ، كما ان عبارة (وصبرت بزايد) مثلها،ثم يحتج بانه مسلم ، وان نسبته للاسلام تكفيه ، وانه صوفي موحد من صنع يديه :

نعجبـــك صـــــوفي موحـــد   مـــن صنعـــــة يـــديـــك

وهذه في نظرنا ـ جرأة نادرة ، ان ينسب الى الرسول انه صنع بيـــده (الصوفى) مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالاسلام لوجه اللـه وصبغة الله وهى (الاسلام لله) .

اما عروضه التى قدمها فقد دعاه ان يجربه ويصحبه ليجده يفديه بروحه : بجعله في بيت مفرد لا شريك له فيه ، وفى مكان رفيع محيد :

---

(4) الديوان ، ص 88 .
(5) نفس المصدر .

نجعلـك في بيـت مفـرد ـليس فيـه شريـك
في مكـان رفيـع محيـد هـي هـذيـك وذيـك

ويفرش له في البيت الحشايا واللبد مما يحسن للجلوس المريح ، مبثوثة به الزرابى ومسدولة على نوافذه الحجب لتخفيه ٠

نبسـط لـك فـرش ملبـد يحسـن للتـوريـك
مبثـوثـا بـزرابى توقـد وحجـب تـواريـك

ويستمر وصف مغرياته انه سيبخر بيته بالعود المندد بالروائح العابقـة المصحوبة بالنسيم والشراب الحلو المورد يحمله ساق من الولدان المتربين في دار الملـوك ٠

وأخيرا يعده بانه سيهيء له الخلوة يتهجد فيها للصباح ، حينئذ يأتيـه بابريق فيه ماء ملذذ لطهوره ووضوئه ٠

ثم يخرج معه الى المسجد في صحبة الند لنده :

نصحبـك لبـاب المسجـد يـدى بيـديـك
نحفظـك مـن سـوء الوارد بنـفس نقيـك

خيـال سقيـم :

ان هذا الخيال في مدح النبيء صلى الله عليه وسلم في غاية القصـور ، وان العتاب الموجه اليه فيه سوء أدب ، ومنه ما انتقـده ابن باديس ٠ وان العروض المقدمة للرسول صلى الله عليه وسلم تتضمن جهلا بما كان عليه في حياته وبما هيء له بعد مماته ، ولو شاء ربه لاعطاه ما شاء من رخاء ونعيم ، ولكن رضى الله له ان لا يعجل له طيباته في الحياة الدنيا وانما تؤجل له الى الآخرة ، ثم انه عند ربه في أعلى الدرجات وأطيب المنازل فكيف تغريه عروض ابن عليوة ؟ وفرشه وشرابه الحلو وفي جنـة أبّه ما تشتهيه الانفس وتلـذ الاعين ، روى البخارى ومسلم من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان عمر دخل عليه صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : « وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء ، وتحت رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك ؟ فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله ، فقال : اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ » اهـ ٠

انه علم ان الله اختار له ذلك فرضي به وقنع وعلم ان ذلك خير له ، ومن عجيب ان ينتبه هذا الشيخ لما لم ينتبه اليه كبار المهاجرين والانصار ! بتقديم مثل هذا العرض للنبيء بعد وفاته ، وهم الذين عاشوا معه وفدوه بالانفس والاهل والاموال ثم يقدم اليه عرضا بتهيئة « الخلوة » ليواصل (تهجده) فيها وقد انقطع عنه التكليف بالتهجد بوفاته . ثم نتساءل هل كان يشترط عليه ما كان يشترط على (الاخوان) حتى يرى الله ؟ أم كان يريد ان يروى لهم ان النبيء (ص) دخلها وتهجد فيها ؟ وهل يناسب أحدا ان يساير رسول الله صلى الله عليه وسلم (واليد في اليد) على انه عليه الصلاة والسلام قد عصمه الله في حياته من الناس فكيف يحتاج ـ في المنام ـ ان يحفظه صاحب الشطحة (من سوء الوارد) ؟

ان صاحب هذا المدح تصور النبيء صلى الله عليه وسلم كأحد شيوخه يزوره أو أحد أصحابه يقدم له ما يقدم لامثالهم ، ولم ينس نفسه من تنويه بها وذكر ما يعود عليها . والعجب انه ألح في ذكر تولي النبيء صلى الله عليه وسلم عنه وشروده عن زيارته حتى في المنام ! ولم يخطر بباله ان يسائل نفسه ـ ان صحت الرؤيا ـ عن سببه ؟ ولو سأل العلماء من أتباعه والواثقين بتدينه لربما نصحوه وقالوا له : قد يكون غير راض عنك لاشعارك وأفكارك وابتداعك و (حضرتك) وكل ذلك متضمن للبدع والمنكرات ولم يأذن فيه رسول الله (ص) لا بالقول ولا بالفعل ولا بالاقرار فكيف ترضيه باللبد والفرش الذى يصلح (للتوريك) وبشربك المورد وبدخوله خلوتك ؟ وانما يرضى عنك ويصفح اذا وحدت الله ونزهته واتبعت سنته قولا وفعلا : « **قُـل ان كنتُم تحبُّون اللـهَ فاتَّبِعُوني يحبِبْكُم الله** ... » .

الفصـــل العــاشر :

ثانيا ـ الفارس الثانى : الشيخ ابن الحبيب

هذا الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدى كان حريا ان يكون أول الفرسان الثلاثة وامامهم ، لانه هو شيخ ابن عليوة وامامه ومربيه ، وهو الذى أثـر فيه وكونه ووجهه هذا التوجيه واعده لمشيخة الطريقة (الدرقاوية) فى مستغانم وأوصى له من بعده ٠ وهو ـ كما قال عنه صاحب كتاب الشهائد (المـــربى الجليل العارف بالله والدال عليه ٠٠٠) عاش على حالة ربانية وسيرة نبوية أهتدى على يده الجم الغفير وانتفع بـه الخلق الكثير (36) توفى عاشر شوال 1327 هـ (1909 م) ٠

لازمه ابن عليوة و (قضى فى خدمته ما يقرب من خمسة عشر سنة (كذا) ٠٠٠ ومدة ملازمته كانت له بكل احترام لما يال جهد للسعى فى مرضاته (37) وكان ابن عليوة تلميذا حريصا على (الانتفاع) باستاذه قال عنه مفتى مستغانم (كنت أشهاده ملازما لشيخه ٠٠٠ بأدب كثير وهو راض عنه حتى توفى فناب عنه وخلفه) (38) ٠

وقال عنه فى نظم مشائخ الطريقة وسلسلتها :

أولهـــم متصـــل الشـــراب   مـن بـه صح وصلى واقترابى
عليه الرضا يا رب كذا المزيد   البوزيدى محمد أهـل للتمجيد

---

(36) كتاب الشهائد والفتاوى ، ص 4 ـ 5 الهامش ٠
(37) كتاب الشهائد ، ص 5 الاصل والهامش ٠
(38) المصدر المذكور هامش ، ص 5 ٠

صفـى القلـب قـوى الـسوداد حسـن البشرى نقـى الفـؤاد
سألناك يـا رب بـه تحفظنـا عن بابك يا مولاى لا تطردنا (39)

بعض دواهـى ابن الحبيب :

1 ـ التلميذ نسخة من استاذه : ميراث وفـر !

ما شاهدناه فى التلميذ من أقوال ، يوجد مثلها فى اقوال الاستاذ ، فعنه أخذ ، واليه انتسب ، وبوصيته عمل وقد تقدم عنه أنه قال لمريده :

نوصيـك بمـا أوصـانى أستـاذى قبـل المنيـا
البـوزيـدى كـان غـنى عـلى جميـع البريـا
اتـرك كلـك فى مكـانى وارتـق لـلالـوهيـا
وانسلـخ عـن الاكـوان لا تتـرك منهـا بقيـا
هـذا وذاك سيـانى أنظـر نظـر مستـويـا
المكـون والاكـوان مظاهـر الـوحـدانيـا (40)

فما نجده فى أقوال ابن عليوة من الحلول ووحـدة الوجود مما اوصاه به أستاذه ـ ان صحت روايته عنه ـ ؟

ولما مات البوزيدى وقال فيه تلميذه :

لله أشكو حزنى لفقد عرش الـولا فقيد الورى طرا ـ والله ـ كذا العصر
فقيد خل الثرى من بعد احتوائـه على الكـل فكيف به غمـة القمـر
فقيد كان فوق الكـل ، والكل دونه فيا عجبـا كيف احاط به القبر ؟
وليبكيه عرش الله! والكرسى والسما ولتحي به الثرى فصار لها ذكـر
البوزيدى محمـد لـه من محمـد ميراث الابن **للاب ولنا منه وفر** (41)

هذه (الأبيات) جاءت فى رثائه ، وقد رأينا اقوال ابن عليوة ، ومقالا من وصيته له وفى (البيت) الاخير يزعم أنه أخذ من ميراثه وفرا ـ فما نوع هذا الارث وما مقدار هذا الوفر ؟

(39) الديوان ، 103 .
(40) الديوان ، ص 23 ـ 24 .
(41) الديوان ، ص 100 .

يمكننا أن نعرف نوع الميراث الذى آل من الاستاذ ابن الحبيب الى تلميذه ابن عليوة بمراجعة ديوان البوزيدى الذى نشر فى الطبعة الاخيرة الصادرة بمستغانم عام 1982 م ٠

فمن يراجع ما أنتجه الاستاذ بعد ان قرأ انتاج التلميذ يتيقن أنهما من (مشكاة) واحدة ومعين واحد ٠

2) الكون فى قبضتي :

ففي أول قصيدة نشرت له فى الديوان يزعم محمد بن الحبيب ان (الكون فى قبضته) وكانت ـ مثل شعر تلميذه ـ فى فساد المبنى والمعنى من اللحن الفاحش والزعم الباطل ، والانغماس فى الحلول ووحدة الوجود ، وفيها يقول :

أنا عين للتحقيق ... يا من تطلب رؤيتى
أنا منهاج الطريق ... والكون فى قبضتى
الكون كسراب ... كما جاء فى الآية
هباء فى هواء ... عند أهل الحقيقة ! (42)

فانظر ـ رحمك الله ـ كيف يكون التحريف وسقم الفهم وفساد التأويل والتنزيل لآيات القرآن ، فالله تعالى ضرب مثلا للذين كفروا وانه يحبط أعمالهم وما توهموا انهم قدموه من خير وفى عدم انتفاعهم بما صنعوا لان كفرهم مانع من قبوله والجزاء عليه فقال : « **والذين كفَروا بِربِّهم أعمالُهم كسَرَاب بقيعة يحسِبُه الظَّمآنُ ماءً حتى اذا جاءَهُ لم يجدْه شَيئا وَوَجَدَ اللّهَ عندَه فوفّاهُ حِسابَه واللّه سريعُ الحِساب** » قال الشوكاني : (المراد بالأعمال هنا هى الاعمال التى من أعمال الخير كالصدقة والصلة وفك العانى وعمارة البيت وسقاية الحاج ، والسراب ما يرى فى المفاوز من لمعان الشمس عند اشتداد حر النهار على صورة الماء فى ظن من يراه الخ (43) اهـ ٠

فالسراب شيء مظنون متخيل ولا حقيقة له فنقل هذا الى انكار حقائق الاشياء الكونية ونسبه الى أهل الحقيقة وادعى أن القرآن جاء به ، والمعلوم

---

(42) الديوان ، ص 115 ٠
(43) تفسير الشوكانى للآية ٠

لاهل العلم ان الذين ينكرون حقائق الاشياء هم السفسطائيون ، وأما أهل الحق فهم يثبتونها ، والى ذلك أشار الامام النسفى بقوله فى مطلع كتابه : (العقائد النسفية) (حقائق الاشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافا للسفسطائية).

فالسفسطائيون ـ كما علمناه من كتب التوحيد وعلم الكلام ـ هم الذين انكروا حقائق الاشياء وقالوا : ليس فى الكون شيء حقيقى ، والحواس لا يعول عليها! وقد ذكر سعد الدين التفتزانى ـ رحمه الله ـ فى محاورتهم عند شرحه للعقائد ما فحواه انه يقال لهم : (أتقولون لا حقيقة لشيء ؟ فاذا قالوا نعم لا حقيقة لشيء يقال لهم : هذه حقيقة من الحقائق ، فيقولون نشك انه لا حقيقة لشيء فيقال لهم أتشكون فى أنه لا حقيقة ؟ فاذا قالوا نعم نشك يقال لهم : شككم حقيقة من الحقائق ، فيقولون نشك ثم نشك فى شكنا وهكذا .

وقد اعترف أخيرا انه لا وسيلة لاقناعهم الا بالقائهم فى النار فاما ان يعترفوا بانها محرقة حقا ، واما ان يحترقوا فيستراح من شغبهم .

فمن قال الكون هباء فى هواء عند أهل الحقيقة يقال له : الكون حقيقة من الحقائق، والموجودات : منها واجب الوجود وهو الله ، وجائز الوجود ، وهو ما سواه برهان الوجود للواجب : عالم السموات والارض فانه لا كائن بغير مكون وبرهان وجود الجائز حصول مثل هذا الهذر منكم !

3) **ثم يقول فى نفس القصيدة :**

من بحار الجبروت قد ظهرت نقطتى
تلونت بالنعوت وسر الملكوت

هذا نص فى القول بالحلول ووحدة الوجود فهو يزعم ان كونه انسانا انما هو لون من ألوانه وانه واحد فى مظاهر الوجود :

يا خليل قل الله وحده فى الكثرة
لا ترى ما سوى الله فى كل كائنة (44)

---

(44) الديوان ، ص 115 .

4 ـ رؤيـة اللـــه جهـــرا :

وقد سبقت امثلة من اقوال تلميذه،والاستاذ هو الاصل فى هذا أيضا يقول محمد بن الحبيب :

وقفت بالباب ورفعت الحجاب فقـال البواب اهـلا وسهلا
ادن يـا عاشق ان كنت صادق للسوى ا فارق تغنـم الوصلا
ازداد حبـــى بنسيم القرب وتلاشى كربى لمـــا تجـــلى
تجـلى ما كـان فى الازل وبان تـراه عيـان يسقى ويمـلا (45)

ويقـــول :

يسقيك حقـا ظاهر وباطـن تـراه جهـرا والا فـــلا (46)

5 ـ قـول بنى اسرائيل ومـآلهم :

تعنت بنو اسرائيل، وبلغ بهم الغرور والجهل الى ان قالوا لموسى عليه السلام: « **لن نُؤمِنَ لك حتَّى نرى اللهَ جهرةً** » ، فأخذهم الله أخذ عزيز متقدر ، كما قال يوبخهم : « **فأَخَذَتْكم الصاعقةُ وانتم تنظرون** » ولم يكن فيما قصه الله علينا من حالهم عِبرة لهؤلاء الجفاة فيبلغ بهم الحال الى ادعاء انهم « يرون الله جهرا » أليس فى حال هؤلاء جفاء أكبر ، وافك أكثر ؟

6 ـ ضـريحه البيــت المعمــور :

أقسم الله بالبيت المعمور ان عذابه « **لواقع ، ما له من دافع** » ، وقالت العلماء ان البيت المعمور فى السماء السابعة ، أو فى الدنيا وان (وصفه بالعمارة اذا كان فى السماء بمن يدخله من الملائكة ويعبد الله فيه ، واذا كان هو مكة فيمكن وصفه بالعمارة حقيقة لانه أبدا عامر بالقائمين والطائفين والركع السجود فى كل وقت من أوقات الليل والنهار أو مجازا باعتبار كثرة من تعبد ويتعبد فيه من بنى آدم (47) .

---

(45) الديوان ، ص 116 .
(46) الديوان ، ص 117 .
(46) الديوان ، ص 116 .
(47) انظر تفسير الشوكانى .

وزعم هذا المتصوف ان ضريحه ـ أيضا ـ بيت المعمور ! ودعا الناس الى أتيانه لعبادته والتقرب اليه لا لعبادة الله ، وضمن لهم الامن اذ يقول :

ايا خليلي آت ـ مسرعا لحضرتي ـ لا تخشي من آفات ـ ضريحي بيت المعمور (48)

وهذا ما لم يقله أحد لا حقيقة ولا مجازا وتشبيها · ودعوة الناس لشد الرحال الى ضريحه ليامنوا الآفات كلها جليلها وحقيرها ، كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي ، لم يعطها اله لعباده ، وحتى حجاج بيت الله تصيبهم الآفات، ومنها مصيبة المرض والموت ·

ولقد حصر الاسلام شد الرحال في ثلاثة مساجد : بيت الله ، وحرم النبيء صلى الله عليه وسلم · والمسجد الاقصى ·

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من اتخاذ القبور مساجد فقال : « لعن الله النصارى واليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ودعا الله الا يجعل قبره وثنا ·

مع كل هذا فان هذا « المتصوف » يدعو للاتيان بسرعة الى (حضرته) في ضريحه وانه بيت معمور ·

7 ـ يرفع الحجب ! ويشاهد علام الغيوب !

وفي (شطحة) مسجلة من كلام ابن الحبيب يقول :

أنا الذي ظهرت — خمرتي مني فاضت
والاشياء بي قامت — أنا رافع الحجب
ناداني من كل مكان — أصدع وبشر الاخوان
بالقرب مع الامان — اللي يتبعك محبوب
يشرب كاس المعاني — يفنى عن كل فاني
يغيب ذات الفاني — يشاهد علام الغيوب (49)

---

(48) الديوان ، ص 121 ·
(49) الديوان ، ص 124 ·

الاشياء بي قامت ! أهكذا ؟ سبحانك ـ اللهم ـ الحي القيوم،فانت اللهم وحدك القيوم ، ان الله سبحانه وتعالى استأثر بالغيب لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب الا ما شاء منه برسول ووحي كما قال : « **قُل لاَ يعْلَم من في السموات والارضِ الغيبَ إلاَّ الله** » وقال : « **عالمُ الغيبِ فلا يُظهِرُ على غيْبِهِ أحدًا إلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رسُول** » وهذا الذي يزعم أنه « رافع الحجب » سامع صوت ربه ـ تعالى الله ـ يقول له : اصدع بشر عبادى بالقرب والمزيد حاشا مريدك محجوب (50) قد ضمن لمريديه واخوانه الا يحجب غيب الله عن أحد منهم ، بل انهم « يغيبون في ذات الله الغاني يساعدون علا الغيوب أو علم الغيوب » (51) ٠

وقد وعدهم قبله من وعد اتباعه فقال تعالى : « **يعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا** » ٠

8 ـ الخمار الاعظم :

لم نتهمه بهذا ، ولم نرضه له ، ولا نرضى أن نسنده الى مسلم يعلم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمرة والعشرة المشتركين فيها ، ولا يمكن أن يكون ذلك محل فخر مهما كان نوع (الخمر) الذي يوزع فيها ٠

ولكنا وجدنا هذا الفارس يفتخر بذلك وينسبه لنفسه ويفتخر به قال في صفحة 128 من الديوان :

أنا البحر الواسع — أنا هو الخمار !
نسقي كل سامع — كؤوس الاسرار
فكن لي تابع — ترفع عنك الاسرار
يذهب عنك المانع — تشاهد الانوار

لم يكفه ادعاء علم الغيب حتى نسب الى نفسه انه يكون سببها لتعليم غيره كشف الاسرار ٠

9 ـ كل قطب ـ كل غوث ـ كل والي (كذا) خاضع له :

ثم يتابع الشيخ الحبيب رواد (حانته) فيقول : في نفس (القصيدة) :

كل قطب بارع — صافي من الاكدار

---

(50) ـ(51) الديوان ٠

فـلى ينـابيـع بالسـر والاجهـار
كـل غـوث شـايـع واسـع الافكـار
هـو عبـدى تـابـع قهـارا وجبـار
كـل والـى خـاضـع لـى بـالانكسـار
حكـمى عليـه واقـع بـدون اختيـار
ومـن لـى ينـازع رافـض الاقـرار
هـو غـير تـابـع سـادات الاخيـار

هذه صفة القاهر فوق عباده فاذا لم يكن هو الواحد الوجود ـ سبحانه ـ فانه الجبار العنيد ، وقد قال سبحانه : « وخاب ... » .

10 ـ الفلك الدوار فى قبضته :

ونختم هذا النقل عنه ـ وهو المخلوق الفانى المغرور ـ ويقيننا أن القارىء قد أخذ عنه فكرة صحيحة ـ بقول له يؤكد دعواه الاولى ان الكون فى قبضته قال فى نفس (القصيدة) صفحة 129 من الديوان :

كـل الكـون الواسـع والفلـك الـدوار
فى قبضـتى ضـايـع كحلقـة فى القفـار
والعـرش المتسـع والشـمس والاقمـار
فى القلـب يـا سـامـع مـوجـة فى البحـار
كـل نـور سـاطـع ظـلام وأنـوار
كـل مـاء نـابـع والليـل والنهـار

ثم يعدد بعد ذلك الصراط ، والميزان ، والكوثر ، والجنان والساجد والراكع والعاصى والطائع . كل هؤلاء فى « رضاه » طامع !

والسـاجـد والـراكـع فى الليـل والاسحـار
فى رضـاى طـامـع ورفـع الاستـار
والعـاصى والطـائـع فى المـوت والمحشـر
ملجـأه راجـع لـى بـلا انكـار

ولا تظنن ان هذه (شطحة) منه يتكلم فيها بلسان الخالق ـ ولا تكون هذه القدرة الا لله ـ بل انه يزعم أخيرا انه كل هذا له من الله ! ولم يدع شيئا من ذلك نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ولا يدعيه من يعرف الله ٠

فهو يقول فى صفحة 129 و 130 :

هـــذا معـــطى الصانـــــع ... مـــا فيـــــه انكـــــــار
الا قـــــــول القـاطــــــع ... فــــــذاك مـزمــــــار
اعـــــزم يــــا منـــازع ... ودع كـــــل عـــــمــــار
واقــــدم لــى ســـــارع ... تنـــال ذى الاســــرار !

ونحن نجيبك بلساننا ولسان الخلو :

نازعناك ، وكذبنا بسلطتك وقواك ، وأسرعنا اليك لنرى الاسرار فوجدناك مت وأصبحت عظامك فى قبرك رميما ، ولا شك انك أدركت الحقيقة يوم جاءك اليقين ، فعلمت أن من ركع وسجد فى الليل والاسحار طامعا فى رضاك لا فى رضاء ربه أو رضاك ورضاء ربه قد كان من الهالكين ، لانه اشرك ـ فى عبادته ـ برب العالمين وذلك مصير كل من عبد غير الله وكذلك من رضى ان يعبد من دون الله « **إنكم وما تعبُدون من دونِ الله حَصَبُ جَهنَّم انتُم لهَا وارِدُون** » ٠

الفصـــل الحـــادى عشـــر :

ثالثا ـ الشيخ عدة بن تونس هو ثالث الفرسان
ليس دونهما ـ سوء قول ـ فى الميدان

ان الفارس الثالث فى هذا الميدان الشائك ، هو الشيخ عدة بن تونس الذى خلف شيخه (ابن عليوة) فى تحمل خلافة الطريقة ، ولعب فى حياته دورا كبيرا بصحبته ورفقته فى رحلاته ، والذب عن شيخـــه فى مقالاتـــه وكتاباته · اذ كان مسؤولا عن الاعلام فى حياة شيخه ومحررا فى جرائـــد الطريقة كلسان الدين ، والبلاغ الجزائرى ، وعند وفاة شيخه في صائفة عام 1934 م ، خلفه فى المسؤولية والرئاسة لانه لم يكن له عقب حتى عام 1952 م· ثم أورثها عقبة من بعده الى الآن ·

وأثناء قيادته لـ « الاخوان » انحسر مد الطريقة انحسارا كبيرا · ولـــم تعد تظفر بالاهمية التي كانت لها ، لظروف كثيرة لعل من أهمها ما كانت تتمتع به شخصية شيخه من قوة طاغية على (الاخوان) وكفاءة نادرة فى قيادتهم و (تنويمهم) ولكن لا يمكن اهمال أهمية انتصار الفكرة الاصلاحية انتصارا ساحقا ، وذلك بفضل اليقظة الكبيرة التى عمت مظاهرها فى كـل الميادين : الدينية والسياسية والثقافية وانتشار الوعى ، ورفض الناس عموما والشبيبة خصوصا فكرة (تاليه) المخلوقات والايمان بان الشيخ هو الاله ، وليس سواه وانظر اليه تره ، كما ان فكرة (ألوهية) البشر والشجر والبقر ، والشمس والقمر ، والبغال ، والحمر ، وأن الفانى هو الباقى ـ مما يبث فى (أشعار) وحدة الوجود ـ لم تعد تجد من يميل الى سماعها والاطمئنان الى من يقولها · والتصديق الكامل بها ·

رغم كل هذا فان ثالث الثلاثة من هؤلاء (الزعماء ، الدينيين – لهـــذه الطريقة . لم يكن دون سابقيه ابن الحبيب وابن عليوة فى تكرير هذه المزاعم، وفى الجهر بالسوء من القول .

وقد سماه « ديوان المحبين فى مقامات العارفين » وعرف به هكذا للعارف المطبوع فى مستغانم عام 1982 م ، وقد تضمن أشعار الفرسان الثلاثـــة ، وتضمنت أشعار الاولين 143 صفحة ، وألحق بها ديوان للشيخ عدة وتضمن 61 صفحة وتعتبر هذه طبعته الثالثة له . وصدرت منه طبعتان فى حيـــاة (الشاعر) صدرت الاولى عام 1947 م ، والثانية عام 1951 م .

وقد علمنا ذلك – بفضل ما نشر على الناس فى (ديوان ابن عليـــوة) بالله ، والدال عليه المشهور بتلقين الاسم الاعظم الشيخ عـــدة بن تونس المستغـانمى .

والملاحظ هو ان التعريف بالمشائخ واحد : كل منهم عارف بالله دال عليه ملقن لاسمه الاعظم .

والديوان نسخة من الديوانين السابقين فى سوء القول وفساد المبـــنى والمعنـــى : لحن فاحش ، وعربية تتبرأ من أسلوبها لغة العرب الفصيحـــة والدارجة ، ومعان سقيمة ، أولا تجد لها أدنى معنى ، تخليط عجيب لا يصدر الا عمن ليس بمسؤول عن قوله .

ولا نطيل فى ضرب الامثلة من هذا الديوان ، فكفى ما مر من « الشيخين » فان لاحظنا شيئا جديدا لفتنا اليه النظر .

وكما مر ننبه الى ان اعتذارهم الدائم بان كلامهم « شطحة أو شطحات » لا يقبل لان « الشطحة » ينطق بها « الشطاح » فى غيبوبة فتروى عنه وتنقل حينئذ . اما ان يكتبها هو بنفسه أو يمليها وهو فى وعيه وينشرها ويروجها فهذا لا يكون الا عن « عمد » وسبق اصرار . وهذه أمثلة من سوء القول :

1 – من رآه رأى الله – تعالى الله –

هذا زعمه فيما نشر فى حياته ونسب اليه بعد مماته اذ قال مقسما على قوله بالله – تعالى الله –

والله من رآني من غير ما شبه رأى الذى ما له فى الكون من عدد
أما العدد اذا حققت صورته وجدته واحدا ما له من قدد
ورقم ثانية كرقم ثالثة كل منها قائم بالاحد الصمد (52)

الذى ما له فى الكون من عدد هو الله الواحد الاحد فى ألوهيته وفى ربوبيته لا شريك له ولا نظير ولا مثيل · واما الشيخ عدة فهو مخلوق ضعيف فان ، فانى يكون الجائز الوجود نفس الواجب الوجود ؟

أليس هذا قول الحلاج : أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا ؟·· فكلا ناقد سكنا بدنا ·

فاذا أبصرته أبصرتني واذا أبصرتني أبصرتنا

أما ان يكون الثلاثة واحدا ، والواحد ثلاثة كما زعم فى قوله :

ورقم ثانية كرقم ثالثة كل منها قائم بالاحد الصمد

فهذا ما لم يعهد فى اعتقاد المسلمين ، وانما النصارى هم الذين قالوا : « ان الله ثالث ثلاثة » ثم علموا ان هذا يخرج بهم من التوحيد الى الشرك فزعموا أن الواحد عين الثلاثة ، والثلاثة عين الواحد ! ولا يدرى أحد كيف يكون الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحدا · فزعموا أن (الله) مركب من اقانيم ثلاثة : الاب والابن وروح القدس ، تعالى الله عما يقولون ·

2 ـ انت مخلق وغير مخلق :

ويقول فى صفحة 6 :

تنازعني روحي وشبحي فمن أنا ؟ لقد حرت فى أمرى فمن لى بمن يدرى؟
فان قيل روح بقيت بلا شبح وان قيل لى شبح فأين روحي تسرى؟
ضللت ـ ورب العرش ـ لولا دليله **«هل آتى على الانسان حين من الدهر»**
فأيقنت ان الشيء روحي ومهجتي ولم يكن مذكورا فى عوالم الامر (53)

---

(52) الديوان ـ فى ذيل ديوان ابن عليوة المطبوع فى مستغانم عام 1982 ص 4
(53) الديوان الملحق بديوان ابن عليوة المطبوع عام 1982 ، ص 6 ·

3) هل يعلم رسول الله ما فى الضمير ؟
وهـل يجوز له ان يعبد مـن دون الله ؟

يقول الشيخ عدة فى صفحة 37 :

الا يا رســـول اللـه انى مقصــر وأنت على علم مـن قصدى ومطمعى
الا يا رسـول اللـه غشـنى بهمـة تقينى مما همنى وان عـز منجعى
أنا الضعيف ما لى ســواك ينتصر ولولاك ما كنت ولا كان مشرعى (54)

ان محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورســوله أمره ان يقـول : « **قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرًّا إلا ما شاء اللهُ ، ولو كنتُ أعلــمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخير** » فلا يعلم من الغيب الا ما علمه الله ، وقد كلفه اللـه سبحانه ان يحكم بالظاهر وهو وحده يتولى السرائر · وقد اذن ـ يـــوم تبوك ـ لمن ادلى له بعذر قابلا منه ظاهـــره ممـا ادلى به فقـال لـه اللـه : « **عَفَا اللهُ عنكَ ، لمَ اَذِنْتَ لهم حتَّى يتَبيَّن لك الذينَ صدقُوا وتعلمَ الكاذِبينَ** »· وقال أيضا فى هؤلاء المعذرين : « **وممَّن حولكم من الأعراب منافقون ، ومـن أهل المدينة مَرَدُوا على النِّفاق لا تَعْلَمُهم نحنُ نَعْلَمُهم** » فإسناد علم الضمائـر ـ مطلقا ـ الى النبى اسناد باطل ومعتقده مبتدع ، ومن قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنت على علم من قصدى ومطمعى) دون ان يخبره بذلك الرسول نفسه ـ فداه أبى وأمى ـ فقد بهته ، وقد حدث ذلك مرات أطلعه على ما فى الضمائر كما فى قصة عمير بن وهب رضى الله عنه وما اتفق عليه مع صفوان بن أمية من إرادة اغتياله ، وكذلك مع غيره من فتيان أرادوا به سوءا·

وأما دعاء الرسول واستغاثته ـ فيما وراء الاسباب ـ فانه صلى الله عليه وسلم يتبرأ ممن دعاه كما تبرأ عيسى عليه السلام ممن اتخذوه وأمه إلاهيْن من دون الله ·

واما قوله : (أنا الضعيف ـ ما لي سواك ينتصر) ·

فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخلقه ولا يصح ان يوجه اليه مثل هذا التوحيد فقوله : (ما لى سواك) افراد له بالتأليه والدعاء ، وليس فى

---

(54) الديوان فى ذيل ديوان ابن عليوة ، ص 37 ·

هذا تعظيم النبيء وتعزيزه وتوقيره الا على طريقة النصارى الذين ألهوا عيسى عليه السلام فتبرأ منهم «**ما قلتُ لهم إلا ما أمرْتني به أن اعْبُدوا اللّهَ ربّي وربّكم**»

واسترسالا فى منهجه يقول :

يا رحمة أنزلت فى صورة أحمـــد   فكانت رسول اللــه اليــه مرجـعى
الــوذ بــه ، ومــن يلــوذ بجاهــه   تسامى به البخت الى أعلى مرفع (55)

ان المرجع الى الله وحده « **الى اللــهِ مرجعُكم جميعا** » وتقديم المجرور على عامله يفيد الحصر ، وهو مقتضى التوحيد وديانة الموحدين · اما قول هذا فى رسول اللــه صلى الله عليه وسلم (اليه مرجعى) فانه عليه الصلاة والسلام سيتبرأ منه · وانما يلوذ الموحد ويستعيذ بالله ·

4 ــ المــوتى يتكلمــون :

انّ ما نسبه للرسول صلى الله عليه وسلم أثبته لشيخه أيضا فقال :

العلاوى يتكلــم لمــــن ينــده بــه   الحاضرين سلم ردوا السلام عليه (56)

ومعنى الكلام واضح ـ فهذا المعرف بالله يقول لإخوانه الجاهلين ان الشيخ العلاوي يجيب من دعاه (كلمة نده عربية صوت وفى عامتنا معناها استنجده وطلبه) فيسمع صوت استجابته ، ويسلم على الحاضرين فيردون الســلام عليــه !

العلاوي يا لبيب ــ لــه صوت عجيب ــ ليــت لــك نصيب ــ منه لتدريــه
تأتى لــك العلوم ــ من الحــي القيوم ــ تغنى عــن الرسوم ــ بالذى يــوحيه

ومعناه أيضا ان العلاوي يمتاز بسر عجيب من ملك نصيبا منه أتته العلوم وحيا من الله الحى القيوم · واعتقاد المسلمين أن بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انقطع الوحى وعلمه المسلمون واجمعوا عليه ·

وفى صحيح مسلم أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ذهبا لزيارة أم أيمن رضى الله عنهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزورها فى حياته ·

---

(55) المصدر السابق ، ص 37 ·
(56) المصدر السابق ، ص 39 ·

فيما جاءاها رحبت بهما ثم بكت فقالا لها : ما يبكيك ؟ قالت انى والله لاعلم ان ما عند الله خير لرسول الله مما عندنا ولكنى أبكى لانقطاع وحى السماء ، فبكيا لبكائها فاذا كان أبو بكر وعمر وأم أيمن يعلمون ان الوحى قد انقطع فمن زعم ان الوحى يأتيه أو يأتى شيخه من الحى القيوم فقد ضل وغوى ، وفى الكفر والهاوية هوى ·

5 ـ من رآنى رآه فى حلتي :

فى القديم قال امام الحلوليين الحلاج (ما فى الجبّة الا الله) فاستحق الموت بعد محاكمة · وهذا ما يقوله مثله هذا (الشطاح) ·

طبت نفسا بالطرب والغنى ؟ وحلا سكرى
بين عود والحان تجتنى لذوى الذكر
يا لها من سلوة (حضرتى والكأس مالى
وحبيب من بين أحبتى كالبدر العالى
من رآنى رآه فى حلتى انه الوالى

6 ـ مولى سطوة !

ومن (شعره) ما يعلن عن مبالغات عظيمة فى تقديس المخلوقات ، وذلك اخلق بالعبادة وأقرب اليها ، وبسوء الاعتقاد والبعد عن السداد والخروج عن الرشاد اليق ·

جاء فى مدحه شيخه ـ بعد موته ـ ما يجعله تارة يعتبر يده نسكا · تستحق التقبيل ، ويشبهها بالحجر الاسود أثناء نسك الحج والعمرة والطواف ـ والمسلمون لا يقدسون الحجر الاسود تقديس العبادة ـ وقد قال له عمر : والله ما أنت الا حجر ، لا تنفع ولاتضر ، ولولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ·

ويقول الشيخ عدة فى يد شيخه :

يده كالحجر الاسعد الناس عندها تداول

أرطـب مـن الحـرير الفـانى ! (57)

وتارة أخرى يزعم ـ انه من أهل الخلوة ، والسطوة ، والخطوة قريب ، حاضر ، جايز غير عاجز ٠

هذه الصفات بخلاف ما وصف به عمر الحجر الاسود الذى وضعه موضعه وصارحه انه لولا ان رأى رسول الله يقبله ما قبله ، فأمر تقبيله (تعبدى) غير معقول المعنى ٠ اما (تقديس) هذا الشيخ فلانه مولى سطوة ، وصاحب خطوة قريب (ممن) ؟ حاضر (أين) ؟ غير عاجز (عم) ؟

قال الشيخ عدة فى ذلك :

سيـــدى مـن أهـــل الخلـــوة   أحكيـم عـارف باللـــه فـايـز
وأصــــل مــــولى سطــــوة   عنـــد مــــولاه جـــايـــز
والى مــــن أهــــل الخطــــوة   قريب حاضر ماهوشى عاجز (58)

هل يريد ان يقول ان له سطوة عظيمة تخول له التصرف فى الكون ، وله جاه كبـير تجوز تصرفاته وهو ـ بعد ذلك ـ قـريب ممن ناداه حاضر عنده ينجده ويحقق له ما أراد منه ولا يعجز ، هـل يريد ان يحول اليه ما جاء فى قوله تعـالى : « **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْـوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ** » ٠

7 ـ عبـد اللـه أم عبـد مخلـوق :

ثـم يتـوجه اليـه فيقـول :

أنـــا عبـــــدك مملـــــوك   مـن عبيـدك معتـــوق أمحـــرر
صـــافـى مـا فيـــه شكـــوك   فى مـديحك ينســج ويعبـــر
ســاقى مـن أهـــل السلـــوك   فى مقامـك يذكـر ويعمـر (59)

فهذا أقرب لدعاء (الـرب) والتذلل اليه،وحتى من عبد هبل من أهـل الجاهلية لم يعترف له بهذا وحتى فرعون الذى قال أنا ربكـم الاعلى لم نعلم

(57)الديوان ، ص 42 ٠
(58)الديوان ، ص 51 ٠
(59)الديوان ، ص 51 ٠

انهم صدقوه وتذللوا له ، ثم تأمل التناقض فى اللفظ : كيف يكون من جهة عبدا مملوكا صافيا ما فيه شكوك ، ومن جهة أخرى محررا معتوقا ؟ ثم ان المؤمن يعمر مساجد الله ، فهى التى أمر ان ترفع ويذكر فيها اسمه · أما (المقامات) فقد أحدثتها الباطنية وعبدوا ساكنيها وطافوا بقبورهم كما يطاف بالبيت العتيق ·

وفيه يقول :

رانى مهموم يا علاوى سيد القوم	قلبى مكلوم حار عقلى فى الملاجى
جسدى محموم والعقل مايج مقسوم	واعييت نقوم ما نفع عومى فى أمواجى
رانى مغموم فى اعقالى كالواجى (60)	غث المظلوم ما أبقى لى جهد اليوم

هذا دعاء حقيقى ، وتضرع من عاجز ذليل ، وعبد حقير امام القوى العزيز ، والحى الذى لا يموت القادر على كل شىء ، فلا يكون من العبد الا أمام الله ·

اذ من المعلوم ان الدعاء هو العبادة ، أو هو مخ العبادة كما جاء فى الحديث.

فالحق ان هذا شىء جديد في اقوال هذا (الفارس) الثالث لم يمر بنا في أقوال شيخه وشيخ شيخه · بل رأينا منهما دعوى القدرة والسطوة ·

أما هذا فقد اعترف بـ (العبودية) لشيخه ، وتوجه اليه بدعائه وتضرعه اليه رجاء ايصال النفع أو رفع الضر عنه ولو فعله في حياته مستغيثا ان ينجده بالاسباب العادية لجلب نفع أو دفع ضر لوجد له عذر ؛

أما ان يتوجه اليه بعد موته طالبا دفع الضر وجلب النفع بما وراء الاسباب فانه لا محالة يصدق عليه قوله تعالى : **« إِن تدعُوهم لا يسمَعُوا دعاءَكُم ، ولو سمِعُوا ما اسْتجَابوا لكُم ويومَ القيامة يكفُرُون بشِرْكِكُمْ ولا يُنَبِّئُك مثلُ خبِير »** والله العليم الخبير ، وهو ولينا وناصرنا ونعم المولى ونعم النصير ·

8 ـ خاتمة هذا القسم :

اذا كان الشيخ أحمد بن عليوة لم يرث (مشيخة) الطريقة عن سلف له ، وانما أورثه أياها شيخه البوزيدى فنهض بها ، ونشرها ولقى فى ذلك

---

(60) الديوان ، ص 53 ·

الاهوال حتى أتم تجديدها ثم لم يورثها لبنيه لأنه لا عقب له ـ فان الشيخ عدة له عقب أورثه (المشيخة) شان نظام (الملكية) الوارثية ، وما جرت عليه (الطرق) فى بلادنا ٠

ومن شأن هذه النظم الوارثية ان تبدأ قوية نشيطة ثم يتطرق اليها الضعف ـ والوهن ويسرع اليها الخراب لانه يندر ان يكون فى (الخلف) قوة السلف وكفاءتهم ٠

وقد رأينا ما فى أشعارهم وأذكارهم من ذكر الشراب والخمرة ، والسكر والسكرة، والرقص والاهتزاز ، والغناء والطرب، والارتجاج، والتغزل فى ليلى وسعدى، كما كانت لهم اتصالات مريبة فى الداخل وفى الخارج ـ مع الذكور والاناث من المسلمين، والاجانب والاجنبيات، ورجال الكنيسة والقداسة ، والسر والسياسة ، وجاء الاستقلال والدولة، والحكم والصولة، والقوم فى غواياتهم سادرون، حتى انكشف منذ سنوات وانجلى السر عن فضيحة كبرى فى مركز ، (المشيخة) ولم يسلم منها نفس العارف بالله والدال عليه ، و (الهادى) الى اسمه الاعظم ٠

واذا بالخمرة هى الخمرة التى تسكر حسا ومعنى منها الشامبانيا والويسكى ـ هى السكرة ولا تقتصر على تناول الكحول ولكن تتجاوز ذلك الى (المخدرات) واذا بليلى وسعدى من الفاتنات هن مريان ولليان من الباريسيات، وتدخلت الشرطة والعدالة ، وكانت فضيحة تزكم الأنوف ٠

أحق هذا أم هو من قبيل الدعايات ؟ لقد خاضت فيه الجرائد وكشفت مخزيات وزار العارف بالله السجون ومثل أمام القضاة ٠

وما كان هذا ليقع أيام الأولين ولكن صدق عليهم قول رب العالمين : **« فَخَلَفَ من بعدهم خلْفٌ أضاعوا الصلاةَ واتَّبعوا الشهواتِ فسوف يَلْقَوْن غياً »**

« ألم يَان للذين آمنوا ان تخشعَ قلوبُهم لذكرِ اللهِ وما نَزَلَ من الحق ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتابَ من قبلُ فطالَ عليهم الأَمدُ فقسَتْ قلوبُهم وكثيرٌ منهم فاسقون » ٠

بـاب النثـر مـن قـوله :

الفصـل الاول

النثـر لا يقـل ـ نكـرا وشنـاعة ـ عـن الشعـر

ربما يقول القائل هذا شعر الشيخ ، أو شعره وشعر أصحابه ـ قد قرأناه وشربنا منه حتى الثمالة ـ فمججناه وانكرناه · غير ان الشعر وحده لا يكفى للحكم · وقديما كان الشعراء يتهمون ويثرثرون ، وقـد قال اللـه فيهـم : « **ألم تَرَ أنهم فى كلِّ وادٍ يَهيمون وأَنهم يقولُون ما لا يَفعلُون** » فهو وأصحابه من الشعراء ، لم يشذوا عنهم ، ولا خرجوا عن سنتهم ، وما تبعهم فى مزاعمهم الا الغاوون ·

وأقول : سؤال وجيه ، واعتراض من نبيه ، لو كانوا شعراء حقا ، وكان قولهم قصائد سليمة مقبولة فى فن الشعر ، جميلة جمال نسجه · ولكـن ما رأيناه ـ مما سموه شعرا ـ يتبرأ من شاعر يتهم به الانس والجان ·

ومع ذلك فانك اذا نقبت عن (نثرهم) وجدت فيه ما فى شعرهم ، أو ما هو أدهى وأمر منه فى المبنى وفى المعنى ·

لقد نسبت لشيخهم الاعظم كتب كثيرة ، وان عرف من الخاص والعام أنه أمي أو يكاد يكون أميا ، وما دام لم يتبرأ منها فهى له ، وان نحله اياها أقوام ونسبوا قولها له · وفى هذه التآليف ما يدل على عاميه وجهل واضح وتخليط عجيب لا يعرف عن عاقل يعرف (العلم) أو (الثقافة) وينتسب اليها ، بل من الحرى أن يترفع ـ لو كان يعلم ـ عن نسبة مثل ذاك الكلام اليه ، فضلا

عن التبجح به والتباهى بقوله · وقد تبجح الشيخ بشىء منه · أمام شهود عليه لا يتهمون كالاستاذ أحمد توفيق المدنى ·

ومن هذا النوع مـن كتبه شرحه على (المرشد المعـين) وهو كتاب الامام ابن عاشر ، منظومة فى 314 بيتا من رجز الشعر ، اشتملت على مقدمة فى علم الكلام (أصول الدين) وعـلى خاتمة فى علم التصوف ، وبينهما الكلام عـلى الصلاة ، وما يتعلق بها ، والزكاة ، والصوم ، والحج ·

وكان هذا الكتيب المفيد قد نال القبول فى شعبنا ، والتف حوله العلماء والطلبة والعامـة كلهم يهتم بـه · فالعلماء يقرئونـه ويشرحونه ، والطلبة يحفظونه ويدرسونه ، والعامـة يحضرون دروسه ويستفيدون ممـا فيـه · فلا يكاد احد يجهله ، لا فى المدن والقرى فحسب ، ولكن حتى فى البادية ·

الشيـخ مـن العلمـاء :

ولما كان الشيخ ابن عليوة من العلماء ! ـ كما أكده العلامة أبو يعـلى الزواوى رحمه الله فى مشائخ الطرق كلهم ، وان كان الخاص والعام يعرفون جهل أكثرهم ـ فقد عز عليه أن (يفلت) منه (ابن عاشر) والا يقول فيه ·

وهكذا (درسه) لاتباعه أولا ، ثم أبت عليه أريحيته الا ان يشرك غيرهم فى الانتفاع بدراسته فألف شرحا عليه · لكنه ليس شرحا عاديا ، بل هو خارق للعادة ! كما أن الشيخ خارق للعادة لان الذى يؤلف المتون والشروح والحواشى يجب ان يكون محصلا للعلوم ، معترفا له بذلك من العلماء مجازا منهم · وانى له ذلك ؟ ولم تسبق له دراسة ؟ لهذا جعل علمه فيه من نوع (العلم اللدنى) مما يمنحه الملك القدوس !

المنـح القدوسية ، فى شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية

بهذا سمى شرحـه ذاك حتى لا يحتاج الى علم كسبى ، انما علمه (منحة) ولا الى علم يتعب فى تحصيله واتقان أبوابه وفصوله وفروعه · ففن التصوف يستطيع ان يتكلم فيه كل من هب ودب ، وحتى المجاذيب والمجانين ممن سقط عنهم التكليف ، فكم فيه من (شطحات) منسوبة اليهم· محفوظة عنهم معتبرة فى الحكمة وفصل الخطاب ! وهكذا زعم ان ما فى الشرح (منح) · وخصها بعلم الصوفية ·

لابـن عـاشر ظاهـر وباطـن !

كنا نعلم ان أعداء الاسلام ـ من غلاة الشيعة الملحدين الحاقدين على الاسلام وأهله،العاملين لهدم شريعته ودولة العرب ـ أدعوا أن للقرأن الكريم ظاهرا وباطنا ، ظاهـره يفهمه عامة الناس ممـن طلب علمـه ، وباطنه يختص بـه أئمتهم ـ أعني أئمة الباطنية ـ لا بطلب وكسب ، ولكن يأتيهم العلم بالهـام ووحي ونسبوا لهم العصمة وأوجبوا لهم الطاعة · وكم جاءوا ـ فيما اخبروا انه من العلم الباطن ـ بالغث والقبيح والسخيف المسترذل · ·

والباطنية المعاصرون ـ ومنهم العليويون لا بتسمية منا ، ولكن بتصريح منهم وادعاء ـ لم يكتفوا بدعوى اسلافهم من نسبة الظاهر والباطن لآيـات القرآن ، بل عمموا ذلك حتى لمنظومة ابن عاشر رحمه الله ، وهذا ما صرح به الشيخ أحمد بن عليوة في شرحه ذلك اذ قال في مقدمته ، للشرح :

(وفقني الله لفتح مغلقات هـذا النظم العجيب المحتوى **ـ ظاهرا ـ على اركان الدين وباطنا على مسلك من مسالك الاشارة غريب** فوجدته ، قد أقبل على ظاهره جم غفير من أهل الظاهر وتوقفوا (كذا) في التفحص عـن باطنـه **أهل الباطن غيرة منهم عـلى افشاء السرائر** ··) الصفحة 7 (الطبعة الاولى) فهو الذي ذهبت عنه الغيرة من أهل الباطن ولم يتوقف وأقبل متبرعا ـ موفقا ـ الى كشف السرائر !

التنـويه بعلـم الباطـن

وأهل السنة ـ منذ عهـد الصحابة حتى اليوم جميعهم ينكرون ان يكون للشريعة ظاهر وباطن أو للقرآن معان غـير التي تحتملها آياته والفاظه عـلى مقتضى نسجه العربي ، وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمر ، ونقله عنه أصحابه الى الامة الاسلامية فورثته بما أورثها الله اياه : « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** » ·

اما الشيخ فقد اختار مذهب الغلاة من شيوخ الباطنية ، وأخذ يتحمس لعلمه الباطن الغالي ، وزعم ان من لا يكون له حظ منه يخشى على نفسه ، يقول : « علم القوم مأخوذ من كشف وعيان ·· وهو باطن القرآن ، وظاهره منزه عن التغيير فاحرى بباطنه » ص 9 ·

وها هو ينقل عن الغـزالى ما زعم أنـه قول مروى عنـه فقال عـن بعض العارفين : (من لم يكن له نصيب من هذا العلم ـ أى علم الباطن ـ أخاف عليه سوء الخاتمة ، وادنى نصيب منـه التصديق به ، والتسليم لاهلـه) اهـ • (ص 10 ـ 11) •

لابد مـن اشتراط هـذا الشرط وهـو (التسليم) لان المسلم قـد يفاجأ بالدواهى والطوام من باطنى يأتى بها علم الباطن فيثور ، لكن اذا كان مـن شرطه (التسليم) فانه سيذعن ويمد رقبته للذبح •

ولهذا نجد ان الشيخ انتهز فرصة نقل هذا الكلام عن الغزالى ـ ان صح النقل عنه أو صدر منه ـ فقال لمريده (فتذلل ـ يا أخى ـ لهم لعلك تحظى بودادهم) اهـ • ونحن نقول لكل مسلم : لا تذل يا أخى ـ نفسك فان المؤمن عزيز بايمانه فاعتز ـ أيها المؤمن ـ ولا تذل الا لخالقك ، فان الذل لله عز ، والذل لغيره مهانة وحقارة وعبادة له من دون الله •

الفصـــل الثـــانـى

العلـم والـولاية ، والتـزهيد فى العلـوم

والمعلوم من شريعتنا أنها رفعت من شأن العلم والعلماء ، وحكمت بـأن العلم خير من الجهل وأشرف ، والعالم خير من الجاهل وأكرم • قال تعالى : « **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » ؟ والاستفهام انكارى : أى لا يستوون ، والعلماء أعلى درجة • وقال تعـالى : « **يرفعِ اللـهُ الذِين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجاتٍ** » وقال جـل وعلا : « **إنما يَخشى اللـهَ من عباده العلماءُ** » وقال ـ تقدست أسماؤه ـ « **وتلكَ الأمثال نضربُها للناس وما يعقلها الا العالِمُونَ** » وامر من علمه من لدنه حقا بطلب الزيادة من العلم فقال : « **وقل ربِّ زِدني علما** » •

وما كانت أمية النبى صلى اللـه عليه وسلم الا لاقامة الحجة عـلى الناس ـ قديمهم وحديثهم ـ بصدق نبوته ، لانه جاء بما لا يمكن أن يعلمه أو يـأتى به بشر من عنده ، ولم يكن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تعلم ، وانما كان بعلم وتعليم من اللـه سبحانه قال : « **وأنـزل اللـهُ عليك الكتاب والحكمة ، وعلَّمك ما لم تكن تعلم،وكان فضلُ اللهِ عليك عظيماً** » •

وأما شريعته فقد أمرت بالقراءة وطلب العلم ، وكانت أولى الآيات نزولا قوله تعالى : « **إقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، إقرأ وربك الأكرم ...** » . ثم كان (ص) يقرأ القرآن الذى انزل عليه آناء الليل واطراف النهار ويعلم ويفهم ما فيه .

ولكن صاحبنا ــ لما كان أميا ــ كان داعية الامية والتزهيد فى العلوم ، فهو يقول فى نفس هذه المقدمة للشرح عن الاولياء وعلم الباطن :

(لا يقفون مع ظاهر الالفاظ ، وانما ينظرون الى المعنى الدال على المراد ، ولا يلتفتون للحن ولا اعراب . بل يأخذون المعنى حيث وجدوها (كذا) فهم ناظرون لاشارة الارواح ، غافلون عما يتلفظ به اللسان .. ما اتخذ الله وليا جاهلا الا وعلمه ، وابتداء التعليم به ثم بأحكامه . واما بقية العلوم فليست هى شرطا فى صحة الولاية ، وانما هى شرط كمال ، وذلك كالنحو والصرف والمعانى والبيان وعلم اللغة ، وما أشبه ذلك من العلوم التى أكثر الصوفية لا خبرة لهم بها لعلو همتهم وشرف رتبتهم عند الله وغنائهم بمعرفته ..) اهـ (صفحة 15 من الشرح المذكور ، طبعة أولى) .

لعله يعنى بقوله (جاهلا) ما هو فى لغة العرب (أميا) فالله سبحانه لا يتخذ (جاهلا) بالمعنى الشرعى ــ وليا له ، وأما الامى الذى لا يقرأ ولا يكتب فقد يكون عالما بالرواية والسماع والحفظ كالاعمى ، وكان بعض أصحاب مالك المواظبين على طلب العلم ، والذين أذن لهم مالك فى الافتاء لا يحسن الكتابة ، كان يكتب له أشهب بن عبد العزيز .

وهذه العلوم التى ذكرها وزهد فيها كانت فيهم سليقة كالنحو والصرف والمعانى والبيان وعلم اللغة ، فمن جهلها ــ فى عصرنا ــ أو فى العصور الاولى ــ لا يوثق بعلمه وفهمه لكتاب الله وسنة رسول الله .

وهذه العلوم التى خصها بالذكر وزهد فيها ، واستهان بها ، اشترطها كلها علماء الاصول لتحصيل رتبة الاجتهاد ، والمجتهد هو الذى يقوم مقام النبى (ص) فى الفتوى والتبليغ ولا يمكن ان يتوصل ــ الى ادراك معانى النصوص فى القرآن والحديث وهو يجهلها ، ولكن أكثر الصوفية يجهلونها . كما ذكر وهو الذى أوقعهم فى الطوام والدواهى . ومن كان منهم ــ حقا ــ

عالى الهمة ، شريف الرتبة ، لا يكون جاهلا بها ولا زاهدا فيها ولا راغبا عنها ، ثم من أدراه بشرف رتبتهم عند الله ، وانهم عرفوه ـ حقا ـ ؟

انما يعرف الله حق معرفته من آمن به وبرسله وكتبه واليوم الآخر ، ولم يشرك بعبادته أحدا ، واطاعه فلم يعصه وذكره فلم ينسه وشكره فلم يكفره ، وكان فى سلوكه متبعا لا مبتدعا « **قل ان كنتم تُحِبُّون الله فاتَّبعوني يُحبِبْكم اللـه** » . وقد نهى الرسول (ص) عـن الشهادة لاحد بعينه بالنجاة كعثمان بن مظعون الذى كان من أعظم المهاجرين واتقاهم واعبدهم وازهدهم فى الدنيا فكيف بغيره من الاصحاب ؟

الفصـــل الثـالـث :

أمثلـة مـن المعـاني الباطنيـة !

لابد أن القارىء الكريم يود ان يسمع شيئا من هذه الاقوال الباطنية فى شرح كلام ابن عاشر الذى أراد به تعليم الناس أحكام دينهم بألفاظ عربية بسيطة سهلة وحقق غرضه ، وقبل الله عمله ، فجاء هذا الشيخ وزين له الشيطان ان يزعم ان لكلام ابن عاشر ظاهرا علمه الناس ، وباطنا غاب عنهم ، وقد كشف هو أسراره .

وفيما يأتى نذكر أمثلة تشبع فضول القارئين وان اثارت اشمئزازهم .

يقول ابن عاشر رحمه الله :

وكـــل تكليـف بشرط العقـــل ... مـع البلـوغ بــدم أو حمـــل

أو بمـني أو بانبـــات الشعـــر ... أو بثمـــان عشرة حـــولا ظهـر

ومعنى البيتين واضح ، ففاقد العقل لا تكليف عليه ، ولا يخاطب باحكام الشريعة . والقوانين الوضعية ـ كالقوانين السماوية ـ تعفيـــه . كـما ان البلوغ شرط فى التكليف ، فالانسان الذى لم يبلغ لا يخاطب خطاب تكليف، فلا اثم عليه ان ترك الصلاة أو الصيام لانهما لما يجبا عليه ، ولا عقاب عليه ان عصى وأقدم على فعل محرم . وذكر علامات البلوغ منها (نـزول دم الحيض على الجارية ، أو حملها جنينا ، ومنها نزول المني باحتلام أو بمعاشرة جنسية أو بتذكر ... الخ . ومنها نبات شعر العانة والابطين... ومنها بلـوغ الفتى أو الفتاة 18 حولا اذا لم تظهر العلامات المذكورة لعلة ما .

هذا هو معنى البيتين فى الظاهر ·

فاستمع الى ما يزعمه الشيخ أحمد بن عليوة فى شرحه الباطنى :

(ومعنى البلوغ هو أن يكون المكلف بالغا فى معرفة الله بالشهود ، ومبالغا بحيث عرف الله معرفة لا يعتريها وهم ، ويكون سبق له الاستغراق فى الذات ، لا فى وجود الصفات كأن يكون حصل له الغناء فى الاسماء أو فى الافعال أو فى الصفات ولم يكن له اطلاع على ما تقتضيه الذات من اضمحلال سائر المكونات ، فهذا ليس بمكلف ان يعرف الله بسائر التجليات لعدم البلوغ فى مقام الرجال · واذا كان بالغا كما ذكرنا فيكون فى ذلك المبلغ فقيد العقل مخلوق وهو قد خرج من عالم الخلق ومثاله كالمجذوب فهو ليس بمكلف ان يجمع بين المقامين المذكورين لعدم العقل) (ص : 31 ـ 32) ·

الفصل الرابع ـ ألوهية البشر :

فتش عن نفسك تجد نفسك انت الله تعالى الله

وتكلم ابن عاشر على الصفات المستحيلة فى حق الله فقال :

ويستحيل ضد هذه الصفات العدم الحدوث ذا للحادثات (ص39)

يعنى أن الواجب لله القدم والبقاء ويستحيل عليه العدم والحدوث ، ولكن الشيخ فسر البيت بانه يريد انعدام كل شىء فى الوجود لانه ـ عند أصحاب وحدة الوجود (**ما فى الوجود الا الله**) ·

قال الشيخ ابن عليوة (ص 39) : (أخبر هنا ان كل ما يستحيل فى حق الله فهو واجب فى حق العبد والعبد عند القوم هو العالم من عرشه الى فرشه أى كل ما تنفس من كلمة كن ، فهو غير ، والغير يجب فى حقه كل ما ذكره فى البيت وهو قوله العدم والحدوث ذا للحادثات ، فينبغى لك ـ يأخى ـ ان تحقق وضعك وتنظر بعين قلبك لابتداء وجودك حالة بروزه عن العدم فاذا تحققت وصفك يمدك باوصافه · فمن أوصافك العدم المحض فهذا وصفك ووصف العالم باسره ، فاذا أقررت بعدمك يمدك بوجوده ، وان نسبته لنفسك فقد بارزته بنعمه وكيف تنسيه لنفسك وبرهان عدمك فى نظرك وهو حدوثك فقد تعلم من نفسك أنك كنت بالامس معدوما « **هَلْ أَتَى عَلَى الانسانِ حِينٌ من**

الدهرِ لم يكُنْ شيئاً مذكوراً ، فمن أين لك بهذا الوجود ؟ ومن أشهدك للمشهود وابرزك للشهود ؟ **فانت لم تزل معدوما** والموجود لموجوده لقد قدره وظهر فيه ولولا ظهوره فى المظاهر ما وقعت عليه البصائر وذلك قول بعضهم

هو موجود الاشياء وعين وجودها ولولا وجوده ما بان وجودها

ومن أوصافك أيضا الفناء ، فانت يا أخى فان من قبل ان تفنى ، ومتلاش من قبل أن تتلاشى، وزائل من قبل ان تزول، فأنت وهم فى وهم، وعدم فى عدم، **فمتى وجدت حتى تفنى فما انت الا كسراب بقيعة** يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده ، فلو فتشت نفسك لم تجدها شيئا وتجد الله عندها · أى **تجده بدل ان تجد نفسك ولم يبق منك الا الاسم بلا رسم لكون الوجود من حيث هو الله لا لنفسك فلا يمكن له ان يكون فى الشهود واقفا مع الحدود** ··· فكيف يكون مع الحدود من غاب عن الوجود ؟ أم كيف يراعى الخلق من غاب فى توحيد الحق ؟ أم كيف **يثبت الأكوان من لم يجد لها مكان** ؟ كان الله ولا مكان وهو على ما عليه كان · وهل تحيز فى مكان حتى يكون لذلك المكان مكان ؟ ما ظهر المكان الا فى نظر الصبيان اذ لو كان موجودا لكان بينه وبين الله حدود ···) ثم قال : قال سيدى أبو مدين الغوث :

فلا تلُمِ السكران فى حال سكره فقد رُفع التكليفُ فى سكرنا عنا

وحاصل الامر أن المكلف بالجمع بين الحقيقة والشريعة يشترط فيه أن يكون عاقلا بالغا كما ذكرنا · والبلوغ له خمس علامات ، فاذا وجدت واحدة منهن فى مريد التصوف وقع عليه التكليف وجوبا بحيث تراعى سائر التجليات ويلزم أدابها ، فمن علامات بلوغ المريد لمقام الرجال ان ينطق بالحكمة أو فهم حقائق الاسماء ، أو يغيب عن حسه فى مشاهدة ربه فى ابتداء أمره أو يتكلم على لسان ربه أو يشهد له بها شيخه واخوانه · فاذا ظهرت علامة من هذه العلامات على ظاهر الفقير كلفناه بالادب فى سائر المظاهر فهذه العلامات التى تظهر على علمى ظاهره ··· » اهـ (صفحات : 31 ـ 32 ـ 33) ·

فهل يخطر ببال عاقل أن مقصود ابن عاشر ببيتيه مثل هذا الهذيان ، وانه يقول بحالة الشهود والاستغراق فى الذات الالهية ـ تعالى الله عما يقول

المبطلون ـ والفناء في الاسماء واقتضاء اضمحلال سائر المكونات والخروج من عالم الخلق وعدم مراعاتهم اذ غاب في توحيد الحق ؟ وأى علامات هذه التى جعلها للبلوغ ؟ وهكذا أبان الشيخ بنثره ما لم يستطعه بشعره فأعلن ان الانسان معدوم ، وانه ما زال معدوما ، فلم يكن شيئا مذكورا ، ولا كان ولن يكون ! وأنه فان قبل ان يفنى وزائل قبل ان يزول وأنه وهم فى وهم وعدم فى عدم !

وقد ضرب ـ لانعدام الانسان ـ مثلا سخيفا اذ قال : « ان الوجود ـ من حيث هو ـ لله لالنفسك ، فاذا صرت تحقق فيما هنالك وتأخذ ما هو لله بحيث تجرد نفسك عما ليس لها فانك تجدها كحبة البصل كلها قشور لانك اذا أردت ان تقشرها فتأخذ القشرة الاولى ثم الثانية ثم الثالثة حتى لم يبق من البصلة شيء فهذا هو مثال العبد مع وجود الحق » اهـ (ص 40) .

وهذا هذيان باطل فالبصلة حقيقة موجودة ، وهى كل مركب من قشور وورق وعروق وبذور اذا اجتمعت فهى بصلة واذا افترقت فهى أجزاء البصلة والانسان كله لله ، مخلوق له ، مسبوق بعدم ويلحقه العدم ، والذى خلقه هداه وأطعمه وسقاه وهو يميته ثم يحييه ، وليس فى الانسان ما هو لله ، وما هو لنفسه ، فان تجرد مما فيه لله لم يبق منه شيء ! ان الانسان كله لله لكنه ليس هو الله ليس كمثله شيء ـ فهل أنت ـ يا شيخ الحلول ووحدة الوجود شيء ؟ أم أنت كما قال السفسطائيون : لا حقيقة لشيء فى الوجود ؟

أنت صم لا تسمع

ومن قوله أيضا فى وصف الله بالسمع ـ وان الانسان يجب فى حقه ما يستحيل على الله (صفحة 84) .

« ومن أوصاف العبد ـ أيضا ـ الصمم ، فانت الآن ـ أيها العبد ـ اصم والسمع ليس من شيمتك ، فالله هو السميع وحيث نسبت السمع لنفسك فانك صرت اصم ، ومع وجود السمع لا تسمع ولو كنت تسمع **لسمعت خطاب الله فى كل وقت وحال فانه سبحانه** لم يزل متكلما والسكوت يستحيل فى حقه ، وأين سمعك من هذا الخطاب ؟ وأين فهمك من هذا الكلام فانك اصم ولا زلت فى طى العدم ولو برزت للوجود سمعت خطاب المعبود ...» (ص43) .

فالانسان عنده معدوم ، وكل شيء في الوجود عنده معدوم ـ ما معنى هذا الكلام ؟ معناه : كل شيء في الوجود هو الله (تعالى الله علوا كبيرا) ٠

هـل العالـم قديـم

علماء أصول الدين (التوحيد) يقررون ان الموجودات قسمان: قديـم وحديث ، والقديم هو الله سبحانه وتعالى وحده والحادث كل ما سواه مـن العوالم وقد كفروا من قال بقدم العالم ، ونسبوا ذلك لبعض الفلاسفة.

لكن القائلين بوحدة الوجود يزعمون انه ليس في الوجود غير الله ، ويلزمهم ان يكون كل الموجودات قديم ، وهذا ما فسر به الشيخ ابن عليـوة قـول ابن عاشر في اثبات ايجاد الله سبحانه للعوالم وحدوثها في قوله ٠

لـو حدثت لنفسهـا الاكـوان   لاجتمـع التساوي والرجحان (ص45)

قال في شرحه :

(المراد منه ان الحوادث لا يكون لها وجود ، حتى تظهر بنفسها ، وأين كانت قبل حدوثها لا مقام لها في حضرة القدم ، لا اسم لها ولا رسم ولا ذكـر ولا خبر ، ولا وجود لها ولا اثر ، فكيف يثبت العدم مع محض القدم لقـول ابن عطاء الله ٠٠٠ كيف يظهر الوجود في العدم أم كيف يثبت الحدوث مع من له وصف القدم ؟ قلت ما ظهرت بنفسها ولا بطبعها وانما ظهرت بظهـور الذى اظهرها « **اَللّهُ نورُ السماوات والأرض** » لا لعلة أوجدها ولا لغـرض) (ص : 45 ـ 46) ٠

فهذا صريح في القول بوحدة الوجود ، وأن (كل) ما في الوجود هو الله، ويفسر حلفه وقسمه (انك لست سواه) تعالى الله الواحد الاحد ، الله الصمد ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفؤا أحد ٠ اما ابن عليوة والبوزيدى ، وعـدة فقد ماتوا وفنوا ولم يبق لهم ـ ولا لمذهبهم ـ ان شاء الله ـ ظهور ، وهذا يكذب ما ذهبوا اليه انهم (الله) ٠

انكـار المحسوسات

وعند قول ابن عاشور :

لـو استحـال ممكـن أو وجبـا   قلب الحقائق لزوما أوجبا (ص 50)

زاد مذهبه ومذهب (وحدة الوجود) ايضاحا فانكر المحسوس وجاء بالمحال فقـال :

(لو كان وجود الممكن ـ وهو ما سوى الله ـ واجب الوجود أو مستحيل الظهور لكان له اعتبار على كل حال حيث وصفناه بالوجود أو بالاستحال (كذا) وانما هو لا وصف له ولا نعت ولا اسم ولا رسم لفقده واضمحلاله فهو عند القوم لا يسمونه لا بعدم ولا بوجود ، ولو اثبتوا له الوجود لكان ذلك شركا ، ولو حكموا عليه بالاستحالة لكان ذلك منهم اعتبارا له ، وكيف يعتبرون من ليس بموجود ، فالله واجب الوجود ، وما سواه مفقود ...) (ص 56) .

وهذا غاية الفساد ، فابن عليوة كان موجودا ، وحاول ان يملأ الدنيا ضلالا واحدث وجوده ـ الجائز ـ اثرا ثم لحقه العدم ، فلو كان هو (الله) أو جزأ منه (تعالى الله عن الجزئية والكلية علوا كبيرا) لما جاز عليه الموت والعدم ومثله (القوم) كلهم ، ونعوذ بالله من (القومية) وسوء أعمالهم وآثارهم .

أراد ابن عاشر تعليم التوحيد ، وأراد ابن عليوة محوه ، وكل ما قدمـه ابن عاشر من ادلة ـ مقررة فى علم أصول الدين كر عليها الشيخ بما يبطلها فى علم (القوم) وهكذا تتبع الشيخ كل ما جاء فى توحيد المرشد المعين بنقض بمذهبه الفاسد ومذهب (القوم) كل ما غزله عبد الواحد ، ويخرب العقائد ، ثم تابع كل ما جاء فى ابن عاشر عن الصلاة والزكاة والصوم والحج والتصوف بمثل هذا الهذر ، وسأذكر من ذلك أمثلة تكون عبرة لمن اعتبر . ليقتنـع القراء بما وصل اليه استخفاف القوم بعقول الامة واستبلاه الشعب . وما كنا لنعير هذا الباطل ـ بعد ان ذهب اصحابه ـ التفاتا ولكنا رأيناهم يجتهدون فى اعادة طبع هذه الكتب له والآثار ، ومحاولة بعث هذا الباطل ، فلابد من صوت ينبه الى اخطارهم ، ويعيد الكرة عليهم .

الفصل الخامس ـ قوله في الطهارة والصلاة ـ الماء المطلق المتطهر به

يقول ابن عاشر :

فصـل وتحصـل الطهارة بمـا مـن التغـير بشيء سلمـا (ص 83)

ومراده ظاهر فالماء هو آلة الطهارة لقوله تعالى : « **وينزِّل عليكم من السماء ماء ليطهِّرَكم به ويُذهِب عنكم رِجزَ الشيطان** » . والماء الصالح للطهارة هـو

ما صدق عليه اسم ماء بلا قيد ويشمل كل أنواع المياه من ماء السماء والبحر والانهار والعيون والآبار ، والطهارة بقسميها الصغرى والكبرى تكون للعبادة : الصلاة والتلاوة ومس المصحف ودخول المسجد والطواف ٠٠٠ الخ ٠ هذا فى عرف المسلمين ٠

فاستمع الى الشيخ ابن عليوة وهو يقول : (ص : 83 ـ 84) ٠

(اخبر ان الطهارة تحصل بالماء المطلق وهو ماء الغيب ، والمراد به الصفاء المتدفق على عالم الشهادة المتنوع فى ظهوره المتحد فى تجرده الظاهر بنفسه الخافى لشدة ظهوره المطلق فى تقييده فهذا هو الماء السالم من التغيير الذى يصح به التطهير ، وفيه قال بعض العارفين :

توضا بماء الغيب ان كنت ذا سر ... والا تيمم بالصعيد او الحجر
وقدم إماما صرت أنت إمامه ... وصل صلاة الفجر فى أول العصر
فهذي صلاة العارفين بربهم ... فان كنت منهم فانضح البر بالبحر

فهذا هو ماء الغيب الذى يصح التطهير به ، وكل ما سواه بالنسبة اليه صعيد لا يستعمل الا عند فقد هذا الماء ٠٠٠) اهـ ٠ ثم استرسل الشيخ فى مثل هذا الهذيان ٠

وخلاصة ما تقدم من قوله ومن قول شاعره (العارف بالله) ان النبىء وأصحابه ما توضأوا ولا بينوا للمسلمين ، أوانهم لم يكونوا من أهل السر ، وقوله : « قدم اماما صرت انت امامه » يشير الى زعمهم ان الانسان يصلى لنفسه اذ يصلى لله فبصفته مخلوقا عليه ان يصلى الى خالقه وبصفته متحدا مع خالقه فهو يصلى لنفسه لانه يقول ان الوجود واحد ، وقد كان الرسول وأصحابه يصلون الفجر فى وقتها والعصر فى وقتها فلا الفجر تصلى فى أول العصر ، ولا العصر تصلى وقت الفجر ، فهل يكونون من العارفين ؟ انهم كانوا اعرف الناس بربهم واعرفهم أيضا بالشيطان ومكائده ومداخله ٠

ما هى فرائض الوضوء السبع ؟

قال عبد الواحد : فرائض الوضوء سبع وهى ٠٠٠ الخ : (ص 87) ٠

وقد بينها فى متنه وسماها ، ويعرفها الصغار والكبار حتى العجائز ، وقد قيل لعجوز ما هى فرائض الوضوء فقالت :

« وَجْهِي وْيَدِّيَ ، وْرَاسِي وْرَجْلِيَ ، وَالدَّلْكْ ، وَالْفَوْرْ وَالنِّيَّهْ ، وَعْلَاشْ تْسَالْ عْلِيَّ ».أما الشيخ ابن عليوة فله رأى آخر فى فرائض الوضوء للصلاة فى (دينه) اذ قال فى شرحه : (المراد بها السبع صفات الازلية التى يطلب من العارف الفناء فيها حتى يصير طاهرا بتطهير ما وهى : القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ، فهذه فرائض الوضوء التى لابد لكل متطهر من الفناء فيها » اهـ .

الجمعة معناها وعلى من تجب ومن يحضرها ؟

قال ابن عاشر :

فصل بموطن القرى قد فرضت صلاة جمعة بخطبة تلت (ص 212)

والجمعة من أيام الاسبوع ، وصلاتها ـ الخاصة ـ معلومة من الدين بالضرورة ركعتان عند الزوال جهريتان فى المسجد فى جماعة بخطبة وامام ، وقد ذكر المصنف كل ذلك وأبانه الشراح ، ولكن ليس منهم صاحب كتاب المنح القدوسية فهو يقول فى شرح هذا البيت (ص 212) :

« هذا شروع من الناظم فى بيان اجتماع الاسرار فى حضرة تكل دونها الافكار وهى (حضرة) الطمس التى لا تكفى بمعنى ولا بحسن وبنوع ولا بجنس ولا يطيق اجتماع هذه الحضرة الا القليل ولهذا لم تكن واجبة الا على من تقدم فى قول المصنف ... انها لا تجب على عوام القوم ، ولا على خواصهم لعدم توفر الشروط فيهم انما هى واجب على خاصة الخاصة منهم ، ولو كانت واجبة على عامة القوم لما أداها منهم الا القليل ... ثم أعلم ان هذه الحضرة المعبر عنها بالجمعة لا يحضرها أحد الا من كان اسما بلا رسم **والمعنى انه مفقود فى صورة موجود لكونها لا يدخلها مخلوق الا اذا أسبلت عليه حلة الخالق** وحينئذ يحضرها بالله لا بنفسه ، ومن حيث اشتراط هذا الشرط **لا يحضر مع الله الا الله** فى هذه الحضرة ، ومن هنا نفهم قول الجنيد رحمه الله تعالى حيث قال : لا يرى الله الا الله لان الذات المقدسة لا تتحيز ولا تتميز حتى يقع البصر عليها الا اذا انطوى وجود العبد فى وجودها ورجعت الفروع لاصولها **فهذا معنى الجمعة فحينئذ يدرك رؤية الذات** ويكون البصر هو المبصر كما كان الساتر هو المستور وقد قيل فى هذا المعنى :

أعارتـه طرفـا رآهـا بـه فكـان البصـير لهـا طرفهـا (ص 213)

الفصل الساس ــ قوله الزكاة :

الذهب والفضة ــ الحقيقة والشريعة

ولم يخل له باب ، من العجب العجاب ، فالشيخ ابن عاشر قال وهو يتكلم عن الزكاة ، وحصول النصاب من صنفين كالذهب والفضة . والظان مع المعز، والبر مع الشعير :

« ويحصل النصاب منهما أى الشريعة والحقيقة · المعبر عنهما بالذهـب

ولكن الشيخ (العارف بالله) لا يفسر البيت بهذا ، كما لم يفسر الصلاة ولا الزكاة بمعناهما فى اصطلاح أهل الشريعة فقال : (ص : 254 ــ 255) ·

ويحصل النصاب من صنفـين كذهب وفضة من عـين (ص 254)

والفضة · فالذهب عبارة عن معدن الحقيقة ، والفضة على عنصر الشريعة ، ومن جمع بينهما هو العروة الوثقى ــ (العروة الوثقى عنده من بنى آدم كما فسرها فى شعره أيضا · وأما عند المسلمين فانها الكفر بالطاغوت والايمان باللـه واليقين والتمسك بالدين قال تعالى : « **فمنْ يكفُرْ بالطاغوت ويُؤمنْ باللهِ فقدِ اَستمْسَك بالعُرْوة الوُثقى** » ــ لكل من جمع بينهما ذوقا وحالا ، لا ايمانـــا ومقالا بل صار يأخذهما من أصلهما كما قال المصنف كذهب وفضة من عين أى أخذ الحقيقة من معدنها والشريعة من أصلها . وهذا هو الجامع » اهـ ·

هل معنى هذا أنه استغنى عن تبليغ الرسول الذى قامت المعجزة على صدق ما يقول ؟ نحن مسلمون بهداية الله ثم بارشاد الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى : « **وانك لتهدي الى صراطٍ مستقيمٍ صراطِ اللّهِ** » وقد سئل أبو بكر عن صاحبه أثناء الهجرة فقال رجل يهدينى السبيل وقد تركنا عليه الصـلاة والسلام على المحجة البيضاء ليلها كنهارها وترك فينا كتاب الله وسنته فهما الشريعة ، وهما عين الحقيقة · وقال تعالى فى الاسلام : « **قل جاء الحقّ وزَهَقَ الباطـــلُ** » ·

فان جاءك من يقول لك حذ عنى الحقيقة ومنى الشريعة ، دون المـــرور على كتاب الله ولا سنة رسوله فاحذره وقل له اخسأ يا ملعون نعوذ بالله منك.

الدخـــول عـلى اللـه

وعندما تكلم على زكاة الفطر زعم أن الفطر عند (القوم) قال: هو الرجـوع للخلق بعد الاعراض عنهم الا أن الرجوع يكون بالله واما الصيام عندهم لا يكون لهم ذلك الا بخروجهم عن هذا الكون وفنائهم فى اسمه الباطن فاذا تم لهم ذلك، وأمروا بالرجوع ليتحققوا باسم الظاهر فى جميع المظاهر فيكون لهم ذلك يوم عيد لما وجدوا الظاهر عين الباطن كما ان الاول عين الآخر » (ص 263) ثـم قال : « وحاصل الامر أن المريد لما يدخل على الله يخرج من عنده بعلم وهـو يوم العيد المعلوم عند القوم فتجده يتكلم بأسرار عجيبة أمام اخوانـــه وفى الغالب أمام شيخه والكل محتاج لكلامه » (ص 265) وكان استاذنا وولى نعمتنا مفيض هذا الشراب سيدى محمد البوزيدى ... أكثر ما يحب أن يتكلم مع المريد فى هذه المدة التى يأتى فيها بعلم قريب عهد من الله ويقول لـه : تكلم لكلام هو الكلام وكل كلام الغير عدم ... » اهـ 265 .

ليس أكثر من هذا الكلام صراحة فى ضرب الامثال لله « **فلا تَضربُوا لله الأمثال** » فالقوم ـ قبح الله مذهبهم ـ يدخلون على الله ، ويخرجون من عنده، ويسمعون منه الكلام ، وينقلونه عنه ، ويحدثون شيخهم بعلم قريب عهـده من الله .

الفصل السابع ـ قولهم فى الصوم ـ صوم المسلمين وصوم (القوم)

أما صوم المسلمين الذى كتبه الله على المؤمنين فقد عرفوه من رسول الله(ص) ثم عرفه الفقهاء بانه امساك عن شهوتى البطن والفرج وكل المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس كما قال سبحانه وتعالى : « **وكُلوا واشرَبوا حتّى يتبينَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسود من الفجرِ ثم أتمّوا الصيـام الى الليـــل** » .

واما فى شرعهم فقد عرفه الشيخ ابن عليوة فى شرحه بقوله : « الصـوم فى اللغة مطلق الامساك، وفى **شرع القوم هو الامساك** عما سوى محبوبهم ولهذا المقام فرائض وشروط وموانع ومستحبات » (266) .

اذا فللقوم شريعة لهم خاصة بهم .

وعندما تعرض لقول ابن عاشر :

« صيـــام شهر رمضان وجب   فى رجب شعبان صوم ندب » (ص 266)

قال : « تقدم معنى الصيام عند القوم وفيه قال صاحب العينية :

صيامى هو الامساك عن رؤية السوى   وفطـــرى نحـــو اليـــك راجـــع

وقال غيره :

ونفسى بصومى عن سواى تفردت » (ص 266) .

ثم قال : « لكن يكون امساك العارفين عما سوى الله فى حضرة مخصوصة هى حضرة الذات ، وقد يعبرون عنها بحضرة الجبروت واما فى حضرة الاسماء والصفات أو الافعال فلا يكون شهود الذات واجبا لتعذره على لوحة الاسماء والصفات » ... ولو تعمد رؤية الغير لم يستطع لان حقيقتها لا تقتضيه ، وان خطر على قلبه ما سوى الله خرج منها ، وبطل صومه وقـــد قال سلطـان العاشقـين :

ولو خطـــــرت لى فى ســواك ارادة   عـلى خاطرى سهوا قضيت بردتى !

(ص : 266 ـ 267)

هذا هو صوم (القوم) وهذا ما يبطله فالصوم هو الاشتغـــال ـ كـــل الاشتغال بالمحجوب ، حتى لو خطر بباله غيره ولو سهوا بطل صومه وارتد عن الاسلام عياذا بالله .

ولما قال ابن عاشر فى تعريف الصيام :

« فـرض الصيـام نيـة بليلـة   وتـرك وطء شربـه وأكلـه (ص 267)

والقىء مع ايصال شىء للمعد .

فسر لفظ (المعد) بقوله : (ص : 267 ـ 268) .

« والمراد بالمعدة هى المعدة للتجلى الالهى وقد يعبرون عنها بسويد القلب وهى المسمات (كذا) بالبصيرة لانها شريعة التغـــير فليحافظ عليها المريـد ما استطاع ولهذا تجد المريدين حالة **دخولهم على الله** أغلب عملهـم تغميض العين وجمع الحواس وحالة الذكر وذلك من أهم الوسائل فى الطريـــق لان المريد لا تجتمع همته الا عند انقطاع مادة الحس والحس له غلبة فى الظاهر» ..

واستمر الشيخ فى مثل هذا الكلام يشرح به أبيات المرشد فى الصيام حتى نهايته ·

الفصل الثامن ـ فى كلامه على الحج ـ الحج عند المسلمين وعند (القوم)

والحج كالصيام يختلف عند المسلمين عما هو عليه عند (القوم) فحج المسلمين هو ما أوجبه الله عليهم فى قوله تعالى : « **ولله على الناس حجُّ البيت من استطاعَ اليه سبيلا** » ··· وذلك هو الحج عند ابن عاشر أيضا لانه من شيوخ الاسلام ·

اما عند القوم فقد عرفه الشيخ بقوله :

« الحج : فى اللغة القصد مطلقا ، وعند (القوم) هو القصد الى مقام لا يمكن المزيد عليه ولا يساعد المساعدة التلفظ بكنهه وحقيقته ، لعدم وجود الالفاظ المساعدة فى التعبير على ماهيته فمن أجل هذا قل من يتكلم عليه كما قل من يصل اليه من عامة القوم لفقد الاستطاعة ··· » (ص 274) ·

الميقات الزمانى والميقات المكانى

فى حج المسلمين يراد بالميقات الزمانى الوقت الذى يشرع فيه الحج ، ويصح بوقوعه فيه وابتداؤه من أول شوال وانتهاؤه بخروج شهر ذى الحجة ـ على الاصح ـ لقوله تعالى : « **الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ** » وذلك مبسوط فى كتب الفقه ·

واما الميقات المكانى فهو المكان الذى اذا بلغ اليه الحاج شرع فى الاحرام والبداية فى مناسك الحج ·

اما الميقات فى دين (القوم) فهو ما قال فيه الشيخ ابن عليوة ما نصه : (ص 277) ·

« الميقات الزمانى عند تحقق المريد بوحدانية الاله قائلا : (ما فى الوجود الا الله) فحينئذ اذا أراد الوقوف بأن أراد مقام الكل فيحرم عند ذلك ويتهيأ للمسير لكنه الذات والاستغراق فى غوامضها والمطالعة على أسرارها ، واما قبل ذلك الزمن فلا يجوز له الاحرام ولا يطلب منه الحج لان الحج أشهر معلومات فلا يمكن أن يدخله قبل أوانه » اهـ · أى لا يتحقق بالوحدانية الا عندما يخرج من الاسلام باعتقاد (وحدة الوجود) وقد حقق العلماء انه يكفر اعتقاد ذلك ·

ثم قال : « والميقات المكاني مبتدؤه من حدود الكون ، أو تقول سدرة المنتهى أو تقول منهى التقييد ، ولكل ميقات يخصه ـ كما تقدم ـ فهو كناية على حالة خروج المريد عن التقييد وتشوفه للاطلاق فهذا هو الميقات من أى جهة كان ، سواء كان من العلو أو من الدنو أو من اليمين أو من الشمال أو من غاية الكيف أو من منتهى المثال بالمطلوب الخروج عن المكان والزمان ليتمكن له الغوص فى الاطلاق واما قبل خروج المريد عن الظروف واحاطتها لا يتمكن له الاحـــرام المقرون بالتجرد عن الكل لانه يريد بطون الذات » اهـ (ص 278) .

ومكة عند المسلمين هى البلد الحرام الذى فيه بيته الذى رفع القواعد منه نبياه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وجاء ذكره فى القرآن . لكن (مكة) عند (القوم) غير ذلك . قال الشيخ : (ص : 280 ط. أولى) .

« اذا دخلت الى الحضرة الواحدية المعبر عنها بمكة ـ وقد عبر عنها القوم بالذات المستحقة للالوهية وعليه فينبغى للمريد أن يجدد أدبه لان لكل مقام أدب ، فآداب الالوهية ليس كأدب الربوبية وقس على ذلك بقية الحضرات ، وقد يصعب الدخول على المريد لهذه الحضرة لوجود ظهرها » (ص 280) .

اذا فقد أعلن الشيخ أن مكة هى اله القوم ومعبودهم ، والمسلمون لا يعبدون البيت وانما أمروا أن يعبدوا رب البيت « **فليعبُدوا ربَّ هذا البيتِ الذى اطْعَمَهم من جوع وآمنهم من خَوْف** » وقال سبحانه لنبيه : « **قل إنما أُمرتُ أن اعْبُـدَ ربَّ هذه البلدةِ الذى حرَّمها وله كلُّ شىءٍ وأُمرت أن أكونَ من المسلمين** » .

العمرة عند المسلمين وعند (القوم) :

والعمرة عند المسلمين هى الحج الاصغر ، فيها كل ما فى الحج ماعـــدا الوقوف بعرفة ولكنها عند القوم ما قاله الشيخ :

« المراد بالعمرة أى عمارة الاوقات بالحضور فى هذه الحضرة الشريفـة لكونها حدا مانعا ولا يخشى صاحبها من السلب فى الغالب ومن أجل هذا عبر عنها بالبيت وهى حصن الله ومن دخله أمن عذابه ! » اهـ. لقد دخله أبو جهل وأبو لهب والمستهزئون الذين أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، فعذاب الله لا يسقطه دخول البيت انما عبادة رب البيت والايمان به . والطاعة فى مكـــة مضاعفة ، والمعصية فيها مضاعفة .

الفصل التاسع والاخير :

توبة الانبياء والمخطئين ، وتوبة القوم : (التوبة انواع)

شهد الله أنه سبحانه : « **يحبُّ التوّابين ويحبُّ المتطهّرين** » وقال فى كتابه المبين : « **وتوبوا الى الله جميعاً ايهَا المؤمنونَ لعلكم تفلحون** » . وقال جل من قائل : « **وانِيّ لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمَّ اُهتدَى** » ، وتوجه ابراهيم الذى رفع مع اسماعيل القواعد من البيت الى الله وقالا : « **ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمَيْن لك ومن ذريتنا امةً مسلمةً لـك وأرِنا مناسكَنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم،ربنا وابعَثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيـز الحكيـم** » . وقد استجاب الله دعاء خليله ابراهيم ونبيه اسماعيل فجعـل بيته معمورا فى كل حين ، وجعل من ذريتهما مسلمين وبعث فيهم رسولا منهم هو أفضل أنبيائه وخاتمهم وجاءنا الرسول فعلمنا الكتاب والحكمة ونسأله ان يغفر لنا ويرحمنا ويتوب علينا . فشريعة الاسلام تطالب كل عبد بالتوبـة « **وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون** » . وكتاب الله يبشر التوابين سواء منهم المذنبون الذين أسرفوا على أنفسهم وكادوا يقنطون من رحمة الله ـ أو الانبياء المقربون الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر قال تعالى : « **قـل يا عباديَ الذين اسرَفوا على أنفسهم لا تقْنَطوا من رحمة الله،ان الله يغفـرُ الذنوبَ جميعاً انه هو الغفور الرحيم** » . والدعاء هو العبـادة أو هـو مـخ العبادة ، والقرآن الكريم قضى بوجوب دخول النار على من تكبر عن عبادة الله ودعائه فقال : « **ان الذين يستكبرونَ عن عبادتي سيدخلون جهنم داخِرين** ». قالت العلماء يستكبرون عن دعائى . والملائكة حملة العرش يستغفرون لمن تاب وآمن واتبع سبيل الله « **الذين يحملون العرشَ ومَن حولَه يسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا : ربنا وسِعْت كلَّ شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم،ربنا وأدخلهم جنـاتِ عدن التى وعدتهم،ومن صَلَح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم،وقهـم السيئاتِ،ومن تَق السيئات يومئذ فقـد رحمتَـه وذلـك هـو الفوز العظيم** » .

فمنطوق القرآن كتاب الله ، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان التوبة لله يؤمر بها كل المؤمنين ، ودعاء الله ورجاء الثواب والاجر على الاعمال، والغفران للخطايا وللسيئات ـ محمود من كل المؤمنين وقد قال تعالى: « **واسألوا الله من فضله** » وليس لأحد من خلق الله ان يترفع عن التوبة والانابة والدعاء،ومن فعل ذلك سيدخلون جهنم داخرين أذلاء .

ولكن القوم لهم (دين) آخر ومذهب في التوبة والدعاء غريب ، ويقسمون الخلق الى ثلاث طوائف : العامة ، والخاصة وخاصة الخاصة ، فتوبة العامة هي ما علمناه من توبة الخلق وهم وحدهم المطالبون بالتوبة عندهم ، وأما الخاصة فانه حرام عليهم ان يتوبوا أو يتضرعوا لله لطلب الاجر والثواب عن أعمالهم ، ومن فعل ذلك منهم فهو عاص لله ، وعليه ان يتوب من هذا العصيان الذى هو دعاء الله وسؤاله ، واما خاصة الخاصة ، فانهم يتوبون اذا خطر ببالهم أن الله سوى أنفسهم وما يرونه من مظاهر الكون ، يتوبون اذا رأوا سوى الله !

وهذا ما بينه الشيخ ابن عليوة عند قول ابن عاشر رحمه الله :

وتوبة من كل ذنب يجترم   تجب فورا مطلقا وهى الندم

(ص 313)

اذ يقول : فى تفسير الاطلاق فى قوله (مطلقا) :

« توبة العامة ، أو توبة الخاصة ، أو توبة خاصة الخاصة ، فتوبة العامة هي الرجوع الى امتثال الاوامر واجتناب المنهيات ، والاقلاع عن كل وصف مذموم ، والندامة والتاسف عما فات » اهـ وهذا جيد فى الجملة ثم يقول :

« وتوبة الخاصة هى من رؤية العمل المنسوب للنفس ولو كان طاعة ، فيحتاج لصاحب هذا المقام ان يرجع لله فى أعماله ، ويستغفر من نسبة لنفسه ، ولا يسأل اجرا عما فعل ، بل لا يرى لنفسه عملا حتى يجزى عليه ، وكلما لاحظ لنفسه عملا ، وطلب عليه جزاء فهو مرتكب الذلة ، ويكون عاصيا لربه تجب عليه التوبة على الفور والندامة على قلة حيائه من الله... » اهـ وقلة الحياء حقا ان يقال ان التوبة الى الله ودعاءه عصيان وتجب التوبة من ذلك .

ثم قال :

« واما توبة خاصة الخاصة من رؤيتهم لما سوى الله ، واستماع الكلام من غيره فكلما وقع نظر (العارف) على وجود الغير ، أو طرق سمعه كلام الغير فيعد ذلك من أنواع المخالفة بالنسبة لحاله مع الله فينبغي له ان يرجع لله ويتوب ويقلع من حينه وان لا يتمادى على ما هو عليه لئلا ينسد دونه الباب وينسدل الحجاب بينه وبين ربه فهو احوج الى التوبة من غيره » اهـ . (ص : 313 ـ 314) .

وقد سأل موسى ربه أن يراه فقال له : « لن تراني » وهذا (العارف) يزعم انه لا يرى سواه ولا يسمع الا اياه فهل هو اعظم عند الله منزلة من موسى ؟ من زعم انه افضل من نبيء كان مرتدا . ثم نقول :

اما التوبة العامة المذكورة في هذا القسم فهي التوبة الواجبة على كل الخلق، من المؤمنين وغير المؤمنين ، فعلى الكافر أن يسلم وجهه لله ، وعلى المشرك أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ويعبده وحده ، وعلى المؤمن ان يهود الى الله (1) ويتوب اليه ويمتثل اوامره ويجتنب نواهيه ، ويندم على خطاياه وغفلته ويسأل الله ان يهديه الى الصراط المستقيم ويستغفره في اليوم والليلة مرارا.

وقد اخبر النبيء صلى الله عليه وسلم ـ وهو أكرم خلق الله ـ انه يستغفر الله سبعين مرة في اليوم ، وقد جاءته البشارة أنه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

واما توبة الطائفتين الاخريين ـ في كلام الشيخ ـ فانه من أبطل الباطل ، وافسد الفاسد ، فكيف ينكر الانسان فعل نفسه ، واختياره في القيام بعمله ومسؤوليته فيه واهل السنة الاشاعرة قد بينوا مذهبا معتدلا ـ بين الجبرية والمعتزلة ـ فان كان (الشيخ وحزبه) منهم فان من الباطل ان يقول (توبة الخاصة هي من رؤية العمل المنسوب للنفس ولو كان طاعة) ، واذا كان معصية كالزنى وشرب الخمر وعقوق الوالدين واللواط والكبر والظلم فهل يقول الشيخ انه لا يصح أن ينسبه الى نفسه ؟ فالى من ينسبه ؟ ثم ان قوله : (كلما لاحظ لنفسه عملا ، وطلب جزاء فهو مرتكب الذلة ويكون عاصيا لربه تجب عليه التوبة على الفور والندامة على قلة حيائه من الله) .

---

(1) هادَ الى الله : عاد وتاب اليه « وفي الآخرة إنا هُدْنا اليك » .

مثل هذا القول يصدر من (شيخ) يربى غيره ويعرفهم بالله **من أعجب** ما يطرق سمع المؤمنين ، ويبهت العارفين بالله حقا: **تجب التوبة من التوبة على الفور ، وتجب الندامة على من دعا الله** وسأله من فضله حسن الثواب والجزاء على صالح عمله ان هذا القول هو الذى لا يصدر الا ممن قل حياؤه من الله والناس حقا ٠ فما زال الطيبون الاخيار من الانبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين والاولياء والصالحين يستغفرون الله ويتوبون اليه يسالونه لانفسهم وللمؤمنين حسن المآل ٠

وما زال المخطئون الذين أسرفوا على أنفسهم وكادوا يقنطون من رحمة ربهم ما زالوا كلهم يرجون رحمة ربهم ويستغفرونه ويستجيرون بنور وجهه الذى أشرقت له الظلمات من النار ويسالونه ان يدخلهم فى رحمته ، ويمتعهم بنعيم جناته ، وينجيهم من عذابه الاليم ، نسال الله الكريم ذا العرش العظيم ان يتوب علينا ويغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، والا يجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا انه الرؤوف الرحيم ٠

خاتمة : كلام أهوج ٠٠٠ وشيطان فى صورة انسان !

آن لنا أن نختم هذا القسم الذى عرف بالقوم وبمذهبهم الدينى والدنيوى كما هو مستفاد من كتبهم ومن أقوالهم الشعرية والنثرية ، ومن افعالهم وكفى بذلك حجة عليهم ٠

وكل من اطلع على شىء من هذه الدعاوى والاقوال ، وسمعه لاول مرة فى حياته ـ وهو فى كمال وعيه وادراكه ، خاليا من كل تأثير عليه ـ لابد أن يصدر حكما عليه ، لا يقل عن حكم الاستاذ أحمد توفيق المدنى ـ ولم يكن حينما اصدر حكمه ـ متحيزا ، لا لحزب الاصلاح ، ولا لحزب (الصوفية) بل كان ينشد الاتحاد بين صفوف أبناء الامة كلهم ٠

لقى الاستاذ توفيق شيخ القوم لاول مرة ، وحاوره فى موضوع نشاطه وسأله عن الاسس التى بنى عليها طريقته الجديدة فقال الشيخ : سأبعث اليك بكتاب ألفته وطبعته يبين لك حقيقة الامر ٠

وجاء الكتاب واسمه « المنح القدوسية فى شرح المرشد المعين بطريق الصوفية » وقرأه وقال عنه :

« وأخذت أقرأ الكتاب ويالهول ما قرأت ! كلام أهوج ، وخرافات لا تنطلي حتى على الابله المسكين وأباطيل وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان ، ودعوة سافرة غير حكيمة لمذهب « وحدة الوجود » ، المنافي لعقيدتنا الاسلامية فاستعذت بالله من رجل اتخذ في ذهني صورة شيطان في جسم انسان ، وأصبحت أسائل نفسي هل درى أولئك البسطاء الى أين يسوقهم هذا الارعن المغرور ؟ وأخذت أوالي البحث عنه فاذا به خراز قديم بمستغانم وكانت مركزا من أهم مراكز الصوفية » اهـ . (من كتاب حياة كفاح ، ج 2، ص : 81 ـ 82) .

وقد والى الاستاذ المدني بحثه ، وذكر بعض ما يعرف عن مذهب (وحدة الوجود) وانها طريقة في السلوك تبتدىء مع السالك بدرجة « السير نحو الله » وتنتهي الى درجة « السير بدون الله » وبعد ان يتجاوز درجة « السير في الله » ويدعى حينئذ « العارف بالله » ويقال انه حينئذ قد ارتفعت عنه التكاليف الشرعية لانه يكون قد **آمن بأنه جزء من الله وان الله هو كل ما في السماوات وما في الارض من حيوان ونبات وجماد ...** » اهـ .

ثم ذكر المدني ان من شيوخهم جلال الدين الرومي دفين تركيا، ومحيي الدين ابن عربي دفين دمشق ، وابن سبعين الاندلسي . ومن زعمائهم « اليهودي الهولاندي (اسبينوزا) وهو الذي شرح النظرية الفلسفية لدينه (وحدة الوجود) دون طلاسم ولا تعميات ولا ظاهر ولا باطن » اهـ . كتاب حياة كفاح ج 2 ، ص 73 .

والاستاذ المدني لا يتهم في حكمه ، فقد كان محايدا بعيدا عن المعركة بل كان منكرا على حزب الاصلاح عنفه وشدته في مهاجمة الطرقية ، وخصوصا العليوية ، واذا بهم يضعون في يده كتابهم الذي هو أساس طريقتهم فيكتشف مذهب الباطنية في تأسيسه وأيدي اليهود في بثه في المسلمين قديما وأيديهم في الترويج له حديثا بواسطة الفيلسوف الهولاندي الذي أراد أن يجعله عاما بين المسلمين وغيرهم . فقد ذكر ابن خلدون أن من أقطابه قديما النجم الاسرائيلي وقد فند ابن تيمية ـ رحمه الله ـ اقواله واقوال اقطاب وحدة الوجود في كتاب له نشرته مجلة المنار في سنة 1924 ، وذكر المدني أن من اقطابهم حديثا (اسبينوزا) اليهودي الهولاندي .

ان من يدرس بامعان هذا الكتاب بعد أن درس الديوان وما فيه من أشعار الفرسان الثلاثة لا يملك نفسه الا أن يستعيذ بالله من **الانسان الذى يتخذ** - فى الذهن - صورة شيطان ، ويزعم أنه الله أو جزء من الله ، لانه (ليس فى الكون سوى الله)، وكل ما فى العالم مظاهر يظهر الله فيها لعباده ، لذلك فان **الشيخ نفسه هو الله وانت نفسك انت الله** - تعالى اللـه عما يقولون ، **فان الله سبحانه هو رب هذا الكون وخالقه ومدبره** . وفيه الانسان والحيوان والجماد وفى الجماد الحجر ، وفى الحيوان البشر ، والكلاب والحمير والخنازير والبقر ، فهل هذه آلهة أو اجزاء من اله ؟ تعالى الله . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

القسم الثالث

القســـم الثـالـث

هذا القسم (الثالث) من أهـم أقسام هذا الكتاب ، فيه ما ينـير بصائـر الكتاب ، ويعرفهم بالملابسات والظروف التى عاشتها نهضتنا أثناء فترة من أهم فترات تاريخنا ، وبما تعرضت اليه أمتنا من مكائد ومؤامرات على شخصيتها ومصيرها وحياة رجالها ٠

انه يتحدث عن اتصالات (القوم) بفرق مبتدعة تتآمر على الاسلام لمحـوه وأبطاله وحرب دولته منذ القديم وحتى الآن ، أو بأقطاب ديانة همهم محـو الاسلام واحلال النصرانية محله والخروج بدين الله عن جوهر التوحيد الى مذاهب الحلول وتاليه كل شىء فى الوجود ٠ أو بمخابرات الاعداء المهيمنين على مصائر أمتنا المتحكمين فى رقاب الشعب واستغلاله وامتصاص دمائـه للتعاون معهم وخدمة ركابهم ٠

وقد جمع فى هذا القسم ـ بأبوابه الاربعة ـ الوثائق المدعمة لهذه الاتصالات الثلاثة مما لا يدع مجالا للشك ، ونحن نضعها أمام القارئين وهم الحكم فى هذه القضايا المعروضة ولهم ان يحكموا عن دراية وبيان ٠

والله المستعان

الباب الاول

العليوية ـ أخت القاديانية

أشياء أخرى كانت مما يتهم به « القوم » وشيخهم القطب ، وفرقتهم (الذاكرة) وينكرها عليهم « الشهاب » وحزبه أشد الانكار ، ويؤاخذهم بها كتاب المصلحين أعظم المؤاخذة ·

من هذه الاشياء اتصالهم اما بفرق مبتدعة ، متفق على بدعتها قديمة ، وحديثة ، وقد ثبتت ادانتها ، والحقت بالاسلام وعقائده ومبادئه ، وبالمسلمين ووحدتهم ودولتهم أعظم الاضرار ، وما أسست ـ فى الحقيقة ـ يوم أسست ـ الا بقصد محو الاسلام والحاق الهزيمة بدولته العربية · ومن هذه الفرق فرقة الباطنية قديما والقاديانية حديثا ·

واما باتصالهم بالكنيسة والتبشير وببعض رجال المسيحية ، واعتناق بعض أقوالهم كالقول باللاهوت والناسوت واعتقاد بعض ما يعتقده النصارى ـ فى طبيعة المسيح عليه السلام ـ مع أن الاسلام يقرر أن المسيح (عبد) الله ورسوله ، ويعلن القرآن على لسانه : « **إني عبد الله آتانيَ الكتابَ** » · والقول بالحلول أو بوحدة الوجود يثبت اعتقاد النصارى فى طبيعة المسيح ·

واما بالاتصال بالاستعمار ، والتحالف مع بعض رجاله الظاهرين ، والعمل للوصول الى أغراضه ، وتنفيذ مشاريعه ·

ومن عادة الشهاب ـ وخصوصا ابن باديس رحمه الله ـ الا يتساهل فى الاتهام ، ولا يؤاخذ بالظنة · ولا يلقى الكلام على عواهنه ، ولا ينشر ما لا يملك

دليلا عليه ، أقله واهونه ان يصدر من جهة أخرى فينقله وينتظر التبرى منه ممن قيل فيه أو عنه . واعظمه ان يكون اعترافا صادرا من « القوم » أو من رجالاتهم ، ومن المعلوم ان سيد الادلة هو الاقرار والاعتراف .

وفيما يأتى نفصل بعض ما اجملنا ، ونذكر بعض ما اليه رمزنا .

الفصل الاول

الاتصال بالفرق المبتدعة

من هذه الفرق التى أشتد ضررها بالاسلام والمسلمين قديما وحديثا فرقة الباطنية وتاريخها معروف . ولقى من شرها شعبنا ما هو ثابت فى التاريخ أثناء حكمهم في الدولة العبيدية من نهاية القرن الثالث الى أواسط القرن الخامس ، اذ كان مذهبهم القول بالحلول ، وان الله قد حل بـ « أمامهم » تعالى الله علوا كبيرا :

لذلك فقد جمع فى (ذاته) النبوة و (الالوهية) واطلع على الغيوب ، والى ذلك يشير شاعرهم لما نزل امامهم المهدى (عبيد الله) بالقيروان ، وسكن (رقادة) مساكن الاغالبة :

حل برقادة المسيح ... حل بها آدم ونوح

حل بها (الله) ذو المعالى ... وكل ما سواه ريح !

وقد تحداه شاعر مسلم بلسان الشعب ففضحة وكشف جهلة وسخر منه سخرية مرة :

بالجور قد رضينا ... لا الكفر والحماقة

يا مدعى الغيوب ... من كاتب البطاقة ؟ !

ولم يعرف كاتب البطاقة فافتضح وأخزاه الله أمام المؤمنين به . ثم كانت عاقبة الحلوليين خسرا .

ومن ممثلى الباطنيين فى عصرنا فرقتان ـ أو ديانتان جديدتان قد تبرأ منهما المسلمون وأجمعوا على كفر أهلها ـ وهما البابية البهائية ، بفارس (إيران) والقاديانية أو الاحمدية بالهند والباكستان .

وكان اتصال القوم بهم ورميهم به نتيجة اعتراف (القوم) فقد نشرت عن ذلك مجلة (الشهاب) فى عددها 97 الصادر فى 17 ذى القعدة 1345 هـ الموافق 20 مايو 1927 م ، مقالا تحت عناوين باحرف غليظة جمعت بين آيات قرآنية ، وأمثال عربية ، ونصوص شعرية ثم شرح المقال بعض أقوال الباطنية ومزاعمهم ، وما لحق الاسلام من جراء باطلهم واعتناق « العليويين » لبعض اقوالهم ، ثم اعترافهم بالاتصال بمثلهم فى عصرنا واعتزازهم بهذا الاعتراف.

وان الاسلوب (العلمى) التاريخى الذى كتب به المقال ليومىء الى انه من انشاء صاحب الشهاب نفسه الاستاذ ابن باديس رحمه الله ، فانه فى مثل هذا الموقف يتقدم الى الميدان بنفسه . وقد امضاه بالحرف (ع) وهو اول حرف من اسمه .

وهذا نص المقال كما نشر مسبوقا بعناوينه :

« ربَّنا افتح بيننا وبين قومِنا بالحقّ وأنت خيرُ الفاتحينَ »

العليوية بالجزائر ـ أخت القاديانية بالهند

وشبه الشيء منجذب اليه .. (1)

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

شر الطوائف التى أصيب بها الاسلام من أوائل نهضته هى طائفة الباطنية الملاحدة الذين جاءوا بعقائدهم المجوسية والهندية .

وحملوا عليها مقتطعات من الآيات والاحاديث حملا تتبرأ منه العربية التى هى لغة القرآن وصاحب القرآن . وفهموا من تلك المقتطعات ـ بزعمهم ـ ما هو مضاد تمام المضادة لما فهمه أهل القرن الاول من الصحابة وهم العرب الاقحاح ، و « فقهاء الابرار ، والاتقياء الاطهار ، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ ونقل دينه ونشره بين الامم بالقول والعمل . وتعاموا عن مأخذ تلك المقتطعات من سوابقها ولواحقها وما طفحت به الشريعة

---

(1) صدر بيت لابى الطيب المتنبى وتمامه : واشبهنا بدنيانا الطغام . والطغام : ارذال الناس وأوغادهم وأوباشهم يقال للمفرد وللجمع .

كثرة من النصوص المحكمات فظلموا وألحدوا في ذلك الحمل وذلك الفهم ، وهذا الاقتطاع ٠

وزاد الى هذا كله ما جاءوا به من عند انفسهم من كلمات باطلة نسبوها الى النبيء عليه الصلاة والسلام ٠ ثم عملوا لترويج هذا الكفر الانكر ، والتزوير الاقذر بالتظاهر بسمة الصلاح والزهد والدعوة الى الخير ونشر الاسلام ، فراجت دعوتهم على العامة وعلى كثير ممن يعدون من الخاصة ، ولم ينج من فتنتهم الا الفقهاء بالسنة ، والبصراء بأحوال العمران ، والمتمسكون بهدى السلف في فهم النصوص والعمل بها ٠

وشر ما جاءت به هذه الطائفة من عقائدها الزائفة هي عقيدة **حلول الخالق في المخلوق ، ووحدة الوجود وأنه ما ثم الا شيء واحد ، هذه المرئيات مظاهره ٠ فلا خالق في الحقيقة ـ عندهم ـ ولا مخلوق ، ولا رب ولا مربوب ولا عابد ولا معبود ٠**

وهنا يسقطون التكاليف ، ويخلعون ربقة التشريع ولا يبقى عندهم معنى للدين وهذا عند كل مسلم ـ بأدنى تأمل ـ من الكفر الصراح المنافي للقطعيات الضروريات ٠

وهم لو ابتدأوا دعوتهم بهذا التصريح لقابلتهم عامة المسلمين بالاعراض بل ربما نالتهم بالضرب والتقتيل ، ولكنهم ـ لخبثهم ودهائهم ـ يبتدئون دعوتهم بتلقين ذكر سري ٠٠٠ **وحث على العبادة ومشاهدة الله ! ثم بالرقص الذي تتهيج فيه الاعصاب** وينفتح فيه الخيال ٠ **ثم بالخلوة والجوع والسهر فيها** حتى تتغلب عليه سوداؤه ويستولي على عقله وهمه وخياله فيخرج وهو يقول **انه لا يشهد الا الله ، وانه ما في الكون الا الله ، وان الله هو ، وانه هو الله الى هذيانات** لا تقبلها ملة ولا يصدقها عقل غير **ملة الحلولية** وعقل من قضى مدة تحت تأثير الاوهام **والمخدرات** (2) ٠

---

(2) بعد استقلال الجزائر ـ وفي الستينات ـ هاجمت الشرطة المركز الاكبر للقوم في مدينتهم واعتقلت بعض الاوروبيين والاوروبيات مشبوهين ومشبوهات وضبطت لديهم مخدرات ، واعتقل كبير القوم ، وكانت فضيحة كبرى ٠

هذه هى النحلة الحلولية التى جاء بها ابن عليوة ينشرها بين المسلمين بديوانه ، وهذه هى النحلة التى جاءت وزقة الحلوليين للدفاع عنها ·

ولقد كان في ديوان الضلال كفاية للدلالة على باطن هذه الطائفة وسوء التصوف ، والتمويه بالدفاع عنه لتغر العامة الجاهلين وتستهوى أفئدة الطلبة الجامدين ·

ولقد كان فى ديوان الصلاة كفاية للدلالة على باطن هذه الطائفة وسوء قصدها ، غير ما ابانه الكتاب من قبائحها وفضائحها ، لكن الله تعالى أراد أن يفضحها فضيحة من عنده على لسان جريدتها **فنشرت فى عددها الثامن عشر رسالة جاءت الى مديرها من معتمد الجمعية القاديانية بالهند ، تلك الجمعية التى تنتمي الى غلام أحمد الذى أدعى انه هو المسيح المنتظر ، وان الوحى نزل عليه بذلك ، وتناول القرآن بالتأويل الباطل والتحريف الجاهل** مثل فعل ابن عليوة فى تفسير سورة (والنجم) وغيرها ·

أرسل معتمد هذه الطريقة (3) رسالته مبتهجا بتلك الجريدة ، ونشرتها تلك الجريدة الحلولية فى صدرها مبتهجة بها ، فتعانقت الاختان ، واتحدت

---

(3) القاديانية ديانة جديدة كان الانقليز هم السبب فى انشائها كيدا للمسلمين وتفريقا لجمعهم وقد ضمن القدياني للانقليز اسقاط (الجهاد) من الاسلام ، وكانوا يعانون من تمسك المسلمين الهنود به الثورات المتوالية فى الهند اعظمها ثورة 1857 م ، التى زعزعت نفوذهم · وتوالت تحركات المسلمين ضدهم،وتزعم الحركات الوطنية رجالهم ، وتعاونوا ضد الانقليز مع الهندوس·

ولما اضطرت عام 1948 م ، الى التسليم باستقلال الهنود وانشاء دولتين فى الهند ، احداهما البكستان للمسلمين ـ حرصت ان يستلم القاديانيون مناصب هامة فى الدولة وفى الجيش · ولكن الشعب البكستانى تململ ، وثار ضدهم · ثم استطاع ان يتخلص منهم ·

وقد افتى علماؤهم بطردهم من جماعة المسلمين ، وباعتبارهم اقلية غير اسلامية يتمتعون بحقوق الاقليات ، لا بحقوق المواطنين حتى لا يتسربوا الى المناصب العليا ويكيدوا لدولة المسلمين ·

وقد افتى علماء رابطة العالم الاسلامى بمكة بانهم غير مسلمين ، كما افتى بذلك المجمع الفقهى وعلماء مصر والعالم الاسلامى ، واستند الجميع فى تكفيرهم على قولهم بنبوة غلام أحمد القاديانى ونزول الوحى عليه ، وبعدم ختم النبوة ، وبامكان استمرار ارسال الرسل · اثر هذه الفتاوى أقر البرلمان الباكستانى قانونا باخراج جماعتهم من المجتمع الاسلامى ، واعتبارهم من =

الطريقتان ، وما بقي علينا الا ان نعرف المسلمين بضلال هذه الطريقة القديانية الضالة أولا ـ ليعلم بالقطع ضلال العليوية اختها المبتهجة بها ٠ لان الضال لا يلتصق الا بمثله ، والشكل لا يحسن الا لشكله ٠

وثانيا : ليحذر اخواننا الجزائريون من غائلة القديانية التى أرادت أن تتخذ جريدة العليويين الحلوليين ركوبة لها تنشر عليها ضلالاتها فى القطر الجزائرى وموعدنا بذلك الاعداد الآتية والله المستعان » اهـ ٠

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »

ثانيا ـ العليوية بالجزائر ـ أخت القاديانية بالهند

وشبه الشيء منجذب اليه ..

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

الفصل الثانى

حقيقة القاديانية

عاد (الشهاب) الى هذا الموضوع فى العدد 99 الصادر فى 2 ذى الحجة 1345 هـ ـ 2 جوان 1927 م ، وتحت العناوين التى سبق ذكرها فى عدد 97 وهى المذكورة أعلاه ، قال:

« كنا وعدنا بنشر شيء عن حقيقة القاديانية الحلولية ليتقى الناس شرها ولا يغتروا بما تنشره لها جريدة هى اختها عندنا ، وليكونوا على علم من حقيقة هذه الاخت وغاياتها ٠

= أصحاب الاقليات الدينية في الباكستان كالنصارى واليهود والمجوس والهندوس، يحميهم القانون بمثل ما يحمى به هذه الطوائف ولكن لا حق لهم فى الاستيلاء على أهل مناصب الدولة ، لانها دولة اسلامية وعلى هذا الاساس انفصلت عن الهندوس ٠

ووفاء بذلك الوعد ننشر فى هذا العدد وتواليه مقتطفات من مجلة (المنار) بقلم صاحبها العلامة الاستاذ السيد رشيد رضا ، وقد كان السيد أول من فضح القاديانية ورد على صاحبها فى حياته ، وعلى أصحابه بعد وفاته فلفضيلته خبرة تامة بها .

نشرت فى ج 8 ، م 24 ، تحت عنوان (المسيحية الاسلامية القديانية الملقبة بالاحمدية .

« نجم بمصر هذه الايام قرن بدعة (ميرزا غلام أحمد القاديانى بعد ان كانت محصورة فى الهند ، ثم بثت دعوتها فى أوروبة والبلاد الامريكية فصارت كالبهائية ذات دعاة وأتباع يبثون تعاليمها فى رسائل يطبعونها ويوزعونها ومقالات ينشرونها .

كانت مسالة الاعتقاد بالمهدى المنتظر مثار فتن كثيرة وبدع كبيرة وسفك دماء غزيرة ، كانت آخر مظاهرها فى البلاد الافريقية مهدى السودان، وفى آسيا (الباب) الذى ظهر فى ايران (4) .

وكان امثال هؤلاء المبتدعين غافلين عن مسالة الاعتقاد بنزول المسيح على الارض فى آخر الزمن حتى قام بها البهائية ونظموا دعوتها وجعلوها قاعدة دعوتهم للنصارى ، كما كانوا جعلوا قاعدة دعوتهم للمسلمين مسالة المهدى المنتظر ولكل من الدعوتين عندهم درجات كسلفهم من باطنية الاسماعلية ... ولكنها مناسبة لحال هذا الزمان ، وآخر درجاتها دعوى الالوهية والربوبية لزعيمهم البهاء .

---

(4) آخر فتنة أثيرت هى التى اشتعلت يوم آخر ايام ذى الحجة 1399 هـ . بالمسجد الحرام ببطن مكة واستقبل بها هذا القرن الخامس عشر من الهجرة، واحتل فيها بيت الله الحرام ، وتعطلت فيه الجمعة والجماعة بضعة عشر يوما وقتل فيه عشرات من الانفس البريئة وتدخلت دول اسلامية . بجيوشها لاخمادها . وبهذا الباطل حاول معتوه زعم بانه « المهدى المنتظر » أن يبدأ عهده الذى سيملأ الدنيا عدلا بعد ان ملئت جورا ووجد من يصدق ويطلق الرصاص على المسلمين فى المسجد الحرام ! وكان ذلك بعد نشر هذا المقال بـ 54 عاما .

ثم ظهر ميرزا غلام أحمد القادياني فى الهند ، فادعى انه هو المسيح المنتظر وان **الوحى نزل عليه** بذلك ، وقد رددنا عليه فى عصره ورد علينا ، وهجانا فى مصنف خاص أملاه عليه وحيه الشيطانى ، وكان من وحيه هذا ان صاحب المنار « سيهزم فلا يرى » ولو نزل بنا قضاء الله تعالى بموت أو بنكبة يبطل بها المنار لكان ذلك أكبر فتن اتباعه الاغرار ولكن ظهور الكذب والخذلان مما ينساه أو لا يراه امثال هؤلاء العميان ٠

ضل كثير من المسلمين بدعوتى البهائية والقاديانية ، فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة لهما فى الهند وايران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها وقد كان حسين ، روحى أفندى البهائى أمين معتمدها فى الحجاز منذ بدء الثورة الحجازية ٠

وقد كنا نظن أن بدعة القاديانية لا تتجاوز بعد موته ما نسخه من أحكام الشريعة وأهمها « وجوب الجهاد » ثم علمنا انهم يدعون استمرار الوحى والنبوة فى اتباعه وقد نشروا فى هذه الايام رسالة مطبوعة فى الدعوة الى دينهم المسيحى الاسلامى ، وضعها بالانقليزية ميرزا بشير الدين محمود أحمد زعيم الحركة الاحمدية من قاديان ـ بنجاب ـ بلاد الهند وترجمها بالعربية الرحالة عبد المجيد كامل صاحب (رحلة فى بلاد الناس) وطبع على نفقة الحركة الاحمدية بمصر ٠

أصل ارتدادهم عن الاسلام :

موضوع الرسالة (الصلاة عند الاسلام) وصلاتهم صلاة المسلمين فى الصورة وانما تخالفها فى المعنى والعقيدة ، فقد علق واضع الرسالة على تفسير « **صراط الذين انعمت عليهم** » تعليقا صرح فيه بأصل ارتدادهم عن الاسلام (5) ٠

وهذا نصه :

ملحوظة ـ لقد وضع كل دين من الاديان المتبعة نموذجا خصوصيا ، ولا شك أن أفضل تلك النماذج هو ما وضعه الاسلام ٠ ان هذا الدعاء لارشاد

---

(5) يعنى الاستاذ محمد رشيد رضا : **بأصل ارتدادهم** قولهم باستمرار الوحى وعدم ختم النبوة ، وأن ميرزا أحمد غلام يوحى اليه ، وان من بعده يمكن ان يوحى اليهم ٠ ومن اعتقد هذا فهو مرتد عن الاسلام ٠

المسلم بان يتوسل الى الله ان ينعم عليه بمثل ما انعم به على أولئك المنعم عليهم الذين قيل عنهم فى موضع آخر من القرآن ما يفهم منه انهم أصحاب النبىء والصديقون والشهداء والصالحون . وقيل فى موضع آخر :

« **واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين** » .

وجاء فى آية أخرى ان الذين انعم الله عليهم انما هم الانبياء (6) .

فالنبوة اذا هى أسمى المراتب التى يتطلع اليها المسلم ، لذلك ابتهل الى الله سبحانه وتعالى ان يحشره فى زمرة الانبياء ، وهو نموذج لم ينسج على منواله دين من الاديان على الاطلاق ، بل جميعها **سدت طريق الوحي الإلهي في وجود العالم** ، فالدين الاسلامى وحده هو الذى يرشد تابعيه الى **ان طريق الوحي لا يمكن ان يسد في وجوه الناس** اذ ان الله الذى خاطب الناس وقتا ما لم يكف على هداية شعبه ومخاطبته .

ان هذا النموذج فضلا عن كونه ناف (؟) الاستحالة فانه يفتح أمام ذوى القلوب الظاهرة طرق النجاح التى لا نهاية لها ، ويرسم طريق السعى للاتصال بالله خالق الاكوان ومنبع كل قوة ومحبة .

ولقد أنبأنا النبىء الاقدس صلى الله عليه وسلم أحد اعاظم أولئك الذين أنعم الله عليهم واسمه « **المهدى** » **والمسيح** فهو يدعى « المهدى » لانه يهدى مسلمى وقته الذين انغمسوا فى الخطايا ونسوا أوامر الدين الاسلامى حتى لم يعد فى أقوالهم وأفعالهم أثر لجمال الايمان . وسمى المسيح لانه يتم النبوات المختصة بعودته .

---

(6) علق المنار هنا ــ ونقله الشهاب بقوله : « يعنى بهذه الآيات قوله تعالى في سورة مريم : « **أولئك الذين أنعم عليهم من النبيئين من ذرية آدم** » الخ . وهي لا تدل لغة على ما ذكره من حصر المنعم عليهم فى الانبياء ، ولو دلت على ذلك لكانت معارضة لغيرها من الآيات التى ذكرها أو أشار اليها ، ولكن هؤلاء اعاجم لم يتقنوا اللغة العربية فجهلهم به كجهل مسيحهم » اهـ ــ يعنى بمسيحهم القاديانى ، مسيحهم في زعمه وزعمهم ، ولم يكن جهلهم هو الذى دعاهم الى ما فعلوه فقط ، وانما حربهم للاسلام وكيدهم له وللمسلمين فهم يحرفون ويستبلهون المغفلين والبله .

ولقد ظهـر ذلك الذات فى الهنـد وبمحل يقال له (قاديان) (7) ، وفى ظرف ثلاثين عامة من حياته الرسولية فى دعائم الاسلام بمعجزات جديدة مـن عند الله وقد يوجد الآن آلاف من حوارييه يستمعون الوحى الالهى ٠

ولقد عاش عيشة ملؤها الهداية الروحية بين أشياعه الذين فازوا فـوزا مبينا باتجاه العالم اليهم ، فهناك الشيخ (فاتـح محمد سيـال) وحضرة (عبد الرحمن نيار) يبشر بالاسلام فى انقلترا ، ومفتى (محمد الصادق) فى أمريكا ، فلا غرو أن اعلام الناس به من الممكن الحصول على الوحى فى أى وقت ، وقد كان من الاخبار السارة التى تدعو الى تشجيع المسلم الحقيقى فى كل آن ، وتعد قياسا للحكم بين الاديان المختلفة ٠

ان الدين الصحيح الحى لهو الذى لا يخلو من الثمر ابدا ولا ثمرة للدين الا الاتصال بالله وهذا لا يمكن ان يكون الا بالوحى ، وليس الاسلام كغيره من الاديان التى تتمشى باتباعها الى احط الدرجات بل هو يسمو بتابعيه الى أعلى ذروة الخيال الذى يمكن ان يصل اليه فكر الانسان ، وعلى ذلك فهو وحيد الاديان الذى يشفى غلة الطبيعة البشرية وان أكبر حجة يتمسك بها الملحد ضد جميع الاديان انما هى قوله انه اذا كان هناك اله كما يدعون فلماذا لا يظهر بنفسه للناس ؟ اما هذا الاعتراض فلا يمكن ان يوجه الى الاسلام الذى لا يعتمد فى براهينه على القصص الماضية بل يعلن بان هناك رجال (؟) **حتى الآن يوحى اليهم** علمهم (الزعيم الروحى) ومهدى هذا الزمان) اهـ ٠ الى هنا انتهى المقال الثانى وهو منقول عن المنار فالقاديانية مرتدون عن الاسلام بزعمهم استمرار الوحى بعد ختم الرسالة ٠ و « القوم » يقولون ان الله يظهر لعباده فى أكوانه اذ ما فى الكون الا الله !

وفى العدد 103 من الشهاب الصادر فى 30 ذى الحجة 1345 هـ ، الموافق 30 جوان 1927 م ، نشرت الحلقة الثالثة مسبوقة بالآية : « **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** » ٠

وهو منقول عن المنار أيضا وبعنوان واحد وهذا نصه :

---

(7) توجد هذه القرية ـ اليوم ـ فى الاتحاد الهندى ، وهى عند القاديانيـة مقدسة يحجون اليها ويدبرون مكائدهم فيها ، وهم يوجدون بالهند والباكستان وبافريقيا الشرقية والغربية ، وباوروبا وأمريكا ، وحيثما وجدوا فهم متعاونون مع الانقليز ومع دويلة اسرائيل ٠

الفصـــل الثـــالث

بقـــايـــا البـاطنيـة

لا يزال القراء على ذكر مما نشرناه فى بعض الأجزاء السابقة عن الطريـق القاديانية بالهند وعقيدتها الحلولية نقلا عن مجلة (المنار) الكبرى ٠

تلك الطريقة التى نشرت الجريدة العليوية مقالا لاحد دعاتها مبتهجة به ، مظهرة تمام السرور بتوطيد العلاقات بينها وبين حزبه ٠

واليوم ننقل رد المنار على القاديانى الدجال ، وبعد ذلك سنعرض للكتب المنسوبة لشيخ العليويين وننشر منها على القراء نبذا تكشف عن عقيدته وحقيقة أمره غير معتمدين فى ذلك الا طريق البحث والاستدلال (8) ٠

قال المنار :

« ان بـين مسيح الهند الدجال وبـين (باب) ايران شبها فكـل منهما كان مصابا بجنون الهوس الدينى حتى لا يبعد ان يكون معتقدا لما ادعـــاه ، وفى ان تأثيره كان محصورا فى الاعاجم : اذ تصدى كل منهما لتأويل القرآن والاحاديث بجرأة وجهل واسراف فى الكلام ، فافتتن بهما بعض جهلة الاعاجم اذ صدقوا انهما بالالهام والوحى أمكنهما ان يجولا تلك الجولات الواسعة فى كيان الله عز وجل ٠

ولو كانوا يفهمون العربية لسخروا من هوسهما ووحيهما الشيطانى ٠ وكان القاديانى أعلم بالعربية وآدابها من (باب) فهو قد عنى بفنونها وآدابها

---

(8) نلاحظ اننا ـ بمراجعة اعداد الشهاب الموالية لهذا العدد لم تجد وفـاء بما وعد به ٠ ولعله سكت عنهم لانهم أوقفوا ـ على الاقل فى الظاهر ـ اتصالهم بالقاديانية ، اذ لم يصرح أحد ـ من بعد ـ انهم نشروا فى جريدتهم شيئا عنهم أو لهم فى جريدتهم ، بعد هذه الهجمة الموفقة ٠ ولعل الباعث على السكوت هو ان نشر هذه النبذ مما يشيع قولا فاحشا فى حق الله وحق رسوله ٠ ومن شك فى ذلك فليراجع قولهم فى العشق ـ مثلا قصيدة الشيخ فى (ليلى) ـ وقد يكون الشهاب رجا ارعواءهم وفيئهم الى أمر الله ، لكنهم لم يفيئوا حتى الآن وجعلوا ينشرون كتب امامهم ٠

لهذا وفينا بما وعد به الشيخ ابن باديس ، ونشرنا فى هذا الكتاب نصوصا من شعرهم ومن نشر امامهم الشيخ ابن عليوه ، فاطلبه فى غير هذا المكان ٠

كل العناية فكان يحفظ مقامات الحريرى ، والمعلقات السبع وكثيرا من المنظوم والمنثور ، ولكنه على هذا كله لم يحصل على ملكة الأعراب ، ولا ذوق الآداب فيها فكان كثير اللحن والغلط فيما يقول ويكتب وكثير الخطأ والشطط فيما يفسر به الكلام · وكان لصا جريئا على السرقة ليمزج شعره ونثره بما يحفظه بعينه أو بتغييره ما فيه ، فكان أتباعه يخدعون الأعاجم بذلك ·

وتجرأ هو على دعوى إعجاز كلامه كالقرآن العزيز ، ولذلك عظم عليه الأمر عندما قلت فى ردي على كتابه « إعجاز احمدى » انه كثير اللحن والغلط واللغو الذى لا يفهم له معنى صحيح فى هذه اللغة · وألف كتابا خاصا فى الشكوى والتبرم من ردى ظهر فيه من ضعف نفسه واضطراب حدسه ما يدل على انه مخذول لا مؤيد عن الله تعالى · ولولا تناقض هؤلاء الموسوسين لعدوا هذا دليلا على انه متعمد لقول الزور ، غير مخدوع بنفسه ولا مغرور فقد عهد مثل هذا التناقض من امثاله :

سوري مغرور يدعي النبوة :

ادعى رجل سوري النبوة وجاء ليظهر نبوته فى مصر ، فلما بلغ بور سعيد أرسل منها برقيات الى الخديوى ، ولورد كرومر ، ورئيس النظام ، ورئيس تحرير الأهرام وصاحب المنار يبشرهم بوقت تشريفه عاصمة ملكه ·

وكان يتردد علي ويقول : « انك تكون مني كأبي بكر من النبيء صلى الله عليه وسلم » ثم كان يقبل يدي أحيانا ويتذلل لى لأساعده على إظهار دعوته ·

مثال ذلك أنه ترجع عنه ان يستبدل الاستانة بالقاهرة فكلفنى ان أكلم رؤوف باشا المعتمد العثمانى بان يطلب له من الدولة اسطولا أو باخرة حربية لأجل نقله الى الاستانة قلت له : انى ان اطلب هذا من رؤوف باشا يعتقد اننى سلبت عقلي ، ولو طلب هو هذا من الاستانة يعتقدون انه جن ، ويستبدلون به غيره،واما أنت فيمكنك ان تدفع تهمة الجنون عن نفسك بمعجزة تظهرها للباشا ان كنت نبيا كما تقول » ·

قلت : ان هؤلاء قد ضلوا بجهل العربية ، وهذا شاهد قطعى على وجوب هذه اللغة على كل مسلم ، فاذا كان من ادعى أنه المسيح المؤيد بالاعجاز فى كتبه يزعم ان البسملة تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى مسيحيته

هو فلا عجب ان ادعى هو واتباعه أن قوله تعالى : « **إهدِنا الصراطَ المستقيم صراط الذين أَنعمتَ عليهم** » يدل على طلب النبوة بدليل ان المنعم عليهم « انما هم الانبياء » ! فعلى هذا يكون المفروض على كل مسلم أن يطلب من الله تعالى فى كل ركعة من صلاته ان يجعله نبيا ليوحى اليه ! !

هذا الفهم الذى جاءنا من هؤلاء الاعاجم قد فات الصحابة والتابعين من العرب الخلص ومواليهم ، وفات جميع واضعى فنون هذه اللغة لضبط ألفاظها ومعانيها وفلسفتها وآدابها وأسرار بلاغتها ، وجميع من فسر القرآن من السلف والخلف ، حتى قام بعض اعاجم الهند فى القرن الرابع عشر يزعمون انه أصل الاسلام وركنه الاعظم الذى امتاز به على جميع الاديان !!!

لقد كنت اظن ان ضلال هؤلاء المسيحيين القاديانيين قد وقف عند حد لا يتجاوزه : هو دعوى ظهور المسيح والمهدى المنتظرين وان هذه الدعوى ستموت ويخجل أهلها منها بظهور كذب مسيحهم فى دعواه انه ابطل الحرب والجهاد من الارض ، واستبدل بهما السلم العام وقد ادعى البهائية عين هذه الدعوى ، اذ كان كل منهما يتوهم ان أوروبة تبنت ذلك ٠

تكذيب أوروبا للدينين الجديدين

ثم كذبت أوروبة الدينين الجديدين بحرب طرابلس الغرب ، وحرب البلقان ثم بالحرب العامة ولم يسبق لها نظير فى تاريخ العالم باتساع شرها وعظائم ضرها (9) ٠

ولكن ظهور كذب دعوى البها والقاديانى لا يرجع من قلدوهم تقليدا اصم أعمى ، كما ان تكذيب السواد الاعظم من المسلمين والنصارى لدعواهم لم يمنعهما من الاصرار على ادعاء هداية أهل الدينيين وتغيير حال الارض ٠ اهـ ٠ كلام صاحب المنار » ٠ اهـ

هذا ما جاء فى الشهاب فى موضوع الاتصال بالمبتدعة ٠

---

(9) كتب هذا المقال عام 1345 هـ (1927 م) ثم قامت الحرب العالمية الثانية فانست بفظائعها وضحاياها أهوال ما وقع فى الاولى ٠

ونلاحظ ان العليويين سكتوا فلم يتبرءوا من تهمة الاتصال بالقاديانية ـ كما شهد عليهم الاستاذ محمد سعيد الزاهرى ـ كما انهم لم يدافعوا عن (أصحابهم) القاديانيين ·

والحق اننا بمراجعة اشعارهم وأقوالهم المسجلة والمنشورة نجد نفس ما يدعيه القاديانية من استمرار الوحي اليهم واتصالهم ـ مباشرة ـ بذات الرحمن وتلقى القرآن منه أو من اللوح المحفوظ ، وقد استعمل فى اشعارهم نفس لفظة الوحى بل ادعى شيخهم بان العارف لا يسمع الا كلام الله ! فالصلة المبدئية لا شك فيها ـ واما الاتصال بالمراسلات ونشر المقالات فالظن فيهم انهم اغتروا بثناء جاءهم من (الشرق) فحسبوه من اخوان مسلمين فنشروه وهم يجهلون حقيقتهم ، ولو عرفوهم على حقيقتهم ونكرانهم لختم الرسالة لتنكروا لهم فهذا هو الظن بهم ·

وما زال أكثرنا يهتم أعظم الاهتمام بكل ما يأتى من (الشرق) ، ويسلم له ويحتقر بضاعة الوطن ولو فاقت وراقت ! ويعرض عنها ·

☆

البـاب الثـانى

الاتصال برجـال الكنيسة

التهمة بالاتصال برجال الكنيسة واعتناق آراء شبيهة بـرأيهم فى طبيعة المسيح ـ عليه السلام ، ونيل الرضى ـ بهذا ـ من فرنسا وحكامها ـ مما كان يتهم به القوم ، وشيوخهم ، كان هذا قبل الاستقلال ، وظهرت علامات له حتى بعد الاستقلال .

ان هذه التهم من اشنع ما كان يرمي به « القوم » وما انتشر عنهـم فى المجتمعات والجرائد ، ولم تكن التهمة اعتباطا ومجرد اشاعة ، وانما كان عليها ادلة ، وشهد بها شهود لم يكونوا من الخصوم ، وانما كانوا من المحبين ، ولم يريدوا بهم شرا وانما أرادوا بها لهم خيرا ، فكان من الواجب الاهتمام بهـا لانها تمس الصالح العام .

الفصـــل الأول

المجلة الأهلية تفضح الاتصال

من هذه الشهادات ما نشرته مجلة فرنسية اللسان هى (المجلة الاهلية) فى عدد نوفمبر ـ ديسمبر 1927 م ، بقلم صحافى ينشر بها تحقيقات هو :

ج. هبروسبت بيرابيس .

وقد ترجم المقال الاديب الكبير الاستاذ عبد الرحمن حساني ـ وكان يتقن اللغتين العربية والفرنسية ، ويشتغل بالترجمة مقسما على الأمانة فى النقل ـ

وباعثه على الترجمة المصلحة العامة ومعرفة ما يقولون عنا ، ولذلك نشره الشهاب وقال في تقديمه (بعث الينا بهذا المقال الأديب السيد عبد الرحمن حساني ورغب منا ان ننشره في باب (ذكر الرجال بالأعمال) فنشرناه حسب رغبته) •

والأديب المذكور من خريجي - مدرسة الشيخ ابن باديس ونبغاء طلبته، وكان من أوائل المشتغلين بالتجول باسم الشهاب والكاتبين فيه ، وهو من عائلة كريمة في مدينة (قالمة) تخرج أخ له من الأزهر ، واضطهد بعد رجوعه• وكان أخوه السيد عبد الله حساني عمدة الحركة الاصلاحية في مدينة قالمة ورئيس شعبة جمعية العلماء بعد تأسسها ، ونعم المدرب لشبيبتها ، لقيته عام 1937 م ، وتعلمت منه بعض تجاريب الحياة •

نشرت ترجمة المقال في عدد الشهاب 142 الصادر يوم الخميس 21 شوال 1346 هـ - الموافق 12 أبريل 1928 م • وهذا نصه بعنوان كاتبه :

ذكر الرجال بالأعمال :

الشيخ سي أحمد بن عليوة
- المرابط العصري وصديق فرنسا -

كنا طلبنا - في محادثة سابقة ان تقلد المدام (أوريلى التيجانى AURÉLIE TIDJANY) وسام الشرف فهى أيم الاخوين رئيسى الطريقة التيجانية الموالية لفرنسا ، تلك الطريقة التى جندت لفرنسا زمن الحرب جيوشا متطوعين • وهى المرأة التى أعطت للاستعمار المئات هكتارات من الارض ، وأدارت أعمال رئيسى الطريقة) ومن جاء بعدهم ادارة عادت بالنفع الجسيم على الدولة •

واليوم بعد الاياب من الجولة التى جعلناها بقصد دراسة أحوال القطر الجزائرى يجب علينا ان نثنى على همة **الزعيم الديني لكبير محب التقدم وصديق فرنسا الشيخ سي أحمد بن عليوة المستغانمي** •

فهذا العالم الروحي العظيم يبث فى أتباعه - وهم يفوقون المائتى الف فى سوريا ، واليمن ، ومصر ، وطرابلس ، وتونس، والجزائر، والمغرب (10)

---

(10) مثل هذا العدد مبالغ فيه ولا شك ، وهو من تهويل الدعاية العليوية لبيان أهمية الطريقة وانتشارها •

ـ حب بلادنا (فرنسا) على قلة المرابطين المسلمين الذين يؤيدون فرنسا (11) بتأثيرهم الادبى · فلا غرابة اذا نحن مدحنا كل من كان مواليا لسياستنا ·

وهذا الشيخ ابن عليوة من أصل وضيع ، قضى أعواما طوالا فى دراسة العلوم العربية بالقاهرة ومكـة وسوريا (12)،ولمـا آب الى الديـار الجزائرية لم يكن يبث فى أتباعه روح التعصب بل كان هو المثال الاعلى للتسامح ·

وان نظرة واحدة فى حال الشيخ تدلنا على سعة فكره وفسحة صـــدره فهو يدارس قسيسا كاثوليكيا بجيرفيل (البيض ـ وهران) **ويبحث معه فى الوسائل السهلة الاستعمال لمزج أرواح المسلمين وارادتهم بأرواح المسيحيين وارادتهـــم ·**

إعجابه بالمسيح وبالإنجيل

وهو معروف لدينا بشديد اعجابه بالمسيح والانجيل (13) · وهذا ما أخذه عليه المتحمسون الاقدمون المتعصبون · وهو لا يشتغـــل بالسياسة (14)

---

(11) لم يكونوا قلة وخصوصا فى المغرب والجزائر وتونس ، ولا يعتبر ابن عليوة شيئا مذكورا بجانب عبد الحى الكتانى بالمغرب ، الذى كان يأمـر وينهى فينفذ مراده ·

(12) وهذه مبالغة فى اثبات درجة الشيخ العلمية ، وهو نفسه يحقرها ويدعى هو وأتباعه ان علمه (لدنى) لم يكتسبه بالدراسة وانما تلقاه (وحيا) من الله مباشرة كما هو موجود فى كتابه فى التفسير ومن نص كلامه نفسه ·

(13) كل مسلم لا يصح منه الاسلام الا اذا آمن بالمسيح عليه السلام انـــه عبد الله ورسوله أنزل عليه الانجيل فبلغه ، وأحل لبنى اسرائيـــل بعض ما حرم عليهم فى التوراة · لكننا نختلف مع النصارى الكاثوليك وغيرهم فى طبيعة المسيح فهو عندهم اله ، أو جزء من اله ولا يقبلون بحال أن يعترفوا أنه (عبد الله) ويسهل عند معتقد الحلول أو وحدة الوجود ان يستسيغ بعض معتقداتهم اذا كان يعتقد أنه هو نفسه الله ، وليس سواه · وأبعد الناس عن التعصب علماء المسلمين حقا،فالله عندهم كرّم بني آدم وأوجب الحق والعدل والاحسان ·

(14) اذا كان يدعو أن يكون حب فرنسا من الدين ، ويرضى ما تعامل بـــه المسلمين من قهر وظلم واضطهاد فهو محمود ، لا يشتغل بالسياسة · أما اذا كان يضـــع فى صدر صحيفته الحق والعدل والمآخاة فى اعطـاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات فهو مشتغل بالسياسة وتجب مضايقته · هـذا هـو منطق الفرنسيين وسياستهم · وهـو الـذى أدى الى طردهم شر طـردة والحمد للـه ·

ويحرر صحيفة عربية الغرض منها تلقين العامة الثقافة الروحية ، وهى تطبع بمطبعة مستغانم تحت اسم التقدم الجزائرى (15) ·

ودعاية الشيخ تعتنى بتقريب المعارف لاذهان البسطاء ، وحركته تمتد فى الاوساط الفقيرة والاوساط العاملة وهو يقبل أحيانـــا الهدايا (ولكن شيء مستغرب من مرابط لا يطلب الزيارة) · وهو يعيش من ايراد املاكه البسيطة ومن انتاج الخاصة نقية لا يسلك فيها طرق البذخ ، بل يأثر الزهادة ·

وناهيك بزاوية مستغانم فهى مضاءة بالكهرباء ، وفيها تلقى دروس علمية بالاساليب الحديثة ، وعلى اللوحة السوداء ، لا ترى بالزاوية أثر البـــذخ ، ولا الابهة ، وهى مبنية بايدى اتباعه الحازمين ، ولقد ابتعد الشيخ عن فخفخة سابقيه من المرابطين ، وأراد ان تكون زاويته مفيدة وبسيطة جدا ·

وابن عليوة هو الشيخ الوحيد الذى أسس زاوية بفرنسا وله فيها قاعة للصلاة واجتماع اخوانه بباريس فى شازع سان جرمان عدد 26 ·

وبالزاوية مقدم وبعض اتباع الشيخ المخلصين كان التاثير الشافى عـلى قسط وافر من العمال المسلمين المنتشرين فى الدائرة الباريسية ينتشلونهـم من شرور الكحول والفجور ·

وبالقطر الجزائرى توصل الاخوان العليويون ان يهذبوا جما غفيرا من برابرة القبائل والبيبان ، وبابور ، وبثوا روح الاستقامة فى كثير من سراق المواشي قبلا ، وكسروا شرة نفوس أولئك الافراد الذين كانت تدب جنادح شرهـــم سابقـــا ·

استحقاقـه للمكافـــاة :

واينما كان العليويون يقل عدد السارقين من الاهالى واخيرا فان اتبـاع ابن عليوة يضايقون الطريقة الرحمانية ببلاد القبائل ، تلك الطريقة الـتى

---

(15) علـق الشهاب هنا يقوله : البلاغ هـى صحيفة الشيخ ابن عليوة اما التقدم فانها ل : م. بنتامي اهـ · ولم تكن سياسته مرضية وهو الذى قدم جريدة « البرق » للمحاكمة وطالب بارجاع قانون (لانديجينا) ، وكانت « التقدم » على صلة حسنة بالعليويين ، وسيئة بالمصلحين ·

تبث دعاية ذات شبهة · ولا يخفى ان الطريقة الرحمانية فى فرعها الممتد ببلاد القبائل كانت افتضحت بأعمالها فى الفتن والثورات المستعرة ضد فرنسا (16)

فنظرا من هاته الوجهة **يجب على الولاية العامة بالقطر الجزائرى ان تجل اخوان ابن عليوة وتحترمهم** · ولكن بعض الشيوخ من الطرق الاخرى العتيقة يفترون على العليوية ويبثون أكاذيبهم فى الاوساط الاهلية ، وذلك حسدا للرجال الذين يستقلون عن سلطتهم الروحية وينزعون طاعتهم عن رقابهم ·

يتعين اذا أن نعرف قراء «المجلة الاهلية» بالمرابط المستغانمى وبمرمى عمله.

ان فرقة الاشراف تنعى على ابن عليوة كونه ليس من أصل قرشى وتسخر به انه كان حذاء ولكن غاب عن ذهنهم ان السلاطين لم يكونوا قرشيين ، وتاريخ الفلسفة الاوروبية يعد حذاء فيلسوفا روحيا عبقريا وهو جاكوب بوهان (17) ·

---

(16) كانت الطريقة الرحمانية فى بلاد القبائل تقوم بدور هام فى نشر الثقافة الاسلامية العربية والمحافظة عليها ، وكان لبعض زواياها نظام جمهورى بأتم معنى الكلمة حيث يتولى الطلبة شؤون تعليمهم وغذائهم تحت اشراف علماء الشريعة الذين يحصلون على علمهم بالدراسة الطويلة والاجتهاد الكبير ، وفيهم علماء كبار درسوا القرآن رواية ودراية وكتب الفقه والتفسير والحديث والعربية : النحو والصرف والادب ، والفلسفة الاسلامية : المنطق والتوحيد ، والرياضيات من حساب وهندسة وميقات الخ · وقد أشار الى اسماء بعضهم العلامة الشيخ أبو يعلى الزواوى فى بعض مقالاته ــ وهو منهم فهؤلاء لا يقبلون قطعا دجل ابن عليوة ودعاويه التى على رأسها ان علمه علم أهل الحقيقة ، لا ينال بالاكتساب وانما ينال بالرياضة والوحي ! لهذا انضم أكثر علماء القبائل الى الحركة الاصلاحية وأيدوها وكانوا مع الثورات الاسلامية التى رفع أهلها السلاح ، وهذا ما يشكو منه هذا الكاتب · والطريقة الرحمانية أو (الخلوتية) هى أوسع الطرق انتشارا بالشرق الجزائرى والشمال ، وربما تكون أكثر الطرق اتباعا وهذه شهادة تشرفها ولا تشرف من سيقت له وكان للشيخ ابن باديس ــ فى أول أمره اتصال بـ « اخوانها » يريد ــ بلا شك ــ أن يؤثر فيهم ويكتسبهم ، وهذا ما لم يفهمه بعضهم ، ومن أهم معاهدها العلمية أيضا معهد الهامل ، ومعهد طولقه ، ومعهد وادى سقان لكنها لا تشارك فى الثورات ·

(17) لم يحتقر المسلمون أحدا منهم لمهنته أو ضعة أصله، ان أبا حنيفة كان بزازا وهو أكبر أئمتهم المجتهدين ، وكان كبار العلماء من المسلمين ذوى مهن واحتراف · ولكن ابن عليوة لم يكن فى كبار العلماء ، وانما كان يزعم ان له علما لم يكتسبه ، وانه به يتقدم على غيره ، وانه بحث عن نفسه فوجد نفسه هو الله ، وليس سواه ! تعالى الله ·

اطراء بمعلومات فاسدة :

والفضل يثبت لابن عليوة ـ وهو من أصل وضيع ـ بدأ دراسة العلـوم الادبية والكلامية والرياضية وهو اذ ذاك فى العقد الرابع من عمره وقضى عشر سنوات حتى برز فيها (18) ·

والغوغاء تتناقل اساطير عن الشيخ مكذوبة · ومن ذلك انه كالحلاج الذى مرق ببغداد يقول : انه هو الحق ، وانه يرى اتباعه مناظر سحرية ··· الخ·

ولكن استفدنا من الارشادات التى اعطيت لنا من أوروبيين عاشوا فى كنف الشيخ وصادقهم وصادقوه ان ما يقال عليه محض خرافة أجاد صوغها الخيال الشرقي ·

ابن عليوة مسلم متسامح روحي سني تلقى مبادئه من الشاذلية ، وعـلى الخصوص استاذه الشيخ حمو المدعو أيضا السيد محمد البوزيدي الصوفي المشهـــور ·

ثـم ان الشيخ ابن عليوة صوفي عقيدته ، روحية تواترت عـن علي صهـر النبي وهو : كل شيء من الله ، ويعود الى الله ، ولا موجد فى الحقيقة إلا الله·

وهى عقيدة الأساتذة الروحيين المشهورين فى الاسلام مثل محيى الدين ابن عربي الذى استقى من مؤلفاته (دانت) وكأمثال الغزالي (19) ·

يقول الشيخ ابن عليوة ان الانسان الهى بروحه يجب عليه ان يظهر هذه الشعلة الربانية التى كثيرا ما يدنسها العقـل بالمادة وهى عقيدة المسيحيين من قبل ، من دولا كروا والقديسة تيريز ·

---

(18) هذه دعوى لا برهان عليها ولا يعترف العليويون ان علمه مكتسب !

(19) علق المترجم على كلمة (دانت) بقوله : عالم روحى طاليانى ألف كتابه المشهور (الكوميديا الالهية) ويقال انه انشأها على اثر قراءته ترجمة رسالـة الغفران للمعرى) اهـ · ثم ان مذهب وحدة الوجود من المذاهب المبتدعة ، وهو أجنبى عن الاسلام كفر العلماء معتقديه ولا تصح روايته عن علي كرم الله وجهه فضلا عن وصول الرواية الى حد التواتر،واذا جاز ان تجوز على هذا (الصحافي) هذه الخرافة فيجعل هذا المذهب عقيدة الروحيين المشهورين فانها لا تـروج عـلى العارفين بالاسلام ، وبمذاهبه وعلمائه · واذا كان ابن عـربى حقا مـن أصحاب مذهب وحدة الوجود فان الغزالى حجة الاسلام من علماء الاشاعرة ولم يعده احد من أصحاب الحلول ·

وابن عليوة ـ كجميع المعلمين الروحيين يريد ان يوقظ القلوب ، ويقود الارواح فى الطريق المستقيم ، يقول بوحدانية الله ، وبالاخوة الصادقة بين الناس ، يأمل ان يشاطره أشقياء العالم وضعافه احساساته وتهيجاته الحادثة من حياته الروحية الداخلية وهو ليس بجاهل متبلد ، فان كتبه تشع روحا رفيعة وهى مكتوبة بأسلوب جلي كما اعترفت له بذلك مجلة العالم الاسلامى .

ولقد وشى بابن عليوة المفاتى وسكان مدينة الجزائر واتهموه بالميل الى الشيوعية وهذا كله ليبغضوه للسلطة الفرنسية .

ونحن نعلم ان الطريقة العليوية تقول بوجود الطبقات **وتدعو الى الطاعة لاولى الامر الشرعيين** (20) والى احترام العوائد والقوانين وتنهى عن كل ضغط **وتأمر بالاستسلام** .

وان ادارة الشؤون الاهلية تحققت منذ زمن قديم ان هذه التخرصات وأمثالها فى حق الشيخ ابن عليوة محض سخافة ، **وهى ترتاح للاجتماع الذى يعقده الشيخ ابن عليوة لاخوانه بالجزائر فى شهر أكتوبر من كل سنة** ، وفى ذلك الاجتماع يجرى البحث فى المسائل الدينية والادبية والاخلاقية باللغة العربية ونالفرنسية ، ولا زالت الجرائد العربية والفرنسية تعطينا تفاصيل عن ذلك الاجتماع .

وجميع الزائرين الذين لهم اهتمام بالمسائل الاجتماعية يعلمون ما قدمنا ولقد رأينا من المحتم ان نفصله للجالية المعمرة .

ان انشاء طريقة فى القرن العشرين **تحت رئاسة مرابط عصرى محب للرقى ولفرنسا قادر على خدمة قضيتها الكبرى خدمة جليلة** من ائتلاف العنصر الاسلامى بالفرنسى فى امكانه ان يرقى مستوى الاهالى الادبى **وان يجتث منها الاهواء السيئة والاغراءات الشريرة** ، ان انشاء طريقة هذه حالها ليعد حادثا ذا أهمية عظيمة .

---

(20) هذه شهادة رائعة فى حقهم ! ان يعتبروا سلطة فرنسا سلطة شرعية ومع ذلك فهو يقول : انهم لا يشتغلون بالسياسة ! شهادة لا تعد لها شهادة : محب لفرنسا قادر على خدمتها ، يجتث الاهواء السياسية من شعبه ، والاغراءات الشريرة ! وما هى ؟ كالدعوة للثورة والاستقلال مثلا ! أليس ذلك شرا عندهم ؟!

وبقدر ما نسلق بألسنة حداد المرابطين ذوى الاغراض السيئة مثل سى عزيز رئيس الثوار فى عام 1871 يجب علينا ان نشجع ونؤيد الحركة التى يقوم بها المرابطون المحبون للخير الاذكياء مثل ابن عليوة فهم ـ اذا احسن استعمال تاثيرهم ـ خير اعوان عاملين فى سبيل الترقى الادبى فى الاوساط الاهلية وفى سبيل المسلمين فى افريقيا الشمالية .

ج . هـ . بروبست بيرابين

عن المجلة الاهلية ، عدد نوفمبر ـ ديسمبر 1927 م .

الفصل الثانى

أصحيح هذا أم باطل أم مبالغ فيه ؟

قد يتساءل المرء ـ بعد قراءة هذا المقال للمجلة الاهلية ، عما ورد فيه : أصحيح هو أم باطل أم فيه مبالغات ؟

والذى يظهر للباحث المنصف ان فيه صحيحا واضحا وفيه باطلا فاضحا ، وفيه ما يحتاج الى توضيح ممن تناوله الكلام . وتصحيح بالنفى أو الاثبات فهل وقع شئ منه ؟

أول ما نلاحظه على كلام المجلة الاهلية أنه رفع درجة الشيخ العلمية فادعى انه «قضى أعواما طوالا فى دراسة العلوم العربية بالقاهرة ومكة وسوريا» وانه « بدأ دراسة العلوم الادبية والكلامية والرياضية،وهو اذ ذاك فى العقد الرابع من عمره،وقضى عشر سنوات حتى برز » .

ان صحافيا آخر من الفرنسيين ـ هو محرر الديبيش القسنطينية ـ نسب اليه ما يشبه هذا،وجعل مدة الطلب ثلاث سنوات فقط،ولكنه حصر طلبه (العلم) فى نوع خاص منه .

والذين كتبوا عن الشيخ من الجزائريين ، وعرفوا حياته فرووها ـ سواء منهم المريدون والاصدقاء المعجبون أو الخصوم المعادون ـ لا يلصقون بالشيخ مثل هذه (التهمة)،تهمة رسوخ قدمه فى العلم !

وهي نقطة الضعف فيه يسترها محبوه ، ومقتل من مقاتله يأتيه منه خصومه .

فالشيخ سعيد الزاهرى يعلن انه يعرفه شخصيا ويعلم عنه انه يكاد يكون أميا ، لا يتصور منه ان يؤلف فى تفسير القرآن،كما نشر عنه انه ألف تفسير سورة « والنجم » فوقع فى كلامه من مذاهب النصرانية ما يؤاخذ به . ونسب الشيخ الزاهري تأليف ذلك التفسير الى حركة التبشير ، ودسته على الشيخ تدليسا على المسلمين،وإن ما صدر عن الشيخ من أشعار فى الديوان ، ومن شرح لمتن (المرشد المعين) ليؤيد ما ذهب اليه الزاهري من قصوره فى التاليف وضعف منزلته فى العلم .

وحتى من شهدوا له من الأنصار والمحايدين فى كتاب «الشهائد والفتاوى» لم نجد أحدا منهم أشاد برحلاته العلمية ، ودرجته السامية ، وانما شهدوا له بصحة عقيدته ، واجتهاده فى العبادة والذكر ، واحسانه فى التربية والسلوك لمريديه . ولو كانت له رحلات الى المعاهد الاسلامية العالمية ، الخاصة منها أو العامة فى عواصم البلاد الاسلامية لنوهوا بها ، وأشادوا بذكرها .

وقد صرح المترجمون له ان ما عنده من علم لم يكن باكتساب وتحصيل ، وانما كان بفيض من الله على قلبه من العلم « اللدنى » الباطنى .

وهذا ما أشار اليه الاستاذ الطاهر برقة فى مقدمة لكتاب « البحر المسجور فى تفسير القرآن بمحض النور » جاء فى مقدمة الاستاذ برقة ان « سر الحقيقة فى القرآن كما تتجلى فى قلوب أهل العرفان (21) ، ولا يتوصل اليها الا الراسخون فى العلم من عباد الرحمن الذين **امدهم بفيض من بحر القرآن** بعد تحققهم فى مقام الاحسان،**أولئك الخواص المحمديون الموسومون** فى الآية الكريمة بقوله : « **فوجداً عبداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عندِنا وعلَّمناه من لدنَّا علمًا** » **ذلك العلم الذى اخذ منه الأستاذ قبساً لعلكم تسطلون بنوره (22)** .

---

(21) كتاب منسوب الى الشيخ ابن عليوة قال انه أملاه على كاتبه السيد صالح التلمساني الذى فرغ من كتابته بخطه عام 1934 وطبع بمطبعة العليوية فى مستغانم عام 1982 م .

(22) مقدمة الكتاب المذكور ب الصفحة الاولى تحت عنوان « مقدمة التفسير »

وهو ما يؤخذ أيضا من قول هذا الاستاذ في مقدمة الطبعة الاخيرة من ديوان الشيخ الصادرة في مستغانم عام 1982 م ، محتجا على ان علمه فيض من العلم « اللدني » بقوله تعالى : « **سنُريهم آياتِنا في الآفاق وفي أنفُسِهم حتى يتبينَ لهم انه الحقُّ** » (23) ·

واصرح من هذا ما جاء في مقدمة التفسير المومىء اليه منسوبا الى الشيخ نفسه بأن له حظا وافرا من هذا العلم الفيضى اذ يقول : « **والحمد لله اطلعني الله على البعض من جواهره** » (24) ، ويقول في الذى يتلقى القرآن ببصيرته : « يراه الآن ينزل به **الروحُ الأمين** ، واذا قرأه يقرأه **من إمام مبين** ، وأعظمهم درجة من تلقاه **من ارحم الراحمين ، وقليلٌ ماَ هُمْ** ، ولا تستبعد ذلك فان الكلام كلام الله (25) ·

وهذا كلام في درجة عظيمة من الخطورة ، لانه يحذف واسطة النبىء (ص) في تبليغ القرآن ، وانما وصل الينا القرآن بتبليغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه يجعل درجة أعظم هؤلاء فوق درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقرأه من اللوح المحفوظ « من امام مبين » أو يتلقاه ـ مباشرة ـ من الرحمن الرحيم في زعمه !

ان القرآن الكريم انما جاءنا بواسطة رسول الله بلغه اليه جبريل الامين رسول الوحي من الله الى عباده المرسلين.يقول الله تعالى : « **وإنه لَتنزيلُ ربِّ العالمين نَزَلَ به الروحُ الأمينُ على قلبِكَ لتكونَ مـن المنذِرينَ ، بلسانٍ عـربيٍّ مبينٍ ، وانه لِفي زُبُرِ الأولـين** » فالرسول انما تلقاه ولم يقرأه في اللـوح المحفوظ ، وقد قال له الملك في غار حراء : « اقرأ ، فقال ما بقارى اى لا احسن القراءة ، ولم تكن أميته قادحا في رسالته بل كانت آية صدقه الكبرى ·

ولما كان الصحافي الفرنسي يكتب بعقلية قومه الاوروبية التى لا تتصور « عالما » كبيرا ، له تأثير ساحق على مئات الالوف ـ في زعمه وزعم أصحابه ـ فانه اخترع له دراسة طويلة ، ورحلة دامت في عواصم الاسلام عشر سنين ! فلعل هذا من باطل ما جاء في المقال ·

(23) مقدمة الديوان ·
(24) مقدمة التفسير ، ص 20 ·
(25) مقدمة التفسير ، ص 18 ·

ومن الملاحظ أيضا ان صاحب المقال اعتبر ما نسب الى الشيخ ـ من القول بمذهب الحلاج فى الحلول ، وانه يرى اتباعه مناظر سحرية ـ من قبيل الاساطير المكذوبة التى تناقلتها الغوغاء ، واستشهد على بطلانها بما اعطى له من ارشادات من أوروبيين عاشوا فى كنف الشيخ . وانها خرافات أجاد صوغها الخيال الشرقى .

وهذا دفاع باطل ، وكان بامكانه ـ لو لم يكن متحيزا ـ أن يتحقق صحته أو فساده ويبرهن عليه ، لكن غرضه ان يبرر حصول الشيخ واتباعه على مكافأة فرنسا ودولتها .

ان القول بالحلول ـ كقول الحلاج أو أكثر كالقول بوحدة الوجود ـ ثابت شائع فى كلام الشيخ واشعاره التى كانت رائجة فى الاسواق ، ومنها البيت الشهير :

فتشت عليك يالله لقيت روحي أنا الله

رواه الشهاب فى كلمته الصريحة .

ولنفرض ان هذا البيت ـ الذى شهد بوجوده فى الديوان المطبوع بتونس عام 1920 م ، شهود كثير لا يتطرق الى عدالتهم فى الرواية شك كالشيخ ابن باديس ، والشيخ العقبى وجلة من علماء المغرب وكتاب الجزائر ومنهم السيد توفيق المدنى ـ على حد قوله ان صح ـ وهو من أرأف الناس بالشيخ ـ لنفرض انه لم يقله لعدم وجوده اليوم فى ديوانه ـ فان فى هذا الديوان ـ الذى طبع اليوم خمس مرات ـ كثيرا من مزاعم الحلاج واقواله ، ومنها قوله الشهير : « ما فى الجبة الا الله » يعنى انه « هو الله » .

وفى مثل هذا يقول ابن عليوة فى الديوان ـ وهو موجود فيه حتى الآن : « سره فى جمعنا ـ خمره فى كاسنا ـ علمه فى نطقنا ـ تالله لسنا سواه » (26)

ويقول فى نفس هذه القصيدة :

من زالت عنه الستور لا يرى ما سوى الله

(26) الديوان ، ص 18 .

واما قضية المناظر السحرية، فانها نتيجة « الخلوة العليوية » التى لا ينكرها هو ولا مريدوه ، بل يعتبرونها من لوازم بلوغ درجة الكشف عندهم وارتفاع الحجب والوصول الى علم الغيب والبرهان على القبول . وقد شهدت بوجودها مقالات المشائخ المنتقدين ، ومنهم الشيخ العربى التبسى الذى انكر شرعيتها ، وطالب بالبرهان عليها ، وقد وجد من يجادله منهم ويحاول ان يجعل لها سندا، ونشر جداله فى جريدتهم .

فدفاع الصحافى عنه بانكار هذا لا يجديه ولا يدفعه عنه . وقد نسب اليه الصحافى أقوال الصوفية القائلين بوحدة الوجود كمحي الدين ابن عــربي وأمثاله من كبار علماء الروح كما قال .

وقال عنــه : « ان عقيدته أن الانسان إلهـي.بـروحه .. وهـى عقيـدة المسيحيين من قبل من جان دولاكروا والقديسة تيريز » وانه **يدارس قسيسا كاثوليكيا بيجبريفيل ويبحث معه في الوسائل السهلة الاستعمال لمزج أرواح المسلمين وارادتهم بأرواح المسيحيين وارادتهم** وهو معروف لدينا بشدة أعجابه بالمسيح والانجيل ... » .

هذه الاقوال مدحه بها، لكن الشيخ يتضرر من صدقها اذا صدقت.وقد أثبتت ذلك جريدة (البلاغ) وشكت منه ، وكان قد صدر من الاستاذ الزاهري اتهام بشبهها وقدم له سؤالا يطلب الجواب منه ، غير ان الشيخ ومريديه أبــوا ان ينطقوا بما يفيد البراءة أو الاثبات رغم إلحاح الخصوم فى طلب الجواب .

وانما انتقدوا (الشهاب) انتقادا مرا لانه نقل هذا المقال عن (المجلـــة الاهلية) واتهموه بانه يحاول ان يشوه سمعة الشيخ واتباعه ، وكما جاء فى المقال بقلم الصحافى الفرنسى ـ انه مستخدم للحكومة ، وانه وضيع الاصل ، وانه غير سالم العقيدة .

وقد أجاب الشهاب عن النقطة الاخيرة ـ وهى عدم سلامة العقيدة بقوله : « اذاً،فقد أدرك هذا الكاتب أن ما فى تلك المقالة ليس من سلامة العقيدة ، واذا كان من حقه أن يسعى لدى جناب الشيخ فى نفي ذلك وتكذيبه والبراءة منه ، وكنا نحن ننشر ذلك فى صفحات الشهاب خدمة للحقيقة وحبا بانصاف .

واذا كان قصر هو ـ يعنى الكاتب ـ فى ذلك فنحن ندعوه اليه ونحثه عليه ، فاننا لا نحب ان يبقى ذلك الذى اعترف الكاتب أنه ليس من سلامة العقيدة ملصقا برجل من عامة المسلمين فضلا عمن كان بمنزلة جناب الشيخ ـ ها نحن بالانتظار ـ اهـ · وطال الانتظار ·

الفصل الثالث

سكوت مريب

وقد كان ابن باديس وغيره فى انتظار مثل هذا التكذيب ، ولكنهم لحقوا جميعا بربهم ولم يقع ، ذلك لان التهمة به واقعية ، والصحافى الفرنسى كتب فى ذلك عن علم ومعرفة مما يعتقده مفيدا للشيخ وطائفته عند قومه ودولته · ومن قبله وجه الصحافى الجزائرى الشيخ سعيد الزاهرى سؤالا الى جريدة البلاغ موضوعه يشبه ما نسب الى الشيخ من طرف المجلة الاهلية ونصه : « لماذا فسر شيخها العليوى سورة والنجم بتعاليم يسوع المسيح عليه الصلاة والسلام وبما جاء فى الاناجيل ولم يفسرها بآيات القرآن الحكيم ولا بسنة النبىء عليه الصلاة والسلام » ولم يتلق جوابا عن هذا السؤال الذى شهد ابن باديس بانه :

« سؤال علمى بحت،نرى حقا على الشيخ ان يجيب عنه ، وانتظرنا ذلك الجواب من حضرته راجين من ورائه فتح مناظرات علمية تفيد القراء وتكشف الحجاب لكل جانب عن قصد الآخر وتقرب أسباب المفاهمة وتظهر مكانة الشيخ للناس · هذا ما كنا ننتظر ولكن ـ ويا للاسف ـ لم يكن شىء من هذا،فان الرصيفة لم تنشر كلمة واحدة عن هذا السؤال بل نشرت فى مفردات اسبوعها تشبه الزاهري بالكلب والتعريض له بالقذف · (الشهاب عدد 144) ·

أما الزاهري فقد القى السؤال لإثبات تهمة الاتصال بالمبشرين والتآمر معهم ، وفى ذلك يقول عن السؤال الموجه الى البلاغ :

« سألتها هذا السؤال لأنى أعتقد أن مبشرا مسيحيا من المبشرين بـ : « ابن الله » قد كتب هذا التفسير ثم أخرجه للناس باسم الشيخ ابن عليوة الطرقي العصري ليفسد على المسلمين دينهم الحنيف · ذلك أن هذا التفسير

مكتوب بقلم مسيحى لا شك فيه وذلك بانى أعرف الشيخ ابن عليوة معرفة شخصية وأعرف انه لا يقرأ ولا يكتب الا قليلا فيبعد عندى ان يكون من رجال التأليف والتفسير ، وقد كنت أتمنى ان لو كذبت البلاغ نسبة هذا التفسير الى شيخها فتكون برأت نفسها وطائفتها من الدعوة « المسيحية الاسلامية » ونزهت شيخها من ان يكون ـ بين المسلمين ـ مبشرا من المبشرين بالمسيح « ابن الله » ولكنها مع الاسف لم تتبرأ من هذا كله وسكتت عنه ، والسكوت قد يكون رضى واعترافا كما سكتت ولم تتبرأ من قبل من جمعية المسيح أحمد القاديانى » (27)

وقد انكر ابن باديس على الزاهرى رميهم بالتبشير المسيحى ، ولعل مراد الزاهرى المبالغة فى الاثارة ليعلنوا براءتهم من الاتصال بالقس والمبشرين ، والتأثر بأقوال مسيحية تقرب فى اعتقادهم بين المسيحية والاسلام كما ترغب فى ذلك الحكومة الفرنسية والكنيسة وبعض الصحافيين ولكن لم يقع جواب ·

براعة ابن باديس فى رد الكيد :

وقبل أن أختم هذا النص أنبه الى عبقرية ابن باديس رحمه الله فى رد كيد الكائدين فى نحورهم فى براعة لا نظير لها ·

ففى المقال المترجم **شهادة من الصحافي الفرنسي ومن الصحيفة الفرنسية** بان ابن عليوة كان فى **خدمة الحكومة وعونها** ، وهذا مما يعلي درجته ويسارع فى استحقاقه المكافأة عنده وعندهم ·

ولكن الامر ليس كذلك عند الشعب ، فان كل قريب من الحكومة بعيد منه، ولهذا كان هذا (الاتهام) المضى من كاتب فرنسى من باب « **وشهِد شاهدٌ من أهلها** » ·

وقد تنبهت الى ذلك صحيفة البلاغ فكان أول ما آخذت به الشهاب ـ مع ان الكلام ليس كلامه ـ بانه يريد ان يشوه سمعة جناب الشيخ بانه « مستخدم للحكومة » ·

هذه تهمة خطيرة فى تلك الايام ـ يمكن اذا ثبت على الشهاب ـ بانه ضد من يستخدم فى الحكومة ويعد ذلك سبة فيه ـ قد تسبب له اضرارا فادحة منها ان يعطل ·

(27) الشهاب ، عدد 138 ، الصادر فى 9 رمضان 1346 هـ ـ 1 مارس 1928 م

فكيف أجاب ؟ انه قلب الامر على الخصم فقال عن كاتب البلاغ :

« ثم عد مما يشوه سمعة جناب الشيخ أنه مستخدم للحكومة ! واعجبا لهذا الكاتب ! كيف يعتقد أن خدمة الحكومة تشوه سمعة صاحبها ؟ فهل هذا هو رأيه في جميع المستخدمين ؟ (عدد 144 من الشهاب) ٠

هذه بلا شك ـ براعة نادرة في قلب التهمة ورد الكيد،اما ان يعترف الكاتب أو ينكـر ٠

الفصـل الـرابع

حقيقة شعوره نحو « مستخدم » الحكومة

قد يتطلع القارىء الى معرفة حقيقة شعور ابن باديس نحو من يستعمـل الدين لخدمة حكومة فرنسا التي تسلطت على وطنه وعملت بكل قواها لقهـر أمته وخراب دينه ، وأنا لا أبخل عليه بما يعرفه بحقيقة الامر ٠

لقد أخذ عليه العهد استاذه ومربيه الشيخ حمدان الونيسي الا يقبل وظيفة من الحكومة وان لا يجعل علمه سلما لخدمة الوظيفة ، لما في ذلك من معاونتها وفقدان حرية التعبير ومداهنة المستعمر فضلا عن « خدمته » وهذا ما كان يؤمن به ويعمل لغرسه في تلاميذه ٠

وذلك أنـه لـما شغر منصب الافتاء في مدينة سطيف واستعدت الادارة لاجراء امتحان لعمارته ـ زينت النفس الأمارة بالسوء لأحد كبار تلاميذ الشيخ محمد البشير الابراهيمي النجباء وأحد أركان الاصلاح في مدينته ان يشارك في الامتحان فاستعد له ، وقدم طلبا ـ ولو فعل لحصل عليه لا محالة اذا كانت الكفاءة العلمية هي الحكم وهو الكفء لها ٠

ولكن ظهر له ـ في آخر لحظة ـ ان يعرض الامر على الشيخ عبد الحميـد ابن باديس ويستشيره فيه ، فذهب اليه وشرح له الامر ، وطلب منه ان يبدى له ما عنده ٠ فأجاب به جوابا غليظا تركه مبهورا اذ قال له ما فحـواه : « لان

تتكسب بحماية مومس خير لك من التكسب بمثل هذه الوظيفة» أو قال له اذهب وافعل ذلك خير لك . فكان ما سمعه كلمة الفصل (28) ·

واشتغل بعمل تجاري بارك الله له فيه ، واستمر فى عمله الاصلاحي فاحتل مكان قيادة الحركة فى مدينته ، وبلغ الذروة فى القيادة الشعبية بعد الاستقلال ، وما زال ــ والحمد لله ــ حيا يرزق (29) ·

من هذا نعلم شعوره الحقيقى نحو من يسخر دينه لخدمة عدو دينه وشعبه ، وانما أراد بما قاله لكاتب البلاغ رد الكيد فى نحره !

(28 ــ 29) هذا الشيخ هــو صديقنا الاستاذ المطاعى « مزعاش الطيب » ، وكنت قد كتبت من الذاكرة الحادثة ثم لقيته يوم 30 مايو 1983 م فأكد لى ذلك وقال : « فاجأنى الشيخ بهذه الكلمة ، وكنت أعدها كبيرة جدا لما عندى له من الاحترام » وبارك الله للشيخ المطاعى ، وقام فى مدينة سطيف بأعمال عظيمة قبل الثورة ثم هاجر الى تونس لما عزموا على اغتياله ، ثم انتخب بعد الاستقلال شيخا للمدينة فى السبعينات تحت راية الجمهورية الجزائرية · وما يزال فى خدمتها عزيزا ·

الباب الثالث

الاتصال بالادارة الفرنسية الاستعمارية
والتعاون معها

لم يكن الامر ـ فى الحقيقة ـ يختص بالطريقة العليوية وحدها وانما كان خطة سياسية انتهجتها الادارة الفرنسية ، وعملت لإدراكها ٠ وان كانت لم تبلغ مع الطرق ـ عموما ـ ما بلغته مع هذه الطريقة بالخصوص فى محاولة التفاهم (الروحي) بين المسيحية فى طبيعة المسيح عليه السلام،وبين الاسلام عند القائلين بالحلول ووحدة الوجود ٠

الفصل الأول

هذا التعاون قديم من عهد روش

فى عام 1938 م ، نشرت جريدة (البوبولير) الباريسية لسان حال الحزب الاشتراكى آنذاك مقالا ـ عربته مجلة « الشهاب » ونشر تحت عنوان : ما يقولون عنا ـ جاء فيه ان الجنرال بيجو هو الذى خطط لاستخدام الاسلام لفائدة فرنسا بعد ان رأى أن المقاومة الشعبية ما تزال متأججة باسم الدين ، ويرفع رآياتها مشائخ الطرق ، ومنهم الأمير عبد القادر الذى كان أبوه محي الدين شيخ طريقة ، فقررت فرنسا ان تحتال فى جعل سلطتها من سلطة الدين ، ونجحت فى الموضوع ايما نجاح ٠ «ويوجد نص هذا المقال فى مكان آخر من هذا الكتاب»

ويؤيد هذا قصة جاسوسها الكبير (ليون روش) واعترافه الذى سجله فى كتاب ألفه تحت عنوان (ثلاثون سنة فى الاسلام) وقد نشر مقال عن ليون روش

وكتابه فى مجلة إلفتح القاهرية ونقلته عنها جريدة (الشهاب) فى عددها 161 الصادر عام 1928 وقدمت به بكلمة ذكرت فيها أسباب اقدامها على نقلـــه ٠ ومنها (ما فيه من شهادته على شيوخ الطرقيين) ٠

لقد جاء في اعتراف ليون روش قوله :

« اعتنقت الاسلام زمنا طويلا لأدخل عند الامير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسا ، وقد نجحت الحيلة،فوثق بي الامير وثوقا تاما واتخذني سكرتيرا له» (1)

ثم ذكر انه استطاع ان يتصل بالعلماء (شيوخ مشائخ الطرق) فى الجزائر وتونس ، ومصر ، والحجاز ، وان يسخر بعضهم لخدمة فرنسا وختم كلامـه باعرابه عن احتقارهم واشمئزازه من خيانتهم دينهم فقال :

« ان الاسلام دين المحامد والفضائل ، ولو انه وجد رجالا يعلمونه للناس حق التعليم ، ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمـــين واسبقهم فى كل الميادين ٠

ولكن وجد بينهم شيوخ يحرفون كلمه ، ويمسخون جماله . ويدخلون عليه ما ليس منه ٠

واني تمكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ فى القيروان والاسكندرية ، ومكة،فكتبوا الى المسلمين فى الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين ، وبأن لا ينزعوا الى الثورة ، وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس ، وكل ذلك لـم يكلفني غير بعض الآنية الذهبية » اهـ ٠ لم يكفهم ـ لشقائهم ـ ان يخونوا دينهم حتى قبضوا ثمن الخيانة ثمنا زهيدا من آنية الذهب وهى حرام استعمالها فى دينهـــم ٠

والحق ان تعميم هذا الحكم فى كل العلماء أو مشائخ الطرق لا يصح ، فقد أفتى علماء المغرب ـ كالشيخ التسولى وغيره ـ بوجوب استمرار الجهاد وبارتداد المتعاونين مع الفرنسيين ، كما رفع راية الجهاد عند كل ثورة كثير من هـــؤلاء المشائخ ، ومنهم الشيخ بلحداد وابنه الشيخ عزيز المساعد الأيمن للمقراني رحمهم الله ٠ وقد استحق الشيخ عزيز ذم المجلة الأهلية !

---

(1) ما زال المسلمون يؤتون من هذا الباب ، فقد بلـغ الانقليزى عبد اللـه فليبى منزلة عظيمة عند بعض ملوكهم ، وخدعهم لورانس بلباسه العربى ٠

غير أنها بقيت خطة تلجأ اليها فرنسا وتعتمد عليها ، وانتفعت بها كثيرا كما صرح بذلك صحافي فرنسي • يعتب على دولته في استمـــرار دعمها **لهـؤلاء** (الخلفاء) اذ يقول صاحب جريدة (لوكري مروكان) في **عددها 214** الصادر في 23 جويلية 1927 م ، « نعم نحن لا نكذب في **ان تلك القوة كانت لنا عونا فيما سلف** أما الآن فغايتها مقصورة على اسعباد الشعب وتضليل افكـــاره بالخرافات المنافية لروح القرآن » •

ولم يكف المتعاونين مع الفرنسيين منهم وساطتهم في **اقناع الشعـــب** بالاستسلام والخضوع بفتاوى شرعية كما صنعوا في عهد (ليون روش) لان الشعب لا يثق بهم في الموضوع ولا يجوز عليه ان ينصح **الفرنسيون لهم في** دينهم أو دنياهم ولكنهم **تسفلوا الى الوشاية** بمن يحاولون النهوض بالمسلمين، ويعملون لإنقاذ الاسلام من الدجل والخرافات والعقائد الزائفة **الملصقة به** •

يقول الأستاذ اليزيدي ـ من كتاب المغرب الاقصى في مقال له نشر بالشهاب عدد 90 الصادر 27 أكتوبر 1345 هـ (31 فيفرى 1927 م) :

نفور الشعب من العملاء :

ان أرباب الطرق عندما يذهبون الى تلك القبائل **يحذرون كل الحـذر ان يواجهوها بمدح الحماية** ، اذ انهم لو باحوا بذلك لفر منهم البرابر ، ولما حصلوا على مرغوبهم،وهو كما لا يخفى ملء كيوسهم ذهبا أو فضة ••• » •

ويقول (مسلم غيور) يظهر انه الكاتب الكبير محمد غازي **في مقال له نشر** في (الشهاب) عدد 80 ـ 1345 هـ (1927 م) **هذا نصه** :

« كان قطرنا المغربي آخر من تأثر بالأفكار الحرة السلمية،فنبع **فيه أفراد** يعدون على الأصابع زاحموا إخوانهم على أنهار الصحف والمجلات،**فقامت قيامـة** الدجالين من المشائخ،وأبرقوا،وأرعدوا،وهرعوا للوسوسة **التي هي ســـلاح العاجـزين** •

افسحت هذه المجلة ـ يعني مجلة الشهاب ـ لبعض الشبيبة الفاسية فنشروا على اعمدتها ما عن لهم نشره مما لا يخرج عن بيان حقيقة الديـن الاسلامي ، وشرح المفاسد التي انجرت له من رؤساء وأرباب الزوايا فرأى هؤلاء ان البلاء قد حاق بهم من كل جانب **فوسوسوا للحكومة ما وسوسوا مما اضطـر ادارة**

الاستعلامات الى التوجه من وراء أفراد بعض الشبيبة » ... الخ . ثم يقول :
« هذا آخر سهم فى كنانة الطرقيين المشعوذين رمى به كبيرهم فى هذه العاصمة » .

ويعنى بالعاصمة مدينة فاس ، وبكبيرهم عبد الحي الكتانى، عميد مشائخ الطرق لا في المغرب وحده ولكن فى كامل افريقيا الشمالية، وكان هذا الرجل بالمرصاد لكل نهضة سياسية أو دينية حتى انتهى به الامر الى التآمر ضد السلطان محمد الخامس رحمه الله ، وفى الجزائر حاولت فرنسا به ان تكون قوة دينية رهيبة ، فجاءت به ونصبته على رأسها لتقوم بحرب الحركة الاصلاحية والنهضة الدينية وجاءت به الى مؤتمر اسلامى وقع بتونس عام 1949 م ، وحضرت لقاء مع باى تونس وسمعت تطفلا منه لدى الباى ـ وكان محمد الامين رحمه الله فزجره زجرا عنيفا (2) .

ولقد الحقوا ـ في ظنهم ـ ضررا بليغا بالاستاذ محمد غازى الذى اشتكى منهم فى الكلمة السالفة ، وفضحهم فضيحة كبيرة فى مقال علمى بديع نشرته الشهاب له بعنوان « لا تخف انك أنت الاعلى » يخاطب فيه ابن باديس بمناسبة العدوان عليه . والمقال منشور فى القسم الرابع .

وكان الاستاذ محمد غازى يتولى ادارة المدرسة الناصرية بعاصمة فاس . فاستعمل عبد الحى نفوذه ، وأخرجه من الادارة ، بل نفاه من مدينة فاس . ولم يكن قد مر من الزمن ـ على نشر مقاله ـ وقت طويل فقد نشرت الشهاب فى عددها 99 الصادر فى 2 ـ 12 ـ 1345 هـ الموافق 2 ـ 6 ـ 1927 م نبأ ما أصاب الاستاذ من شرهم تحت عنوان : « ما زادوه الا شرفا » .

« تحقق عندنا أن الاستاذ السيد محمد غازى صرفه مؤسسو المدرسة الناصرية بفاس عن ادارتها **وسعى بعضهم عند الادارة فى نفيه فضغطت عليه الادارة ونفته الى بلده مكناس (3) .**

---

(2) اثناء المقابلة أخذ عبد الحي يثنى على بعض شيوخ تونس من المقربين اليه والى حكومة الحماية المغضوب عليهم من الباى ومن تونس فقال له : « نحن أدرى برجال بلادنا ـ سيادتك تعرف رجال بلادك ، واحنا نعرف رجال بلادنا » فبهت .

(3) المراد بالادارة هنا حكومة فرنسا في المغرب ، والمسيرون لها . وكثيرا ما=

ان قراء الشهاب لا يزالون على ذكر من مقالته الرنانة فى الدعوة الى الحق والارشاد والى سبيل الدين الصحيح والعمل على الاصلاح الدينى الذى هو الشرط الاصلى لتقدم المسلمين فى العلم والمدنية والعمران فيسوؤهم جدا ان يعامل مثل هذه المعاملة **وان كانت ما زادته الا شرفا ...**

... فمن العجب المؤسف ان يكون فى بعض رجال الادارة هناك من يسمع فيهم لاقوال قوم لهم مصالح حيوية فى جهل العامة وجمودها ، وهم لذلك أبغض الناس فيمن يحارب الجهل والجمود سواء كان عربيا أو فرنسا ..» اهـ

وقد امتدت عداوة العليويين للشهاب وحزبه من الجزائر الى تونس والمغرب ، واذا كانوا بتونس ليس لهم نفوذ فى الدوائر العليا ، فان لهم فى المغرب نفوذا وأى نفوذ بعدد العليويين الموجودين بكثرة فى المغرب ، وبحلفائهم الدرقاويين وهم منهم .

لهذا تابعوا مساعيهم فى تنظيم صفوفهم ، ومحاربة (الشهاب) وحزبه بالجزائر وبالمغرب ، واستطاعوا ان يقنعوا الادارة الفرنسية بالاضرار التى تحدثها مجلة الشهاب ، وبـ (التخريب) الذى يصيبهم من جراء كتابه حتى توصلوا الى استصدار أمر بمنعه من دخول المغرب كل ذلك كان بمساعيهم وتأثير زعيمهم الاكبر عبد الحى ، وكان فرح العليويين بنجاح سعيهم لا يوصف فارسلوا الى مدير الشهاب برقية عاجلة (يبشرونه) فيها بمنعه من دخول المغرب . وقد نشر الخبر والتعليق عليه فى العدد 104 تحت عنوان : « شماتة كاذبة وسعاية خائبة » .

= يعبر الشهاب اذا أراد أن يشتم فرنسا ـ بكلمة الادارة حتى لا يقع تحت طائلة قانون سب فرنسا ، وعقاب ذلك شديد عسير على من يتهم بعداوتها أو يثبت عليه سبها !

الفصــل الثــانى

نجاحهم فى منع الشهاب من دخول المغرب

جاءتنا برقية هذا نصها مترجمة :

« الجزائر عــدد 12001 17 21 8 38 أقــدم لكم تهنئتى بتحجير دخــول جريدتكم (الشهاب) الى المغرب الاقصى » ٠

الامضاء (بلاغى)

وقد علق الشهاب على هذه البرقية بقوله :

« لا ريب ان اظهار الشماتة بهذه اللهجة التهكمية لا تكون من رجل شريف وما كان غير الشريف ليصدق ٠

فبادرنا بارسال برقية لاحــد أصدقائنا نستجلى منــه حقيقة الخبر فجاءنا منه الكتاب الآتى :

مجادة الاديب المحترم ناصر الملة والدين سيدى أحمد بوشمال ٠ بعد السلام

أزف الى مسامعكم أنى تلقيت رسالتكم البرقية سائلا عــن منــع الشهاب الدخول الى الايالة السعيدة ، وحيث ان المسألة محتاجة الى تفسير طويل فقــد اخترت الجواب عنها بكتاب عوضا عن التليغراف ٠

ان مجلة الشهاب غــير ممنوعة الدخول حيث انــه لم يبرز فى شانها ظهير رسمى من قبل مولانا السلطان ولا قرار حربى من قبل سيادة رئيس القوات الحربية ٠ وانما هــى **تحت مــراقبة ادارة الاستعلامات التى لا تسوغ تفريقها وبيعها قبل مطالعة جميع فصولها** ٠ وبسبب ذلك صارت ربما تتأخر فى الادارة اياما معدودات ٠

والحامل للسادة الحكام عــلى ذلك هــى الحملة التى أقامتها بعض الجرائد الفرنسية بالمغرب ضدها وضد جريدة (البرق) متهمة لهما بضدية الحكومة الفرنسية ٠٠٠ **والقائم بــذلك هــو بعض الطرقيــين** لا السادات الفرنسيون أنفسهم وهم معذورون فيما يفعلون لان شيطنة أعداء الدين يهولون لهم المسألة ويظهرونها لهم على غير مظهرها الحقيقى ٠٠٠ » ٠

وفى تعليق الشهاب الاخير يقول :

« ··· ولينظر القــراء ـ بانصاف وتجرد ـ كيف يسلك رؤساء الطرقيين ضد اخوانهم الاصلاحيين طريق السعاية الكاذبة التى تؤدى ـ اذا لم يلقها حاكم بصير متثبت ـ الى الضرر الفادح فى النفوس والاموال والاعراض · وليصدروا بعد ذلك حكمهم على هؤلاء الشيوخ المقدسين ··· » ·

هــذا مــا كنــا نتــوقع

ولكن المخبر (البلاغى) الذى أرسل البرقية السالف ذكرها كان ـ مـع الاسف ـ يستند الى مصادر عليمة لانه كان على اتصال صحيح له بها ، فقـد منعت الشهاب من دخول المغرب قبل وصول البرقية بأكثر من أسبــوع ، ومراسل الشهاب هو الذى لم يكن له علم بالامر · حتى جاء الخبر اليقــين ونشرته جريدة (السعادة) وهى جريدة الاستعلامات الفرنسية ، وعنها نقلت مجلة الشهاب فى عددها 106 الصادر فى 21 محرم 1346 هـ (21 جويليــة 1927 م) تحت العنوان السابق ـ خبرا نصه :

« جاء فى عدد 31 من جريدة (السعادة) التى تصدر بالرباط بعنــوان « تحجير جرائد » ما يأتى :

« أصدر سعادة الجنرال القائد الاعلى لجنود المغرب ـ حسب اشارة صاحب السعادة المعظم المقيم العام م· ستيغ أمرا مؤرخا بـ 29 يونيو تحت عدد 787 منع دخول جريدتى الشهاب والبرق التى (؟) تصدران بقسنطينة بالجزائر الى **المنطقة الفرنسية** بالمغرب وعرضهما للبيع ونشرهما **بالمحلات العمومية » اهـ.**

وفى تعليق الشهاب يقول :

« الشهاب خليق به ان يتوقع هذا الضغط على الصحافــة والمفكرين **لأن موقف الطــرقيين النفعيــين بــازاء ذلــك مــوقف ذوى الارادات السيئــة** ومحفوف بالخطل كما هو دأبهم فى كل ما يرون فيه بصيص اصلاح كيفما كان نوعه متى كان مصادما لاهوائهم والعهدة ـ بحذافرها فى مثل هذه المخازى على سدنة الخرافات الوبيئة لان حركتنا اصلاحية دينية بحتة · وهــؤلاء المكسوون اثواب الختل والخور ما فتئوا مناهضين لكل حركة إسلامية حرة

من شأنها ـ فى زعمهم اذا انتشرت فى الشعب ـ نضب ما تعودوه من منافع الفلس و ٠٠٠

وما كان لمفكر ـ قتل افكار خربى الذمم الواشين بحثا ـ ان يلقى العهد على من سواهم ٠٠٠ **وقد كانت ورقة الطرقيين ارادت اذاعة هذا النبأ قبل صدوره أن تظهر الكرامة ٠٠٠ والبركة ٠٠٠ والتفوق على غير طائفتها بنشر** هـذه التنبوءات والتكهنات ٠

ونحن ننزه حضرات الطرقيين بلاء الشعوب عن التنزل الى عقيدة النبوءة الروحية لماذا ؟ لانهم عبدة المادة ، **وذلك مما يدل على ان ذلك التنبؤ** ناجـم **عما قدمت أيدى زملائهم هنالك بطرق ٠٠٠ عملية محسوسة !**

ونحن نقول لهم : ذلك شانكم ولسنا مثلكم ٠

ومثل هذه الغايات السافلة والتحجير الخانق مما يضاعـف للشهاب الشرف وعلو السمعة وقد تعودنا هذه التشريفات منذ استشهاد (المنتقـد) وقد برهنتم على الفشل والعجز فى مضمار الحقائق الناصعة بالالتجاء الى ٠٠٠

ونكرر لكم القول : هذا القلق ، هذا الاضطراب أقوى معوان على تفشى الدعوة الاصلاحية واتساع نطاقها كما هو طبيعة كل دعوة ونهضة ٠

وقد شيدتم لنا ـ جهلا وغباوة ـ ما أردتم لنا هدمه ، وما علينـا الا ان نقابل هذه البساطة الجاهلية بالعزيمة الفولاذية والثبات الراسخ اللذين هما العامل الاقوى فى جميع انتصاراتنا المشهودة ٠

ولسنا علـى الاعقاب تـدمى كلـومنا ... ولكن علـى اقدامنا تقطر الدما (4)
لا يقـع الطعـن الا فى نحـورهم ... وما لهـم عـن حياض المـوت تهليل
لا يفـرحون اذا نالـت رماحهـم ... قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا»اﻫ(5)

---

(4) البيت من شعر الحماسة فى (ديوان الحماسة) لابى تمام ٠ ومعناه اننا نقتل مقبلين علـى العدو لافارين من المعركة ، ودماء المجروح مقبلا تسيل علـى أقدامه ودماء المدبر تسيل على اعقابه ٠

(5) البيتان من شعر كعب بن زهير يصف فيها ـ فى قصيدته بانت سعاد ـ المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد صدق ، والبيت الاول فيـه معنى البيت المتقدم عليه ٠ والبيت الاخير فيـه ما أوصى اللـه بـه « **لكَيْلا تأسَوا عـلى ما فاتكم ولا تفـرَحوا بما آتاكـم** » ٠ لا تبطرهم النعمـة ، ولا تيئسهم المصيبة ٠

وهكذا نرى شدة الاتصال بين هذه الطائفة ، وبين الادارة الفرنسية : تسارع الى ارضائهم وكما يسارعون الى ارضائها ، فاذا نادتهم لاستعمالهم قالوا (لبيك وسعديك) ! وابن باديس اذ يتحداهم لا يقصدهم ـ وانما يقصد سادتهم ، لان ضرباتهم لا ترهبه ولكن الضربات الاستعمارية يقرا لها حسابها ، ويعلن لاصحابه ان عزيمته الفولاذية وثباته ـ وحزبه ـ الراسخ هما العامل الاقوى فى الانتصار والانتصار الذى يقصده هو النصر النهائى ، فالمحارب قد يخسر معركة ، ولكن العبرة بالنهاية وقد جاء هذا النصر والحمد لله ٠

الفصـــل الثـــالث

مقال لصحفي فرنسي حـــر

ما كان ابن باديس يرجم بالغيب ـ عندما اتهم خصوم (الشهاب وحزبه) بان لهم يـــدا فى التضييق عـلى الشهاب ، واتصالا بالادارة الاستعمارية ، وتسخيرا منها ، وهذا ما حققه صحافى فرنسى حر الضمير سليم التفكير معاتبا ادارته الفرنسية أن تستمر فى الاعتماد على التعاون مع قوم لم تبق لها فيهم فائـــدة ٠

ففى العدد 108 من الشهاب الصادر فى 5 صفر 1346 هـ ـ 14 أوت 1927م نشر تحت العنوان أعلاه مقالا ـ قدم له بمقدمة ، وعربه عن صحيفة فرنسية وهذا نصه :

صحـــف محجـــرة

تحت هذا العنوان نشرت رصيفتنا (لوكرى ماروكان) فى عددها الصادر فى 23 جويلية المنصرم مقالا رئيسيا بقلم محررها م٠ كاريط بوفى فى شـــان منع مجلة الشهاب من الدخول الى المغرب الاقصى ٠ ولما فيه من الحقائق المبنية عـلى الخبرة والتجرد ـ آثـرنا تعريبه لقـراء (الشهاب) شاكرين لرصيفنا المحترم م٠ كاريط بوفى غيرته الحقة على بنى مهنته ، وانصافه الصادق فى بحثه وتحريره ، راجين لجميع رصفائنا الجزائريين ان تكون لهم هذه الـــروح الشريفة : روح التضامن الصحافى عند الملمات ٠

قالت الرصيفة المحترمة :

وقع التحجير لعدد كثير من الصحف العربية المختلفة المصادر ، وقد ذكرنا فى عددنا الاخير التحجير الواقع على « البرق » و « الشهاب » وما طرقنا مسألتهما الا بعد أن خاضت فيها جريدتنا « لا فجيى ماروكان » و « ليكودى ماروكان » وقد اظهرتا فرحهما بذلك ·

نحن لا نعرف « البرق » (6) · ولكننا نعترض على ما ابدته الجريدتان من الكلام الباطل المبنى على الحقد فى مجلة « الشهاب » (7) ، وهاتان الجريدتان الفتا أن لا تنقلا من الاخبار الا ما كان مثيرا للافكار · فهلا اثبتنا ما تنشران ؟ لكن هيهات ان يمكن لهما ذلك ، وهما لا تطمحان اليه ·

الشهاب مجلة تطبع بقسنطينة أسست لمطالبة الحكومة بجعل نوات من المسلمين بالبرلمان الفرنسى لانها ترى ان الحق يعطى لمن يؤدى قسطا وافرا من الضرائب حتى التمثيل بالبرلمان ·

ثم ان تلك المجلة التى يرأسها صحافى مقتدر وهو رصيفنا السيد عبد الحميد بن باديس خرجت فى بعض الاحيان عن هاته الخطة كى تتصدى لمقاومة الطرق التى تقف عقبة فى سبيل التطور والرقى بالجزائر والمغرب ·

لكن ــ ويا للاسف ــ ارباب **الطرق يعضدهم رجال الحكومة الفرنسية** التى يظهر لها ان **تكون حريفة (كليان) لهم** (حسبما يقتضيه هذا اللفظ فى اللاتينية) لان **ذلك يقلل تعبها** ، ويسهل لها الوصول الى مقاصدها ·

---

(6) جريدة عربية اقتصادية سياسية اصدرها الصحافى الجزائرى السيد رحمونى عبد المجيد القسنطينى واشترك فى تحريرها الصحافى الشهير السعيد الزاهرى وكانت عنيفة فى لهجتها مما سبب لها حرجا كثيرا وعرضها للمحاكمة والتغريم ، وكانت تطبع فى مطبعة الشهاب فسببت لها ضيقا لانها لم تكن منتظمة ثم حاولت ان تطبع في تونس فمنعتها الحكومة فاختنقت · وهى من مفاخر صحف النهضة الوطنية ·

(7) من اسخف ما وجه الى الشهاب وأختها البرق من أتهامات الصحف الفرنسية ومصادرها انهما كانتا تخدمان السياسة الانقليزية المناهضة للسياسة الفرنسية فى المغرب العربي ، وحجتهم على ذلك ان الصحيفتين مرتبطتان بالحكومة السعودية الوهابية ! حليفة الانقليز وتهمة الوهابية كانت توجه الى المصلحين لمحاربتهم عبادة القبور وساكنيها ·

ان ارباب الطرق يعترضون بكل قواهم لكل جديد ، وعللهم تماثل علل رجال (الفاتيكان) فى هاته المسائل ، والمسألة استيلاء ، ومسألة فلوس . ان هذه المقاومة من الغموض الذى تعيش تحت ظله أقلية تريد الاستيلاء على الاموال باسم الدين .

قبل الثورة الفرنسية كان أهل الاديرة ورجال الدين يؤثرون تأثيرا سيئا فى الامة بكثرة الالحاح عليها فى الصدقات الدينية وكانوا يمثلون دورا كالذى يقوم به الآن رجال الطرق فى افريقيا الشمالية .

فمجلة الشهاب تحت رئاسة ابن باديس صاحب القلم الشديد الوقع ـ تجد فى سعيها ودفاعها عن التقدم ـ **أمامها هاته القوة مصادمة لها .**

نحن لا نكذب فى ان تلك القوة كانت لنا عونا فيما سلف ، اما الآن فغايتها مقصورة على استعباد الشعب ، وتضليل أفكاره بالخرافات المنافية لروح القرآن فالطرق هى أعظم عقبة تقف بافريقيا فى سبيل نشر أفكارنا وآرائنا ، فهى تنافى حتى روح الجمهورية ببثها التعصب بين طبقات الامة ، وبمحاربتها للتعليم

زد على ذلك انها تتخذ ذلك التعصب نفسه وسيلة **للاستيلاء على أرباب الحكومة حتى لا يلبثوا ان يعتقدوا ان نفوذهم منوط بتأثير الطرقيين .**

يجب على الانسان ان يتخذ احسن الوسائل ان أراد ان يصرح بالحقيقة . ولا ريب اننا اذا أوضحنا للناس كيف يستغل الانسان أخاه فاننا نقوم بواجبنا نحو الوطن ... نعم ليس هناك استغلال أفظع من الذى يكون باسم مذهب أو عقيدة .

ان (السعادة) التى هى جريدة الاستعلامات الاهلية نشرت كلاما معناه ان (الشهاب) منع من الدخول الى المغرب بأمر من الجنرال « فيداليون » بعد ما أشار بذلك م. ستيغ .

وهذا غلط فى الانشاء تريده رصيفتنا الشبيهة بالرسمية ، لانها تعلم يقينا أن عبد الحى الكتانى هو الذى قدم قرارا للجنرال دوشامبران الحاكم بناحية فاس فى شأن رصيفنا الفاضل ابن باديس . ولم ندر هل أوقع مقيمنا فى الغلط أم روت السعادة خبرها عن مصدر كاذب !

وعبد الحي هذا هو نائب الطرقيين بفاس ، وان شئت قـــل سفيرهـــم ذو الرجلين القصيرتين والبطن العظيم · أما اسمه فينطبق عليه غاية المطابقة ، اذ معناه عبد القبيلة (الحي) بلغة العرب ··· والطرقيون ، بين المؤمنـــين كشبه قبيلة خصوصية ألفت لجمع الصدقات والنذور بدعوى الصلاح والولاية ، والله اعلم بصدق ذلك أو كذبه ···) اهـ · المراد منه ·

الفصـــل الـــرابع

مبـــدأ الشهاب الـــديني والدنيوي

وقد علق الشهاب على بعض فقرات الكاتب : منها على مبدا الشهاب السياسى الذى حصره فى المطالبة بنيابة جزائرية فى البرلمان الفرنسى وأن الشهاب خرج أحيانا عنه ليتصدى لمقاومة الطرق التى تقف فى طريق التطور فقال :

« ان المبدأ الذى أسست عليه هذه الصحيفة هو وجوب اعطاء جميـــع الحقوق لمن يقوم بجميع الواجبات ، ومن حقوق الجزائريـــين تمثيلهـــم فى البرلمان مثل اخوانهم الاوروبيين ، فالتمثيل البرلمانى **واحـــد من الحقـــوق** الكثيرة الداخلة تحت ذلك المبدا العام ·

وكما أسست هذه الصحيفة لخدمة المبدأ السياسى المتقدم كذلك أسست لخدمة مبدا دينى وهو الرجوع بالمسلمين الى جوهر دينهم الاصلى البرىء من جميـــع الضلالات والخرافات والتعصبات المحـــرر للعقـــول المهذب للنفـــوس والساعي بالانسانية فى الصراط المستقيم الى سعادة الدارين ·

ولما كانت الطرق فى معظم أمرها ـ منبعا لكثير من هذه المهلكات وقف لها (الشهاب) وقفاته المعروفة لنقدها ومحاولة اصلاحها · فكلامه هو مقتضى خطته » اهـ ·

الشهـــاب كـــان موضـــوعيا

فالشهاب كان موضوعيا فيما اتخذه من موقف : كان يسعى لترقية المسلم الجزائرى فى دينه ودنياه ·

والذى نلاحظه نحن ان خطة الشهاب ـ الذى تأسس عام 1925 م ، كانت أهم أهدافها : ايقاظ الشعب ، وبث الوعى الدينى والسياسى فى الجماهير ، فالشعب وحده ـ اذا استيقظ ـ هو الذى يستطيع ان يصلح ما فسد فيه من عقائد ، ويقوم ما اعوج من عبادات واعمال فى الدين ، ويستطيع ان يفتك ما اغتصب من حقوقه فى الحياة ، ولا رجاء فى المستغلين ان يتنازلوا من أنفسهم عما استغفلوه عنه ، ولا طمع فى المغتصبين ان يعيدوا اليه ما اغتصبوه منه ٠

ونقد سمعت ـ بأذنى ـ من الشيخ مثل هذا مرارا ، وانه ما كان يتوقع ان تفعل به فرنسا خيرا ، ويتحقق أن الشعب سيصدمه الحائط فيستيقظ ويتفطن فيعمل . فعمل الشعب لنفسه أجدى وأثبت وأقوى ، وهذا ما كان يؤمن به جمال الدين الافغاني رحمه الله ٠

وكان قد أعلن فى الشهاب مبدأه الدينى والدنيوى (السياسى) فاتخذ قولا لمالك بن أنس مبدأه فى الدين وهو « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها » ، لهذا قاوم البدع والخرافات والزيغ فى الاعتقاد ، واعتمد على الكتاب والسنة لان بهما صلح أول هذه الامة ٠ وفى الاصلاح السياسى أنشأ قولا من عنده وهو : « الحق والعدل والمؤاخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات » ومعنى هذا ان الشعب الجزائرى قد فرضت عليه فرنسا واجبات ـ كما هى مفروضة على بقية السكان ، فدفع ضرائب المال والدم والتضحيات كلها كالنصارى واليهود والمتفرنسين من أسبان وايطاليين ومالطيين وحتى اللبنانيين المسيحيين المستوطنين ـ وعند أخذ الحقوق استوفى جميع الاجانب عن الجزائر حقوقهم ولم ينل الجزائريون شيئا ، فأين الحق ؟ وأين العدل ؟ وأين المؤاخاة ؟ وأين المساواة ؟ فالحق وما عطف عليه لا يتم الا باعطائهم كسائر « أبناء » فرنسا ـ كما تزعم ـ حقوقهم ٠

وبقى هذا فى مبدأ الشهاب مسجلا على غلافه الى ان جاءت حكومة (الواجهة الشعبية) الحكم فى فرنسا ، ووعدت وعودا كثيرة أخلفتها ، وخانت الحركة الوطنية وهى : « نجم شمال افريقيا » التى كانت حليفة لها ـ فى الواجهة الشعبية ـ فحلتها ونكلت بزعمائها ، حينئذ رأى ابن باديس ان الوقت قد حان لتغيير الاسلوب ، وإعلان

اليأس من فرنسا ، وهذا ما قام به بالفعل عام 1938 م ـ قبل وفاته بعامين ـ فكتب فى الشهاب بأسلوب حماسى واضح مقالا عنوانه « هل آن أوان اليأس من فرنسا » ؟ واعلن ان اليأس يدفع الى « المغامرة » ، وان هذا ما على الشعب ان يستعد له ، وان اليأس لا يدفع بنا الى الاستسلام ، لان خلق المسلم ألا ييأس من روح الله ، وغير الشعار مما كان الى شعار جديد ليس فيه ما يفهم التطلع الى (عطاء) من فرنسا وانما فيه العمل على افتكاك الحق منها وكتب مكان الشعار القديم هذا الشعار :

« لا نعتمد الا على أنفسنا ونتوكل على الله » ٠

والحقيقة أنه تدرج ـ استعدادا ـ لهذا التغيير الذى بدأ يوم اعلن فى كلمته الصريحة « أن الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد ان تكون فرنسا ، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو أرادت » ٠ وتبع ذلك تحديه لمن سأله هل تستطيع أن تستقل الجزائر؟ أن ذلك ممكن، وان الجزائر فوق مستوى بعض تلك الامم التى حصلت عليه ٠ وقد أثر عنه فى هذا العهد تعبيرات ثورية ، وفى نشيده الذى أنشأه يوم عيد المولد النبوى عام 1356 هـ (1937 م) خطة ثورية :

ـ يَا نَشْءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا **وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدِ اقْتَرَبْ**
خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلاَحَهَا وَخُضِ الْخُطُوبَ وَلاَ تَهَبْ
وَاقْلَعْ جُذُورَ الْخَائِنِينَ فَمِنْهُمْ كُلُّ الْعَطَبْ
وَأَذِقْ نُفُوسَ الظَّالِمِينَ السُّمَّ يُمْزَجُ بِالرَّهَبْ
مَن كان يَبغي ودَّنا فعلَى الكرامةِ والرَّحَبْ
أو كان يبغي ذُلَّنا **فلهُ المهَانةُ والْحَرَبْ**
هذا نظامُ حياتِنا بالنُّورِ خُطَّ **وَباللَّهَبْ**
حتى يعودَ لقومِنا **من مَجْدِهِم ما قدْ ذَهَبْ**

وفى نشيد آخر له يشهد السماء ونجومها اننا للعلى وللخلود ، **وأن جيلنا سيرى خافقات البنود** ، واننا للحمى سنكون **الجنود**،فنزيح البلاء **ونفك القيود**، ونذيق **الردى** كل عات كنود،وننيل الرضى من وفى بالعهود ٠ واننا **هكذا** سنعود ٠

الفصـــل الخامس

النيابـــة في البرلمـــان

وربما ظهر لمن يعيش فى عصرنا ان فى مبدا الشهاب السياسى من ارسال نواب عن الشعب الى البرلمان الفرنسى ما يخالف المبدا الوطنى ويسلم بتبعية الجزائر لفرنسا ، ويسلم بمبدا الاندماج !

ونقول ليس الامر كذلك ٠

أولا : لانه لا يمكن وصول صوت الجزائريين لاسماع الفرنسيين واسماع العالم اجمع الا بواسطة وصول منتخبين الى البرلمان ولهم حصانة فى الكلام ٠ وما دام قانونهم يسمح بهذا الحق فلم لا نستعمله حتى نصل الى تحقيـــق غرضنا فى الانفصال ؟ ٠

وثانيا : لأن الإرلانديين كان لهم نواب فى مجلس العموم البريطاني ولم يمنعهم ذلك من (انفصالهم) عن انقليترا وحصولهم على الاستقلال ٠

ثالثـــا : هذه القضية من ابن باديس كانت مرحلة لابد منها ، وقد اعلن ـ قبل وفاته بنحو عامين عدوله عن هذا المطلب وافتى فتوى شرعية سياسية بانه ـ ما دام الفرنسيون يحتقروننا ، ويمتهنوننا ويشتمون ديننا ويشترطون علينا للحصول على النيابة التنكر لديننا وقوميتنا والبراءة منهما فانه حرام علينا ان نرتمى تحت أقوامهم ، وان نلح عليهم ان يعطونا هذا مثل هـــذا المطلـــب ـ ٠

فابن باديس جعل ذلك مرحلة تتقدم غيرها من المراحل ٠

رابعـــا : لم يكن هذا رأيه وحده بل كان رأى جميع الذين اشتغلـــوا بالسياسة من الوطنيين المخلصين وبرهنت الايام على صحته وسلامته ولم يؤد الى الاندماج ـ فقـــد ندمت فرنسا عـــلى ما كان منها ، ثـــم تبرعت بالاعتراف للجزائريين ، بعد ان اجمـــع ساستهم وأحزابهم جميعا عـــلى المطالبة بحكومة جزائرية بهذا الحق ٠

وارسل شعبنا نوابه الوطنيين باسم البيان ، ثم باسم (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) فلم يؤد هذا الى الاندماج والاعتراف بالتبعية لفرنسا، بل اعلن للعالم كله شخصية الجزائر وكفاءة رجالها ، واحقيتها فى الحياة ، وقامت الحجة على لفرنسا ، وكان بعض أولئك البرلمنيون من أول من رفع لواء الجهاد يوم أول نوفمبر 1954 م · فأول رئيس للحكومة المؤقتة ، ووزير خارجيتها كلاهما سبق له ان كان من النواب البرلمانين ·

فالنظرية فى أساسها كانت سليمة ، وهى مرحلة كان لابد من سيرها لدخول حصون العدو وتفجيرها من الداخل ·

مع هذا التطور المستمر في سيرة هذا الرجل : من العمل الصامت فى تكتم وحذر الى السير الهادف فى حكمة وسداد ، واستعداده الى الاعلان والتصريح الواضح بالثورة والرشاد مع كل ذلك نجد بعض (العاقين) يشكون فى (ثورته) وفيهم من يتهمه وحزبه بـ : الاندماجية ! فمن كان لا يعرف معنى البهتان فهذا منه !

الفصل السادس

اتصال العليويين خاصة بالإدارة

وقد بان مما تقدم اتصال العليويين بالادارة وعملهم تحت أوامرها ، ولكن أمرهم انكشف بوضوح أكثر بعد ان تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين · فقد استعرت الحرب بين حزب الاصلاح والعليويين وخصوصا بعد العدوان على شخصية ابن باديس ·

ثم ان الشيخ عبد الحميد بن باديس دعا مرة ثانية الى الحسنى ، وجاء فى دعوته التى نشرت فى العدد 103 من الشهاب ·

« مهما اختلفت مذاهب المسلمين وتشعبت طرقهم وكثرت فرقهم فانهم ـ بحمد الله ـ متفقون على أصل دينهم الذى لا يكون احد من أهل الدين الا به، وذلك الاصل الذى بينه حديث جبريل فى بيان الإيمان والإسلام والإحسان لما جاء يعلم المسلمين دينهم ، فكلهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكلهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان

ويحجون البيت متى استطاعوا اليه سبيلا ـ أو يقرون لذلك وان لم يفعلوا ـ وكلهم يقولون بلسان المقال أو لسان الحال : رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا ، وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولا ، فقد حظوا بحول الله ما لم يحظ منه غيرهم من الخلاف فيما يكون به المسلم مسلما».

وللحصول الى تفاهم بالحسنى قال الشيخ لكتّاب المصلحين والطرقيين : « اقلعوا عن المهاترة والمشاتمة والمغامزة والملامزة مما هو حرام بإجماع المسلمين، واسلكوا فى المناظرة طريق القرآن العظيم بيان لقول الخصم دون تعرض لشخصه،واقامة للحجة التى ترده عليه،مع حسن السلوك والقصد فى الوصول الى الحقيقة والاذعان لها اذا حضرت على أى لسان ، ومع الشعور بان الراد والمردود عليه إخوان يريد كل واحد منهما ان يهدي أخاه الى ما يراه خيرا له ، ويصرفه كما يراه شرا له،لانه ـ كما يأمره الاسلام ـ عليه ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها ، فان من لم يحسن السلوك يكون خابطا أو مرائيا ، ومن لم يكن ذا إذعان للحقيقة يكون معاندا ولم يعصر قلبه روح الاخوة ينقلب عدوا مؤذيا . ومن اتصف بهذه الصفات أو بعضها كان شرا وبلاء ـ والعياذ بالله ـ على نفسه وعلى غيره .

نقول هاته الكلمة الحقة البارة لجميع الكتاب راجين ان يقبلوها ويعملوا بها واننا سنكون أول عامل بها ، فلا ننشر ـ كما لم ننشر ـ ما يخرج عن دعوتها ، ونحسب ان سيكون العمل بها سببا فى زوال الفرقة ان لم يكن فى إزالة الخلاف » .

الفصل السابع

تاسس جمعية العلماء
وانتخاب ابن باديس رئيسا
وانزعاج فرنسا ودسائسها بواسطة ـ عملائها

وكان لهذه الدعوة اثرها فى تحسن الجو وبدء نوع من التعارف ، وجدت الدعوة لتاسس جمعية العلماء ، وقد اقتنع بالضرورة لذلك اغلب علماء الجزائر، فلما كان الاحتفال بمرور قرن على الاحتلال وما صحبه من مظاهرات صليبية

وعجرفة استعمارية،سهل ان تخرج فكرة جمعية العلماء من العدم الى حيز الوجود . ونشرت مجلة الشهاب مقالات كثيرة فى الدعوة لتأسيسها،فنضجت الفكرة . وكان الاجتماع التأسيسى الأول لها هو يوم 17 ذى الحجة 1349 هـ ، الموافق 5 مايو 1931 م ، وقد حضره علماء من الجانبين الاصلاحي والطرقي ، ولم يكن ابن باديس حاضرا ، ولكن اتفق الحاضرون على انتخابه رئيسا للجمعية وهو غائب ، ثم لحق بهم ، واعتذر عن تخلفه ، وحضر المأدبة التى أقامها لهم نادى الترقى،وخطب فيها،واعلن رضاه عن تأسس الجمعية وقبوله لمسؤولية رئاستها ، واعتبره تكليفا واجبا عليه القيام به .

ويروى أستاذنا الشيخ محمد خير الدين ان تغيب الشيخ عن الاجتماع الاول لتأسيس كان بتواطىء مع جماعته حتى لا يكون حضوره داعيا للحذر والفشل ، .فالجو لم يكن خالصا،وقد دعى للحضور م. ميرانت مدير الشؤون الاهلية مَن طرف اللجنة التحضيرية ، فلما أصبحت الجمعية حقيقة واقعية أخبر بذلك فحضر فورا . وهى رواية مقبولة ودهاء من حزب الاصلاح .

وقد ضم المجلس الادارى الأول علماء من الطرفين الاصلاحي والطرقي كما مثل فيه جميع المذاهب الموجودة فى الجزائر ، ومثل المذهب الاباضي العلامة المرحوم الشيخ إبراهيم بيوض ، وكان كثير من الكتاب والأدباء الاباضيين من فرسان « الشهاب » مثل الشيخ الطرابلسى والفرقد ، ورمضان حمود ، وابراهيم بنوح رحمهم الله .

اتصال مباشر بين ابن باديس وابن عليوة :

وسكتت الاقلام عما يثير الفتنة ويدعو الى الفرقة وعقدت الرحلات لوفد الجمعية ، ولما وصل الوفد الذى يرأسه الشيخ عبد الحميد بن باديس الى مدينة مستغانم اجتمع مع الشيخ ابن عليوة فى ضيافة العلامة الشيخ بلقاسم ابن حلوش ثم استضاف الشيخ ابن عليوة الشيخ ابن باديس فقبل ضيافته.

وقد حدثنى عن هذه الحادثة الفذة فى التاريخ الاستاذ محمد بن الصادق جلولى المليانى ، وكان حضرها بجانب الشيخ ابن باديس الذى كان يرافقه سواء كان بقسنطينة أو فى رحلاته الوهرانية كحارس شخصى ، وليس له سلاح سوى حب مكين ، واخلاص متين واشفاق كبير مع عصية (مطرق)

يحسن استعماله كسيف فى الهجوم أو الدفاع (على الطريقة الوهرانيــة) احتياطا لما عسى ان يدهم من الاحداث ٠

قص علي كثيرا من أخبار هذه الرحلة والتقاء الشيخ بكثير من الشخصيات الجزائرية الموالين والمعارضين ، فكان بين ابن باديس وابن عليوة كل الاحترام الشخصى مع تسليم العليوي لابن باديس بالفضل والتقدم فى العلم ، وطلب منه القاء درس، فكان موضوعه يتصل بالتصوف والسلوك الصحيح للنساك والزهاد والعلماء المنتسبين له ، دون ان يكون فيه مساس ولا تعريض ولا غمز ولا همز ٠ مما استمع اليه « الإخوان » بكل أدب واحترام ، وكأن على رؤوسهم الطــير ٠

تدخل فرنسي ناجح ثم الفشل :

لكن فرنسا لم تكن ليرضيها ويروق لها ان يتم التصالح بين طائفتــين متخاصمتين من المسلمين ، أو يقع الانسجام والتعاون والسلام بين قــادة جماهير المتدينين ، فشرعت تكيد لتعكير الجو بين الطائفتين ، وإحلال الخصام من جديد محل السلام ، وتدبير مكر لتشتيت الجمع والقضاء على الجمعية التى كانت تجمع الطائفتين المصلحين والطرقيين : اما بالاستيلاء عليها وتسخيرها لأغراضها ، واما بمحوها وسحقها ٠

وكانت وسيلتها تدخل مديرها للشؤون الاهلية م٠ ميرانت وهو شخص قذر يحقد على المسلمين ويزدرى بوجودهم ، و « يدجن » كل فحل منهم ان استطاع ، وله اتصالات متينة مع السيد عمر اسماعيل التاجر الثري ورئيس اللجنة الدائمة بالجزائر للجمعية ، وأحد أعضاء اللجنة التأسيسية، وله اتصال كبير بالطريقة العليوية وشيخها ٠

ولما حان وقت انعقاد الاجتماع السنوى العام ـ فى السنة الثانية، وفيــه يتجدد أعضــاء المجلس الاداري بانتخاب مــن الأعضــاء العاملــين ، أخــذت مؤامرة تدبر لاحداث انقلاب بطرد العلماء المصلحين من الجمعية ، وكان الذى تولى كبر المؤامرة السيد عمر اسماعيل صديق وكان صديقا لم٠ ميرانت ولشيخ العليويين ٠ وقد استدعى م٠ ميرانت لحضور الاجتماع ٠ وفاحت فى الجــو رائحة المؤامرة الكريهة ، فشمها « عفاريت » الاصلاح وحذروها ٠

وكان من فصول المؤامرة ان يكون الانقلاب بواسطة الانتخابات · ولا ينتخب من الاعضاء – حسب القانون الاساسي – الا من يملك بطاقة عضو عامل – وهو من يصدق عليه لقب « عالم » في الجزائر – وقد تكفل العليويون بسد هذه (الثلمة) واغراق الاجتماع بسيل من هؤلاء « العلماء » وأخذ السيد عمر اسماعيل يوزع بطاقات هذه العضوية على كل مرشح لها يقدم اليه ، ولا يشترط الا لحية مرسلة ، وسبحة طويلة وقد يكون معهما – معلقا بالجنب – (بوسعادي ماضي) !

فلما شرع في الاجتماع بانت علامات لا تبشر بالخير ، فرفع الرئيس الجلسة فجأة ، وأمر باخلاء القاعة حتى لا تقع حوادث تتسبب في حل الجمعية وحتى يستبعد كل غش ·

الفصل الثامن

تأسيس جمعية علماء السنة

وهكذا احبطت المكيدة المدبرة من الادارة الفرنسية بواسطة اعوانها المنفذين لاوامرها · ولم تنته هذه الدورة الا بانقسام فاصل ، وتأسست جمعية جديدة دعيت « جمعية علماء السنة » · وعين لرئاستها الشيخ المولود ابن الصديق الحافظي الفلكي الأزهري ·

وهو عالم كبير ، وكاتب شهير ، ولكنه كان شاذا في العلماء ، منهالكا على الشهرة والرئاسة ، من كتاب الشهاب ، نشبت بينه وبين كتابه المصلحين معارك قلمية ، كالميلي والعمودي والزاهري ، والزواوي ، وابن عمارة ولا شك انهم – أي خصوم الاصلاح – كانوا يعدونه ليخلف ابن باديس في رئاسة الجمعية ·

وهكذا عادت الحرب كأشد ما تكون عنفا ، وكشفت الادارة الاستعمارية عن وجهها الكريه ، بتدخلاتها الوقحة ، وشرعت في مقاومتها العنيفة لجمعية العلماء ومشاريعها واضطهادها لاعضائها ووقوفها بجانب خصومها ·

الفصل التاسع

سياسة الضغط والإرهاب

ومن قراراتها – فى هذه الفترة – منع العلماء الأحرار من استعمال المساجد الرسمية فى التدريس والخطابة ، وبدأت بمنع الشيخ العقبى من التدريس فى الجامع الكبير بالعاصمة ، وعممت المنع فى سائر انحاء القطر ، ولما أنشاوا الصحف الاسلامية عطلتها واحدة اثر الاخرى ، ثم اصدرت قرارا تمنعهم من اصدار أية صحيفة عربية ٠ بينما كان خصومهم أحرارا فى اصدار ما شاءوا ، وتوصلوا الى اصدار جريدة باسم « المعيار » كانت تستعمل أقذع السباب وأقذر الشتم والقذف ، ومكثت هذه الجريدة حرة تلغ فى أعراض العلماء وخاصة الشيخ ابن باديس، فتأسست لجوابها جريدة باسم «الجحيم» كالت لها بمكيالها ، وكلمتها بلهجتها ، ولكن الادارة بادرت بإغلاقها بعد نحو شهر فقط من بروزها ٠ ونظرا لمحتواها ولغتها فانها لم تعلن عن مصدريها ولا عن مطبعتها ، وبحثت الداخلية عن طابعيها حتى توصلت الى اسم « المطبعة » وقدمتها للمحاكمة ، وغرمتها ٠

اما العليويون فقد كانوا يتمتعون – كعهدهم من قبل – بكل عطفها وتأييدها واستطيع ان اضرب مثلا محسوسا يعرب بوضوح الى أى مدى بلغت ثقتها بهم ، وتعاونها معهم ، واعتمادها عليهم ، ومساعدتهم فى تكوين « اخوانهم » واطارتهم ٠

هذا المثل ننقله من كتاب لهم اصدروه للدفاع عن « شيخهم » وجمعوا فيه « شهائد وفتاوى ٠٠ » وسجلوا فيه شهادات كثيرة منها ما هو صادر من اقطابهم ، ولما جاء ذكر كبيرهم الشيخ عدة بن تونس قال صاحب الكتاب فى ترجمته :

« ان فضيلة المشار اليه حقيق بان يعتبر كبيرا بين أقرانه ، ولو مع صغر سنه لما جبل عليه من حسن الاستقامة وجميل الاخلاق زيادة مما اعطى من سلامة الذوق وصحة الوجدان ، وقد رأيت اقدامه وكريم شيمه **المستفادة من تعاليم الاستاذ ما يستحق الذكر ، ومن ذلك انه انخرط فى سلك العسكرية الفرنسية** على ما يقتضيه القانون الجبرى وصار مقره (القشلة) بدل المسجد

فعكف على عمله الذى هو من عادته ، وكان يستعطف من حوله من أفراد الجند ليستميلهم الى العمل بالدين ويحبب لهم الذكر والذاكرين الى ان صارت كلمة الاخلاص تذكر ليلا نهارا **داخل القشلة بأصوات مرتفعة** ، ثم اشتدت الرغبة فى الذكر على الاسلوب المعتاد عند الفقراء **الى ان استحسن رؤساء الجند من الفرنسيين تلك الانغام فألزموا الجند** ان يكرر كلمة **الاخلاص بتلك الصيغة أثناء مشيهم النظامى ورجوعهم من التعاليم الرسمية** فكان الجند يدخل **بكلمة الاخلاص يتقدمهم فضيلة السيد عدة** مع من كان معه من الفقراء ، وقد كان له ابلغ معين فى ذلك أحد اخوانه فى هاته النسبة يدعى ابن عبد الله بن قطاط وكان ذلك بمدينة مستغانم ٠

وبلغنى انه « انتقل الى مدينة رأس الماء من حدود الصحراء فقل ما يقرب من ذلك من جهة تصير من حوله من العساكر فى صفة الذاكرين فكان مكثهم بالمسجد أكثر من مكثهم فى غيره » (انظر كتاب الشهائد والفتاوى) ٠

وهذه الشهادة الحية تعطينا مثلا رائعا لما كشفته المجلة الأهلية فى مطالبة الحكومة الفرنسية بوجوب نجدة الشيخ ابن عليوة المرابط العصري وحبيب فرنســـا ٠

فقد تدخل ضباطها واصدروا أوامرهم للعساكر كلهم ان يلتزموا «الذكر» العليوى ، وينخرطوا فى هذه الطريقة فعلا ، ويستعملوا شعاراتها ٠

وقد كادت هذه الطريقة ان (تأكل) جميع الطرق ، لا الطريقة الرحمانية وحدها ، كما أوصى وحرض صاحب مقال المجلة الاهليـــة ٠ ولولا وقفـــة ابن باديس وكتاب الاصلاح ـ وذلك لما أراده الله من خير بهذه الامة ـ لكانت العاقبة انغماس شعبنا فى مذهب الحلول ، ودروشة وجذب وانحطاط فكرى لا مزيد عليه ٠

واننا نختم هذا الفصل بما آل اليه أمر هذه الجماعة «جمعية علماء السنة» رغم ما (حشد) لها من وسائل الانتصار والتأييد ٠

ففى السنة الثانية من تأسسها كان رئيسها يقوم بجولات لنشر دعوتها ، ويزور العواصم لدعم نفوذها ٠ وقرر ان يزور مدينة عنابة وكانت الطريقــة

تعدها من قلاعها ، لوجود طائفة نشيطة منها فيها . ولكن حزب الاصلاح والوطنية لم يكن فى عنابة ضعيفا .

حل الرئيس الحافظى بعنابة ، واعلن انه سيلقى درسا كبيرا فى جامعها الكبير ، بينما كان اعضاء جمعية العلماء ممنوعين من القاء مثله فى المساجد الرسمية فى سائر أنحاء الوطن . وغاظ مثل هذا الوضع الشبان المصلحين والوطنيين المخلصين ، وهم الذين كانوا يمثلون الوطنية قبل وجود الحزب فى الجزائر ، ودبروا للشيخ مقلبا كان آخر عهده بـ « النشاط » .

وقد سمعت تفاصيل المكيدة من رواة ثقاة ما زال بعضهم بالحياة ؛ قعد جماعة منهم بباب المسجد ، وأمامهم صناديق من « الطماطم » ومن « البيض » ومن جاء للدخول الى المسجد ناولوه « بيضة » أو « طمطمة » فاذا تساءل : وماذا يصنع بها ؟ قالوا له : « خذ واسكت ..! » .

ولما صعد الشيخ على المنبر — فى بيت الصلاة ليلقي خطبته أو درسه — رماه أحدهم ببيضة ، وصاح به ، ورماه الثاني بطمطمة ، وتذكر كل واحد ان عنده نصيبه من « السلاح » فلم يبخل به !

وخرج الشيخ من المسجد تحت حراسة ، ومن عنابة،فى حالة يرثى لها .

الخاتمة فى بوقاعة ، تنجس البغل

وقد قص على هذه الخاتمة — بعد وقوعها باعوام قليلة — تاجر أمين موثوق به فى دينه وروايته .

بعد حادثة عنابة رجع الشيخ الى مدينة بوقاعة — لافاييت — كما كانت تدعى ونزل بها تمهيدا للحاقه بمقر سكناه فى « بنى حافظ » ولابد له من راحلة يركبها لطول المسافة ووعورة الطريق .

وبحث عن راحلة فتعذر عليه،ودل أخيرا على رجل يملك بغلا وأعرب له عن مقصوده ، وجرت بينهما المحاورة التالية :

— هل تكرينى بغلك للوصول عليه الى الدار ؟

— نعم .

— كم تطلب فى كرائه ؟

ـ ألــفي فرنــك !

ـ عجبا ! اني لا أريد أن اشتريه فهذا ثمن شراء (1) ـ انما أريد ان أكتريه فقـــط ٠

ـ وهل تظن ـ أيها الشيخ ـ ان بغلا ركبته أنت أقبل به مرة أخرى ليدخل الى حوشي ؟ أبدا انه تنجس ٠

وكانت النهايـــة ٠

(1) كان مبلغ الفي فرنك فى مثل تلك الأيام قيمة شراء بغل. وللمقارنة نقول كان ثمن كلغ لحم ضاني يساوى 10 فرنكات !

(2) الاسطبل ـ مربض الحيوانات ـ يسمى فى كثير من الجهات « الحوش » ٠

البـاب الرابع من القسم الثالث :

رأينا ان نتبع ـ أبواب هذا القسم بباب رابع نذكر فيـه بعض ما يدعم ما جاء فيه ويعرف منه القراء تطور الحالة في السنوات التالية القريبة مـن تأسيس جمعية العلماء ، ويعرفون آثارها في الامـة ، وكيف كان ينظر اليها الاجانب ٠

وقد تقدم في الباب الثالث ان الادارة الفرنسية بالجزائر حاولت بكل ما استطاعت الاتيان على الجمعية ، فلما أصبحت حقيقة واقعية حاولت بكـل جهدها ان تستولى عليها لتسخيرها كما سخرت (المشائخ) و (العلماء) مـن قبلها ووجدت المساعدة من حلفائها الاقدميين . فلما عجزت اعلنت الحـرب العنيفة ضدها بالتضييق على رجالها ومنعهم من استعمال المساجد ، والتنقلات وبالقرارات والاعتقالات والمحاكمات واغلاق النوادى والمدارس ، وبالمساومات ولم تترفع عن تدبير المؤامرات والاقدام على الاغتيالات ، وقد تورط معها فى هذه التصرفات بعض القوم ، وغرقوا معها الى الاذقان ٠

الفصـل الاول :

بيجـو يحـاول خلـود حكـم فـرنسا

فى هذا الفصل ننقل المقال الخطير الذى أشرنا اليـه فى الباب السابق الفصل الثالث وهو يكشف كيف حاول الجنرال (بيجو) ـ وهو حاكم الجزائر ـ أن يخلد حكمها فى الجزائر ، ولم يكفه ـ بعد ان تغلب على الامير عبد القادر ـ أن يطرد السكان من أخصب أراضى الوطن فى الشمال ويستورد شذاذ آفاق أوروبا لاحلالهم بها ، ولكنه أخذ يدبر ـ بوحى الشيطان ـ لضمان أمنهـم

وحمايتهم من ثورات الشعب وعضبه فاوحى اليه ان يجعل سلطة فرنسا من سلطان الله ، ولا يجوز ان يعارض رضاء اللـه وقدره ٠ وانما يستطيع ان يغرس هذا فى اذهان عامة المسلمين بواسطة (مشائخهم) وعلمائهم ٠

وهذا ما يكشف عنه هذا المقال الذى كتبه صحافى فرنسي ، ونشـره فى جريدة فرنسية عظمى كانت فى وقتها تنطق باسم أعظم احزاب فرنسا واقواها نفوذا، وهى جريدة (البوبلير، الشعبى) وهى لسان الحزب الاشتراكى الفرنسى وطالما وعد هذا الحزب رجالنا السياسيين ومناهم بمعسول الكلام ، وما كانت وعوده الا غرورا ، وكانت ايام حكمه من شر الايام فى عهد الحكم الاستعمارى ويكفى برهانا على ذلك ايام (نايجلان) ثم (لا كوست) و (قى مولى) وكلهم من رجاله ٠

والمقال التالى مملوء حقدا عـلى الاسلام وكتابه وأهلـه ، وتحريضا بهم ، وتشلية عليهم ، ومـع ذلك فقد كشف عـن حقائق وفوائد واقلها ان يعرف المسلمون ما يعتقد فيهم ويقوله الآخرون عنهم ٠

وقـد نشر هذا المقال فى مجلـة الشهاب ، فى باب دائـم فيها عنـوانه (ما يقولون عنا) وهو باب ينقل فيه ما يكتبه غير المسلمين عن المسلمين عامة أو عن أقطار الاسلام المستعمرة وخصوصا المغرب العربى ٠ وكان يكتب قبل نقل المقال هذه العبارة ٠

(كل ما ينشر في هذا الباب هو على عهدة قائلـــه ولا رأي لنا فيه) ٠

وهذا هو نص المقال كما ترجمه ونشره الشهاب :

يقظـة العالـم العـربى :

الجامعـة الاسلامية ٠

مـــا يقـــولـــون عنـــا

كل ما ينشر فى هذا الباب هو على عهدة قائله ولا رأى لنا فيه

الجـامعـة الاسـلاميـة

عن مجلة الشهاب ج 7 م 14 رجب 1357 هـ سبتمبر 1938 م

يقظـة العالـم العـربى :

جاء فى العدد الصادر من جريدة البوبولير) الفرنسية فى 22 يونيـو سنة 1938 م تحت هذا العنوان ما ياتى من مقال بامضاء (جورج وجنير) ٠

مهما يكن من أمر فان فكرة الجامعة الاسلامية تتقدم تقدما عظيما ، فان كل مسلم كما هو معلوم يجب عليه كما أمره النبى ان يحج الى مكة فى حياته ولو مرة واحدة · وهذا يحقق لـه السعادة المستقبلة ويكسبه نوعا من القاب الشرف وهو لقب (الحاج) ما دام حيا ، وفى العهد الذى كانت فيه البـلاد المقدسة تحت سيطرة الباب العالى الضعيف المتداعى · لم يكن للحج اى صبغة سياسية · فقـد كانوا يستغلون الحجاج استغلالا ماليا ، ولكنهم ما كانوا يثيرون روح العصبية فيهم · اما اليوم فان ملك الحجاز وهو يعتبر الوارث للملك محمد يرمى لمصلحته الى تأسيس الوحدة الدينية للخمسمائة مليون من المسلمين المنتشرين فى قارتى آسيا وافريقيا ·

لذلك ترى الحجاج الذين يعودون الى أوطانهم من مكة مصابين بضرب من الجنون المقدس · وبنوبة من العقيدة الوجدانية يوشك عود الدين الحق المنزه عن البدع · وقد لاحت لى فرصة للتحدث طويلا فى هذه الايام الاخيرة مـع شاب عربى أخـذ بعضا من ثقافته من مدارسنا وهو يفيض حماسة وطنية ، فأكد لى ان الاسلام على وشك ان يخرج من كهف الظلمات التى غمره فيها جبن رؤسائه ووساوس الدهم قرونا طويلة.فالاسلام عنده هو القرآن هو كل شيء ولا شيء غير القرآن · وقد جره هذا الإيمان الى مدى بعيد،وعلى هذا الضرب من التحمس كان يخبرنى باعجاب عن حالة الأمن بالحجاز وما يلاقيه السارق هناك من المحاكمة على أسلوب القرآن والحكم عليه بقطع يده،لأن هذا هو الذى قرره نبي الاسلام ·

كنت أستمع اليـه وأفكر فيما يكون عليه من الغرابة الوطنى الفرنسى ، وقد يصل الى درجة النيابة عن الأمة ، وما كان يأتيه من الأعمال اذا كان كتب النجاح لمشروع بلوم فيوليت ونال امثال محدثى هذا الحقوق السياسية كاملة.

ليس الحجاج وحدهم ينفردون بنشر هذا المذهب الرمزى ، ولكن يشاركهم فى اذاعته كبار أهل الاطلاع والعلماء والادباء المتخرجون فى جامعات دمشق والقاهرة المتضلعون فى القرآن فانهم يبشرون بالمساجد والزوايا أو الرباطات التقاليد القديمة والمذاهب والعبادات والاعمال التى تتفاوت فى درجات غلوائها ويأخذ بها المسلمون الحاليون · فهؤلاء المتعلمون الذين يدعونهم بعلماء الدين

يوقدون على الدول الحامية وعلى من يمالئها من الرؤساء السياسيين والدينيين حربا عوانا ، وقد أصبحت نتائجها محسوسة للدرجة القصوى ·

هؤلاء العلماء يعلنون خيانة المرابطين للدين فانه فى سنة 1830 م ، كان يوجد بالبلاد المغربية رجال محترمون يقال لهم المرابطون ، وكان مصدر سلطانهم على الناس انهم من ذرية محمد ، وكانوا يعيشون مما يرد عليهم من هدايا المؤمنين ، فلما تعين المشير بوجو BUGEAUD احترم هؤلاء المرابطين وبذل لهم حمايته وامدهم بالانعامات عن سعة ، واستمدت معونتهم كل حكومة قامت في تلك البلاد ، وكان منهم أصدقاء كثيرون مخلصون لفرنسا ، وكان متى قال احد المرابطين : (اذا كنا قد أصبحنا فرنسيين فقد أراد الله ذلك ، وهو على كل شيء قدير فاذا أراد ان يكسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل ، وكان ذلك عليه أمرا يسير الا يزيد عن كسح فتاته من تبن) · ولكنه كما ترون يمدهم بالقوة ، وهى مظهر قدرته الالهية ، فلنحمد الله ولنخضع لارادته) · كان متى قال احد المرابطين ذلك آمن كل سامع له بما يقول ·

ولكن تدخل فى هذا الامر العلماء ، **فتراهم منذ عشر سنين يجدون فى هدم سلطان المرابطين** ويسحقون مذهبهم بآيات الكتاب ، ويهزمونهم فى كل مجال بما يقتبسونه من أحاديث الرسول ، مما يجهله خصومهم كل الجهل · فتجدهم يقولون للمؤمنين : (**ان المرابط والامام والمفتى موظفون لدى الفاتحين فهم يخونون الاسلام والمسلمين** ، وانتم تعطونهم مالا ليصلوا بكم ويباركوا عليكم،والله ورسوله يردون ذلك ولا يقبلونه منكم ، فنحن الذين نعرف القرآن ونمثل الايمان الذى أرسل به محمد) ·

(ويقولون للأمهات الجاهلات المتشبعات بالخزعبلات : اذا ذهب أولادكن الى مدارس الفرنسيين واتبعوا تعاليم الرؤساء الدينيين الذين رضيهم الفرنسيون فان ذكورهم يشبون مجرمين ، واناثهم عاهرات ·

(وقد نجح هؤلاء فى حمل الناس على البراءة من مواطنيهم الذين قبلوا ان يعدوا من الفرنسيين وامتنعوا من دفنهم فى مقابر المسلمين ، وهؤلاء القادة ينفذون أوامر تأتيهم من القاهرة ودمشق ومكة ، وهى المدن التى تعمل فيها جماعات خفية لتنفيذ اغراض على جانب كبير من الخطورة ، والتبعة فى ذلك

تقع على الحكومة الفرنسية ، فهى التى تـركت هؤلاء المتعصبين أو الخبيثين يبثون دعوتهم ، ويضعفون سلطان أصدقائنا المرابطين) انتهى ٠

ملاحظـات على المقـــال :

هذا هو نص هذا المقال ، ونود ان نلاحظ ما يأتى :

1) ان الاشتراكيين الفرنسيين كانوا أشد الناس عداوة للوطنية الجزائرية وفكرة الانفصال عن فرنسا ، وكانوا (حماة) دعوة الاندماج ومحو كل اثـــر للشخصية الجزائرية ٠ لهذا يفزعون أشـد الفزع من يقظة العالم العـربى ، ويخشون اشد خشية من (الجامعة الاسلامية) وبمعرفة هذا ينكشف لك سر تحمس الكاتب الاشتراكى ضد فكرة (الجامعة الاسلامية) وضد أحكام القرآن ٠

2) لم يكن محمد (ص) ملكا ولا صاحب مملكة ، وما كان الا بشرا رسولا ارسله الله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وما اورث ملكا لاحد حتى يرثه ملك الحجاز ٠

3) ملك الحجاز ـ فى عهد المقال سنة 1938 م، كان هو الملك عبد العزيز بن سعود ، رحمه الله ، لم يكن له أى طموح خاص بتاسيس خلافة اسلاميـة يتولاها، انما كان له شعور كل مسلم فى اعتصام المسلمين بحبل الله جميعا واستمساكهم بالعروة الوثقى ، وزوال شقائهم وسيطرة المستعمرين عليهم وعلى أوطانهم ، ولم يكن من أقطار الاسلام ناجيا من الاحتلال آنذاك سـوى مملكة آل سعود ومملكة اليمن وتركيا والافغان وايران والمكائد حولهن كثير ٠

4) اذا أحب أوروبى وطنـه وعمـل لصلاح مواطنيه وكافح مستعبديهم ، وجاهد أعنف الجهاد لخلاصهم فهو النبيل الشريف المستحق لكل ثناء ٠ كما فعل كافور ومازنى ودوقول وغارى بلدى ٠

اما اذا فعل نفس الفعل مسلم من أجل خلاص أمته وتحرير وطنه ، وكفاح أعدائه فهو (مصاب بضرب من الجنون المقدس وبنوبة من العقيدة الوجدانية) !٠ ميزان عجيب يزن بـه هؤلاء (المفكرون) الاشياء ، سواء منهم غـلاة اليمين أو (رحماء) اليسار !

5) الاسلام هو القرآن فهو رسالة اللـه الينا ، واحكامه هى أحكام اللـه وفيها الراحة والامـن لمجتمعاتنا ٠ والشرائع الوضعية لم تقض على السرقـة

والفساد ولكن الاسلام قضى ـ بالقصاص والحدود ـ على معظم الفساد والمفسدين ، وفي نحو 30 عاما قطع ابن السعود 16 يدا من 16 سارقا فانتهت السرقة ـ أو كادت من مملكته الشاسعة الارجاء بينما باريس وسكانها في رقعة ضيقة ـ يقاربون سكان مملكة ابن السعود لا يامنون على أنفسهم وأموالهم ، وضاعت الملايير وآلاف الانفس رغم ان شرطتها تزيد على عدد جند ابن سعود ٠

6) رغم ان الكاتب كان اشتراكيا ، والحزب الاشتراكي كان يمني المسلمين باعطاء بعض حقوقهم ، ومنها ما يخولهم برنامج فيوليت ـ انذاك ـ من التمتع بهذه الحقوق مع الاحتفاظ بـ (الاحوال الشخصية) فانه يستكثر على (مسلم) ان يصل الى النيابة في البرلمان الفرنسي مع افكاره الاسلامية ليمثل اخوانه المسلمين الفرنسيين !!

وقد كان م٠ دالادي زعيم الراديكاليين ـ وهم من اليسار أيضا ـ أصرح من الاشتراكيين اذ قال لوفد المؤتمر الاسلامي (لا يمكن ان تنالوا شيئا من فرنسا ما دمتم متمسكين بالاحوال الشخصية ، وفرنسا مدافعها قوية ٠٠! وهذا ما كان يعلمه ويتحققه (العلماء) من قبل ، ولهذا شددوا في ان (يجمع) المسلمون على اشتراط الاحتفاظ بالشخصية الاسلامية ٠ حتى لا يتحقق مشروع فيوليت ويزول خطره ٠

7) تدخل (العلماء) احبط عمل فرنسا ، وأبطل مفعول مكيدة (بيجو) منذ عهده ، ولم يفدها (احترام) المرابطين وبذل حمايتها لهم وامدادهم بالانعامات عن سعة ٠ وقد بالغت في ذلك ، وكان ماريشالها ليوطي في المغرب يدخل مقام (مولاى ادريس) حافيا مطاطىء الرأس ، لكنه كان يدوس الشعب المغربي وكرامته ودينه بحذائه العسكري ٠

8) الثقة بالمدارس الفرنسية ثقة عمياء ، واعتماد أفكارها وتربيتها وأسلوبها وثقافتها ـ دون حماية من التربية الاسلامية والاخلاق الوطنية ـ قد يؤدي ـ حقا ـ الى المآل الذي رواه من قول العلماء للمواطنين ، فالمتجنسون ـ الذين خانوا دينهم وامتهم وقوميتهم ـ كانوا من الذين وثقوا بهذه المدارس ٠

9) رغم ان الكاتب اشتراكي ، ومقاله مكتوب لجريدة اشتراكية فانه يغرى بهؤلاء العلماء ، ويجعل تبعة نجاحهم في أعمالهم ـ في ايقاظ الروح الدينية

والقومية فى أمتهم - (تقع على الحكومة الفرنسية فهى التى تركت هؤلاء **المتعصبين الخبيثين** يبثون دعوتهم ويضعفون سلطان أصدقائنا المرابطين .

10 - لا شك ان القارىء ادرك حكمة ابن باديس فى قوله : (**لا راي لنا فيما ينشر فى هذا الباب**) .

فانه يترك للقارىء حرية الحكم ، ومعرفة الخبيث من الطيب ، والصديق من العدو .

الفصل الثاني :

محاولة تحطيم النهضة العربية الاسلامية بالجزائر

ذهب م. ميرانت من ادارة الشؤون الاهلية مذءوما مدحورا ، وخلفه فيها مستشرق (عالم) بالعربية والقانون هو (م. ميو) ، جيء به من الاقسام الدراسية حيث كان يعلم الطلاب الى ادارة حكومية مملوءة بالمؤامرات والمغامرات والدسائس والمكائد الفاجرة ، وقد حاول ان يغير أسلوب سياسته - مع الاحتفاظ بالجوهر - من الارهاب والعنف الى شيء من المرونة والكياسة واللين والمساومة . ولكنه لم يستطع ، واستمرت هذه الادارة فى أسلوب المغامرات والمؤامرات والعداوة السافرة للقومية الجزائرية التى كان من أبرز مظاهرها حركة جمعية العلماء قبل انتصاب الحركة الوطنية السياسية بالجزائر وبدل أن ينجح (العالم م. ميو) فى انقاذ حكومته وادارته من الفساد غرق فى عفوناتها واقذارها الى الرقبة ، فقد كان من أفجر ما دبر فيها من جرائم قضية اغتيال المفتى المالكى الشيخ ابن دالى عمر محمود الشهير باسم (كحول)، كما دبر اغتيالا آخر بمدينة قسنطينة ضد الشيخ (أحمد مرازقة) الشهير بالشيخ الحبيباتنى (1) لكن الله سلم ، ونجا الشيخ أحمد رحمه الله . وكان

(1) توفى يوم 10 محرم الحرام سنة 1356 هـ - مارس 1937 م ، اهله من قبيلة بنى حبيبى قرب الشقفة ولاية جيجل ، ولد بها سنة 1867 م ، وتعلم القرآن فى زاوية بن حافظ ، ثم انتقل الى قسنطينة حيث أخذ عن الشيخين عبد القادر المجاوى وحمدان الونيسى ما أهله للتدريس فانتصب مدرسا بمسجد سيدى الكتانى كما كان يلقى دروسا للطلبة وللعوام بالزاوية العيساوية فانتفع بعلمه الكثير . رحمه الله ورضى عنه . =

المقصود من اغتيال ابن كحول، ومن اغتيال (الحبيباتنى) لو تم - القضاء النهائى على جمعية العلماء باتهام الشيخ العقبى بالاول والشيخ عبد الحميد بن باديس بالثانى ، والـزج بهما فى السجن ، وربما تم تصفيتهما جسديا باعدامهما ، وبذلك تنتهى حياة الجمعية ، والقضية الوطنية - فى نظرهم - على ابشـع صورة وافظعها . ولكن الله يدافع عن الذين آمنوا فنجا ابن باديس وانتحر من حاول اغتيال الشيخ أحمد بقسنطينة وسلمت الجمعية ، وأصيب العقبى بخـدش .

وهذا ما نذكر بعضه فى هذا الفصل منقولا عن مجلة الشهاب ، ج 8، م 14 شعبان 1357 هـ أكتوبر 1938 هـ .

قضية الاستاذ العقبى :

ومصـرع الامـام ابن دالـى عمـر كحـول

لم يتعين بعد تاريخ النظـر فى هذه القضية الهائلة التى أدمـت القلوب وحزت الانفس . ولا يزال المحامون يبذلون جهود الجبابرة لانتشال البرىء النزيه من بين مخالب التهمة الفظيعة التى نسجت خيوطها فى الظلمات أكف لا تخاف الله ولا تراقب الشرف ولا تخشى تقريع الضمير .

هذه المأساة الفظيعة لا تتعلق بالطيب العقبى وحده ، بل هى مأساة تتعلق بكل جماعة مصلحة مستنيرة من الاوساط الاسلامية بهذه الديار ، فما نكـب العقبى الا من أجـل فكرته التى هـى فكرتنا وما ضربوه اذ ضربوا الا وهـم يقصدون ان تنال الضربة ماديا وأدبيا كل فرد من جمعية العلماء . والشيخ العقبى - وان تخلى عن عضوية المجلس الادارى لما رفض الاجتماع العـام نظريته فى مسالة البرقية المشهورة - ما تزال قضيته قضية الجمعية كلها ، ونحن حين نعلن التضامن التام مع الطيب العقبى فى هذه القضية ، انمـا نتضامن مع الحق وننحاز حول الانصاف ، وندافع دفاع المستميت ضد كارثة لا يريدون ان ينزلوها على رأس فـرد بـل يريدون ان يصيبوا بها قـوما ،

= عن (النجاح : 15 محرم 1356 هـ - 28 مارس 1937 م) .

وكان تقيا زاهدا بعيدا عن الشبهات محبوبا من الناس كلهم . وخـرج فى جنازته ابن باديس وطلبته.(م. ع. بستانجي مصححه) .

وينكبوا بها فكرة ويحطموا بها النهضة العربية الاسلامية فى هذا الوطن ، وما هم ببالغين من مآربهم الخبيث شيئا · فما كان الله ليخذل البرىء المتكل عليه ، وما كانت العدالة النزيهة بناصرة البغي والعدوان ·

ولقد كنا نشرنا فى جريدة (البصائر) منذ بضعة أشهر مقالا تحت عنوان : (لا يعدم الحق انصارا) بنيناه على جمل اختصرتها جريدة (لاديبيش) عن جريدة (البوبيلار) الباريسية لسان الحزب الاشتراكى والتى يرأس تحريرها رئيس وزراء فرنسا السابق م· ليون بلوم ، فى اعدادها الصادرة فى 23 جويلية الماضى وما بعده · ثم لما حصلنا على تلك الاعداد عربنا المقال بتمامه ، وها نحن نقدمه لقراء الشهاب ، ليروا كيف ينصر الحق الاحرار ·

جريمة قضائية بالجزائر

تعريبا عن جريدة البوبيلار لسان الحزب الاشتراكى الفرنسى

جريمة قضائية تقترف اليوم بمدينة الجزائر ، وتوشك ان تغدو غلطة سياسية جديرة بالازدراء · رجل متهم ، ولا يقوم على اتهامه أى دليل مادى أو أدبى · يتهمونه بانه المحرض على ارتكاب جريمة القتل ·

اما القتل فقد كان ضحيته مفتى الجزائر ابن دالى عمر الملقب بكحول ، ووقع ذلك يوم 2 أوت 1936 م ·

واما المتهم فهو مسلم يعترف الجميع بان له أسمى الصفات الادبية · رجل ليس فى صفحة حياته أى خدش ، وهو مثال الطهارة الدينية والانسانية ، هو الشيخ العقبى زعيم العلماء المحترم ، **والعلماء هم المصلحون فى الوقت الحاضر فى الميدان الاسلامى الجزائرى ·**

والذى ألقى هذه التهمة انما هو القاتل نفسه ، هو شقى من أسفل طبقات السرقة والغوغاء : أدى به الى ذلك خوفه من مقصلة الاعدام ، وعلمه بان ما سيقوله سيصادف هوى فى نفس بعض أصحاب السلطة · فحاول ان يحط عن كاهله بعض الوزر الذى يعلم انه سيتحطم تحته · وهذا المتهم (بالكسر) الجدير بالعناية يدعى عكاشة ·

يا لها من قضية عدلية رهيبة :

انما هى أيضا قضية سياسية · ذلك اننا وراء مسرح هذه المأساة ، وفى تلك الظلمات التى يهيئون خلالها طريقة القضاء وينصبون آلة الاعدام : **نرى ايدى الادارة الجزائرية لا تكاد تخفى وجودها** ، وتلعب لعب المنتقم العديم الضمير ·

لا يجب ــ وذلك من شرف فرنسا ــ ان يذهب مسلم نبيل لم يصدر منه ضد فرنسا أى شىء ، ولم يرتكب ضدها أى خيانة لا يجب ان يذهب ضحية دسيسة سياسية لحمتها عمى البصيرة وسداها الفوضى ·

لا يجب ان تقف الطبقات الاسلامية السليمة : بالقطر الجزائرى ، موقف الثائر الموتور ضد القضاء الفرنسى ، وضد الادارة الفرنسية ، وضد فرنسا نفسها ·

لا تستطيع الجزائر اليوم ، وفى هذه الظروف على الاخص ، حيث السماء الامية متلبدة بالغيوم ، ان تفتح على نفسها قضية كقضية ادريفرس ·

وسنعود غدا الى الموضوع ·

اليكم تفاصيل ما حدث :

كان المفتى ابن دالى عمر يسير قاصدا المسجد حيث اعترضه أربعة من الرجال ، فتقدم احدهم نحوه وامسك رأسه ليقبله كما هى عادة الاحترام عند الاهالى · وعندما كان هذا يقبله قبلة يهوذا كان عكاشة قد تمكن من اغماد خنجره فى قلب المفتى ، واما الاثنان الآخران فكانا يقومان بمهمة الحراسة ·

وفى نفس ذلك اليوم تمكنت الشرطة من القاء القبض على الاربعة ، وأودعتهم السجن ، حيث لا يزال ثلاثة منهم هنالك الى يومنا هذا · اما الرابع فقد قضى نحبه ·

هنالك فى السجن (طبخوا) عكاشة بكل شدة فلم يكتف بالاعتراف فحسب بل زاد على اعترافاته ببيانات مدققة عن سبق الاصرار وعن تهيئة الموقع وطريقة النجاة ، وأخيرا ادعى بان بعض كبار المسلمين كانوا شركاء فى الجريمة·

فى الحين وقع القاء القبض على الشيخ العقبى الذى وجهت اليه شخصيا تهمة عكاشة ، والشيخ العقبى رجل اشتهر لدى الجميع بانه الرجل النقى المومن المقتنع بايمانه ·

هو رجل ولد بقطر الجزائر ، ونشأ وتعلم بالحجاز فى بلاد العرب ، وتشبع باسرار العلم والتعاليم الاسلامية ٠

وبما انه من رعايا فرنسا فقد رفض سنة 1914 م، الانخراط فى سلك الجندية التركية وكان جزاء ذلك ان ذاق الام الغريب أربعة أعوام ٠

ثم حل بأرض الجزائر سنة 1920 م فتزعم حركة الاصلاح الدينى ، وانه بمحاضراته ودروسه ومقالاته وبنفوذه الشخصى وبعلمه ونزاهته ، قد تمكن من جمع اتباع كثيرين من حول فكرته ٠ وخاصة بين الطبقات الاهلية المثقفة ٠

ثم أسس جريدة وانشأ ناديا هو نادى الترقى ٠

وقد كان الادارى الكبير الذى زان منصب ادارة الامور الاهلية ، واعنى به مسيو لوسيانى ، عرض على هذا الرجل منصب الافتاء بالجزائر ، لكن العقبى رفض هذا المنصب احتفاظا على استقلاله وحرية علمه ٠

الا انه كان يرتقى منبر المسجد فى الجزائر ويعظ الناس ، حيث انه من تعاليم الاسلام وتسامحه الذى يجهله الكثير ، هو الحق لكل مؤمن ان يجهر بكلمة الحق كما يراها ، فكان العقبى يغتنم فرصة الحياد الحكومى يومها ٠

وكانت خطب العقبى المقنعة تتجه بصفة خاصة ضد الطرقية التى يرى عواقبها سيئة ، ويراها متساهلة فى الدين ، عديمة الفكر ، داعية للخرافات والاوهام أو هى نوع من الاكليروس المحنط حيث يقوم الانتقام الشخصى مقام المصلحة الدينية ، وحيث تختفى آيات القرآن وحكمته العالية تحت نذالة النفعية والمطامع ٠

فالموظفون الرسميون المسلمون ـ ولا أقول رجال الدين لان الاسلام لا يعترف بطبقة تدعى رجال الدين ـ أقول ان متوظفى المساجد وعلى رأسهم المفتى وهم الذين يتقاضون أجرا مقابل أعمالهم ٠ كانوا يرون بغاية الكدر والقلق انتشار هذه الافكار ٠

لكن لم تكن هنالك ظغينة تفصل بين المفتى والمصلح ، وكانا يجتمعان عند أصدقاء الجميع ٠ وكذلك لم يكن ذكر لاى دعاية ضد فرنسا ٠

وكان المفتى الذى هو متوظف بالحكومة ـ ونحن نقول هذا دون أى مقصد خفـى ـ كان رجـل الادارة الجزائرية وكـان مستشارها الفنـى فى مسائل السياسة الاسلامية ·

انما العقبى الذى كان لا يتعرض لفرنسا ولرجالها الا بكلام لا يمكن أبـدا وبأي صفة كانت أن يؤخذ عليه ، لم يكن مـن جراء ذلك عدوا لأي أحـد فى الميدان السياسى ·

وفى سنة 1933 م اشتكى احد النواب الماليين وهو من أصل طرقى ضد استعمال المساجد بهذه الصفة فقرر عامل الجزائر تحجير المواعظ الحرة فى المسجد الذى كان العقبى يتكلم فيه ·

اما العقبى فقد اتجه نحو الحكومة يطلب منها رفع هذه المظلمة ·

ثم اتجه سنة 1936 م عـلى رأس وفـد اسلامى معتبر نحو باريس حيث اقتبله رئيس الوزراء ، ولما رجع الى وطنه ، وكان واثقا من وعود فرنسا فى التدخل بصفة متسامحة فى هذه القضية ، أخذ يحمل على خصومه بشدة فى صحيفته ·

وفى نفس هذا الوقت وقع مصرع المفتى ، وستة ايام بعد ذلك ، وعندما اعترف عكاشة تحت الهراوة البوليسية بوجود محرضين على القتل ، وقـع الزج بالعقبى فى غيابات السجن ، لكنه لم يلبث غير قليل ، حيث ان عكاشة عندما وقعت مجابهته بالعقبى ، نكص على عقبيه ، ونقض غزله وكذب ادعاءه السالف ودخل فى سلسلة متناقضات لم تبق لاقواله اى قيمة ، ثـم استمر البحث يجرى بطرق أخرى ، ولا يزال جاريا الى يومنا هـذا · رغم مرور 22 شهرا على وقوع الجريمة ·

رأت السلطة القضائية انه لا يوجد أى دليل مادى أو أدبى على ادانة العقبى فاصدرت أمرها بالغاء الدعوى ضده وبرأته ·

وهكذا رجعت للقضية صفتها الاصلية ، بعد ان كادت تاخذ صبغة قضيـة سياسية دينية ، ودخلت فى ميدان القضايا العدلية المعتادة ، وكسفت هالة التقديس التى كانت تحيط بعكاشة ومن معه ، وهم من ذوى السوابق الذين طالما حوكموا بتهمة القتل والسرقة ·

كان هذا الختام حسنا انما هو لم يرض كل الناس ٠

ففى الحين قام (الحق الشخصي) يعترض على براءة العقبى ٠ وهذه المرة كانت الادارة الجزائرية ، كما ستراه فى الفصل الآتى ، قد وقفت موقفا يكاد يكون مكشوفا ٠

فدائرة الاتهام نقضت حكم البراءة ، وأوقفت العقبى جنبا الى جنب مع عكاشة لترسل بهما معا أمام محكمة الجنايات ٠

فان لم يثر الضمير العمومى فى تلك المناسبة فسترى بمناسبة المحاكمة ما يجعل نفس تشكيل المحكمة مرعبا ، وترى الصراع العنيف بين الحق والباطل

لكننا قبل ذلك نريد ان نزيح القناع عن وجه الادارة الجزائرية التى هى مسؤولة عن هذه الفضيحة القضائية ٠

ان الادارة الجزائرية التى هى الآن بصدد تكوين انفجار من الغضب ، ان لم نقل **انها بصدد تكوين العصيان والثورة فى الاوساط الاسلامية** ، والتى يظهر عليها انها لا تنتبه لشىء ، **انما هى ادارة الامور الاهلية** التى تعمل الى جانب الوالى العام للقطر الجزائرى ٠

كان القائم بالحق الشخصى والمعترض على براءة العقبى ، هو السيد ابن دالى عمر ابن المفتى القتيل وهو متوظف بادارة الامور الاهلية ومتخصص فى اللغة العربية ٠

لكن معارفه الفرنسية لا تسمح لنا بان نظن انه هو مؤلف تلك المرافعة القانونية الشديدة التى اسماها (مذكرة) وقدمها الى دائرة الاتهام ٠

اما مدير الامور الاهلية ، مسيو ميو فهو رجل من أكثر الناس تعمقا فى العلم وهو مدرس الحقوق فى كلية الجزائر ٠

وادارة الامور الاهلية تتبع بكل دقة وعناية ، كما هو واجبها تفاصيل وذيول مقتل المفتى ، وتطور حركة العلماء المسلمين بالقطر الجزائرى ٠

فعندما كان العقبى بباريس عام 1936 م كان المفتى ابن دالى عمر **قد اتهم بانه الساعى فى ارسال برقية الى وزير الداخلية يحذره فيها من الانخداع لدسائس العلماء ٠**

لكن الرأي العام الجزائري اكتشف سريعا هذا السر الصبياني وعلم ان هذه البرقية ، انما صدرت عن ادارة الأمور الأهلية ·

وكانت علائق المفتي المذكور بالإدارة الجزائرية مشهورة معروفة ، وكانت أغلب الأوساط الاسلامية تسلقها بالسنة حداد فكان المفتي متهما - بحق أو بباطل - بأنه جاسوس الإدارة وعينها على المسلمين ·

وفي الحقيقة ان الحملة العنيفة ضد العلماء لم تكن صادرة عن المفتي الضيق الدائرة ، بل كانت صادرة عن إدارة الأمور الأهلية ·

يقولون ان هذه الادارة لا تستنيغ طعم الافكار الحرة التى لا تريد ان تتقيد فيها والتى يدعوها ضميرها ان تترفع عن السخافات السياسة المنحطة ·

وكانت الادارة الجزائرية منذ أمد بعيد مرتبطة ارتباطا وثيقا مع حثالة الطرقيين الذين كانوا يجتمعون حولها قصد التمعش وكانت شهيتهم تزداد حول هذه السياسة الغذائية ·

يقولون ان المرابطين هم رهبان المسلمين ، انما نقول انهم على كل حال من طبقة المتسولين، ! التأثير على المرابطين والتأثير على الامة بواسطة المرابطين، هذا هو شعار ادارة الجزائر في حكم المسلمين ·

وهذه الطريقة تشتم منها رائحة بوليسية منافية كل المنافاة للطريقة الفرنسية وللاساليب العصرية والجمهورية ، وهى منافية للاخلاق وعديمة الجدوى انما ادارة الامور الاهلية لا يهمها من ذلك اى شيء ، لانها تعبد الاستبداد عبادة وهى تحن حنينا ممزوجا بالاسف لعصر (البيروعرب) الذى كان يتيه به المستبدون عجبا ·

وادارة الامور الاهلية ترجع لذلك العهد كلما استطاعت الى ذلك سبيلا ·

أما الاهالى المثقفون فهم يعلمون ان حبل المودة الادارية قصير معهم ، ما لهم وللتدخل هؤلاء الذين يبدون الاعتبار الذين تثور فى انفسهم عواطف الهمة والافكار السليمة ؟ ليرجعوا حلا الى قيود (التمربيط) فلا عدو الا الحرية ولا ضرر الا من الافكار ، والواجب هو مقاومة هؤلاء الجسورين ، ولتستعمل فى سبيل مقاومتهم كل الاسلحة بما فيها من سلاح الزور والبهتان ·

لقد ارتكبت جناية ، ان العدو هـو الذى ـ سلح ذراع الجانى ، فلنجره أمام القضاء ولتدرك الحرية عظيم وزرها ، ولتعترف الافكار بحقيقة ضعفها ·

قديما كان سـلاح الجـور والاستبداد يدعى الباستيل ، اما اليـوم فان الباستيل أصبح أشد هولا مـن السابق ، ذلك لان الاحكام الكاذبة الخاطئة صارت تقود اليه ·

اعلموا ـ وانتبهوا جيـدا ـ ان المحكمة التى سيوقفون العقبـى أمامها ، ليست محكمة الجنايات الفرنسية (الكسورد اسيز) وما فيها من ممثـلى الشعب النزيهين ، بل انما هى دائرة الجنايات (الكوركريمنل) التى أسسها الاضطهاد العنصرى بالجزائر والذى هو جدير بالقرون الوسطى ، لتكـون خاصة بمحاكمة العرب هنالك يجلس تحت رئاسة حاكم أصولى ـ لا تكـاد رئاسته تكون مطمئنة لستة من المستشارين أربعة من المستعمرين واثنان من المسلمين ·

وانني أخاف ولا أحاول كتمان خوفى فهـو خوف هائـل مبنى على فكر وروية ، أخاف من تحيز الاربعة ممثلى المستعمرين الذين يسيرون حسبما يمليه عليهم بغضهم للعـرب ، وأخاف مـع ذلك وأكثر مـن ذلك تعصب العضوين المسلمين وانحيازهما ان كانا من الوحدات التابعة للادارة ·

حذار حذار أيها العقبى كن منتبها على يمينك وكن منتبها على يسارك ، فان الخطر جسيم ·

لكن حذار غدا من انفجار العاطفة الاسلامية ، حذار من التهاب العقـل والايمان **لماذا يا ترى تحاول الادارة الجزائرية ان تكبت الفكـرة الاصلاحية الاسلامية بالجزائر ؟**

ان هذه المسائل لا تخرج من الميدان الدينى الا عندما نتدخل نحن فيها ، فيفهم مـن ذلك جماعة المسلمين باننا أعـداء عقيدتهم وايمانهم هـذا العداء لا يجب ان يصدر منا ، وما كانت الادارة الجزائرية مؤتمرا دينيا ، وكما كانت مدينة الجزائر بيزنطة العتيقة ·

ثم ما هـو الدور الذى يلعبه الوالى العـام فى هـذه القضية ؟ أهو الذى يديرها ؟ أم هى ادارة الامور الاهلية ؟وهل عامل العمالة هو الذى من شأنه ان يتخذ المقررات الخطيرة وان يحتفظ بثقل المسؤولية ؟

يمكننا ان نقول بان طرائق الحكم قـد أصابها الارتباك عنـدما اجتازت البحر • ولنرجع الى العقبى انهم يريدون فى هذه الساعة ان يحطموا الاهالى الذين بقوا فى سلام ، **ويريدون ان يدنسوا حركة اصلاح دينى بما يقترفون ضد المصلح** من افك وبهتان.ان الاصلاح الدينى لا يهمنا نحن معشر الفرنسيين الديمقراطيين الفاصلين الدين عن الحياة العامة •

انما الذى يهمنا هو الحق والشرف ، فلا نترك المبدا الرهيب الذى يدوس الحق والشرف يصول فى الميدان ويجول •

واننا من أجـل هذا أردنا ان نفضح أمام الرأى العـام الوطنى ، لتصدر فرنسا حكمها قبل ان يصدر الحكم الخطر المحرق الذى يريدون ان يصدروه •

(انتهـى) •

ملاحظات على هذا الفصـل :

أ ـ اثناء صائفة 1938 م اشتدت الازمة بين المانيا وبين الحلفاء الغربيين بريطانيا وفرنسا بسبب قضية (السوديت) فى تشيكوسلوفاكية ، وعـزم هيتلر عـلى ضم بلادهم الى المانيا ، ولاحت فى الافـق نذر الحرب ، واخـذت الهيئات المختلفة فى الجـزائر والشخصيات أيضا ! تقـدم شـواهد الاخلاص والتأييد للحكومة الفرنسية ، والاستعداد لبذل دماء الشعب فى حرب عالمية •

وأثناء الاجتماع السنوى للجمعية فى سبتمبر 1938 م ـ بنادى الترقى ـ جاء الشيخ العقبى العضو الادارى بنص برقية من هذا النوع (تطبل بهـا الجمعية مع المطلبين وتزمر مع المزمرين) حسب تعبير ان باديس رحمه اللـه وأراد ان يوافـق عليها المجلس ويمضيها الرئيس ، فكانت مـوضع الرفض واستنكرها المجلس ، وعرف أين كتبت ومن الذى أشار بها ، واعلن ابن باديس أنـه لن يمضيها ولو قطعوه اربا اربا • ولكن الشيخ العقبى هـدد اخوانـه باستقالته من الجمعية ان لم تمض البرقية فلم يفد تهديده ، وانفض الاجتماع

الخاص ، وخرج الامر منه الى الاجتماع العام فاعلن فيه عزمه ذاك ، وأعلن ابن باديس عن السبب ، فكان الاجماع على تأييد موقف المجلس وابن باديس واستنكار تقديم أى تأييد لموقف استعمارى ، قد يجر الامة الى سفك دماء غزيرة من أبنائها فى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل ٠

كانت هذه البرقية موعزا بها ـ أو كتب على الاصح نصها ـ فى ادارة الشؤون الاهلية مثل البرقية التى امضاها كحول من قبل ٠

وهكذا كانت خيبة مرة لم ميو وادارته ، وكانت نصرا مبينا ٠ اما الخيبة ففى الصفعة التى تلقاها من الجزائر الوطنية الابية برفض البرقية ٠

واما الانتصار الذى حققه ففى فصل الشيخ العقبى عن جمعية العلماء نهائيا ٠ اذ استقال بعد انتخابه ببضعة ايام ٠

2) يهوذا هو احد تلاميذ المسيح عليه السلام ، وهو الذى خانه ، ودل اليهود على مكانه ليقتلوه ، فرفعه الله اليه ، والقى شبه المسيح على يهوذا ، فلما دخلت اليهود وجدوا امامهم يهوذا فاخذوه ليقتلوه بعد أن القى الله عليه الشبه فاستنكر ذلك منهم فلم يفده ولم ينجه فقتلوه وصلبوه معتقدين انه المسيح (**وما قتلوهُ وما صَلَبوه ولكن شُبِّه لهم**) ٠

3) محمد عكاشة احد أرباب السوابق ومحترفى الجريمة ، سلط عليه العذاب فاعترف ان الشيخ الطيب العقبى ـ بحضور محمد واعلى عباس التركى ـ رحمهما الله ـ هو الذى أمره بقتل المفتى ، واعطاه السلاح ، وعندما وقعت المواجهة أمام قاضى التحقيق خاطب الشيخ العقبى عكاشة وقال له ما فحواه (يا محمد انت اسمك محمد باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف تكذب هذه الكذبة وتتهم الابرياء ولا تخاف الله ؟) فاخذ الرجل يبكى متأثرا ، ورجع عن اعترافه الذى وقع تحت العذاب ، فافرج عن الشيخ الطيب وزميله فورا ـ بعد ستة ايام فى السجن ـ افراجا مؤقتا ، ثم أصدر قاضى البحث حكمه بالبراءة وعدم التتبع (نوليو) فاعترض عندئذ القائم بالحق الشخصى ٠ فاصدرت غرفة الاتهام حكمها بنقض البراءة ٠ وقد حوكم الشيخ عام 1939 وصدرت البراءة فى حقه وحق عباس التركى ، وادين عكاشة ولكنه لم يعدم ٠

4) حكاية رفض الشيخ العقبى للانخراط فى سلك الجندية العثمانية للسبب الذى ذكره نستبعدها ، واعتقاله اثناء الحرب قد يكون للاشتباه فيه بانه من فتيان النهضة العربية ، وقد نكل جمال باشا ـ جزار سوريا ـ بكثير من أبطال العرب ، وكان الشيخ العقبى من محررى جريدة (القبلة) لسان حال الملك حسين (ملك العرب) الذى لعب به الحلفاء وسخروه لعونهم على وعد ان يعلنوه ملكا على كامل بلاد العرب التى كان الاتراك بها . وقد بلغنى ان العقبى بقى بالاناضول معتقلا مدة عامين . ثم رجع عام 1920 فاعتقلته فرنسا مدة شهرين .

5) كان الشيخ العقبى زعيما من زعماء الاصلاح حقا . ولكن سبقه الى الميدان الاستاذ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، وكان يعمل فى هدوء وسكوت واناة وبرهان ذلك شهادة الاستاذ محمد الهادى السنوسى والاستاذ محمد سعيد الزاهرى وكلاهما تتلمذ عليه قبل هذا التاريخ . انظر كتاب : « شعراء الجزائر » .

أسس جريدة الاصلاح فى بسكرة عام 1927 م ، اما نادى الترقى ، فانه ليس هو الذى أسسه ، وانما استدعى بعد تأسيسه ليحاضر فيه .

6) لم يكن منع العلماء الاحرار من دروس المساجد نتيجة شكوى النائب المالى الا ظاهرا فقط . والحقيقة انه تدبير من الحكومة الفرنسية والحاكم العام باشارة من ادارة الشؤون الاهلية ، وسبب ذلك ما فى هذه الدروس من تاثير شديد على سلطة الاستعمار ، وما يخشى من ايقاظ الرأى العام وتهييجه ، كما تقدم فى الفصل السابق عن جريدة (البوبلير) .

7) حقا ان الاستاذ ميولرهيب ! فبينما هو يلين للعقبى ، ويستقبله اذا هو زاره باستدعاء منه أحسن استقبال ، اذا به يعمل جاهدا لتوريطه ، وسوقه بعنف نحو المقصلة كما يكشفه هذا الكاتب ، وحينما كتب المقال كان العقبى ما يزال عضوا بالجمعية ، فادانته ادانة لبقية أعضاء الجمعية كلهم ، ولهذا أبى ان (يعفيه) من التهمة وسلط عليه القائم بالحق الشخصى ، وهو متوظف بادارته لا حول له ولا قوة ، الا أنه ابن ضحية هذه الادارة ولا يبعد أنه اشترط عليه للبراءة ان يتبرأ العقبى من الجمعية .

8) كانت هذه الادارة معتادة مثل هذا اللعب ، وكلما توجه وفد لـ (طلب) قدر طفيف من الحقوق سبقه سيل من البرقيات المضاة من المفاتى والقضاة ورجال الدين والطرق وبعض النواب ، وكان الرأى العام قد اعتاد هذا وعرفه فلم يعد يعبأ به ·

والحقيقة هى ما جاء فى المقال (**ان الحملة ضد العلماء لم تكن صادرة عن المفتى ·· بل كانت صادرة من ادارة الامور الاهلية ..**

حقيقـة الشيخـين وسـرهما

ولم يكن الشيخ محمود كحول خاملا ولا جامدا ولا أبله فهو مثل الشيخ مولود ابن الموهوب مفتى قسنطينة الذى أعلـن الافكـار الاصلاحية فى الـوسط القسنطينى وحارب أنواعا من البدع (2) لكن داء الرجلين انهما كانا من أطوع الناس للادارة الاستعمارية فى تنفيذ أغراضها ، والتهالك على عتبتها ، وتقديم رضاها على رضى اللـه ، وعدم المبالاة باتجاه الشعب ، فكان أمرهما عجيبا ، ولعـل هذا ما أدركـه الشيخ حمدان الونيس فنفى نفسـه ـ بنفسه ـ مـن الجزائر ، ثم أخذ العهد على تلميذه ابن باديس الا يقرب الوظيف ولا يستعمل علمه للوصول اليه ·

---

(2) ولد سنة 1283 هـ (1866 م) ، وتوفى فى 1358 هـ (1939 م) ، وكان أديبـا لامعـا يكتب النثـر ويجيد الشعر ، ويؤيد الاصلاح حتى اذا اصطدم المصلحون بالاستعمار كان فى صف الاستعمار يرسل باسمه البرقيات أعنى يمضيها ·

فهـــــرس

الاهـداء 7
مقدمة الكتاب 9

القسم الاول

السنة والبدعة 19
البدعة والتغليظ فيها 27
بغض السلف للبدعة وأهلها 30
المتصوفة والبدعة 31
هل فى البدعة مستحسن ومستهجن ؟ 32
التآمر بالمعروف والتناهى عن المنكر من نصر السنة وقمع البدعة 37
فعل البدعة فى افتراق الكلمة 39
انكار على البدعة فى العصر الحديث 49
الطائفة الظاهرية 54

☆ ☆ ☆

الدعوة الاصلاحية وزعيمها ابن باديس 57
أول صدام عنيف بين الاصلاح والحلول 60
رسالة جواب سؤال عن سوء مقال 69
مضمون السؤال وتفصيل الجواب 71
المقدمة فى وجوب الادب مع النبى (ص) 72
الفصل الثانى فى بيان حرمة مخاطبة النبى (ص) بمثل هذا الخطاب 76
الفصل الثالث : ان العارفين ارسخ الناس قدما فى حب النبى (ص) 77
الفصل الرابع فى بطلان عذره 79
الخاتمة فى نصيحة نافعة ووصية جامعة 79

التقاريـظ :

تقريظ العلامة الشيخ محمد النخلى القيروانى (تونس) 80
تقريظ العلامة الشيخ بلحسن النجار المفتى المالكى (تونس) 81
تقريظ العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام (تونس) 81
تقريظ العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر قاضى الجماعة (تونس) 81
تقريظ العلامة الشيخ معاوية التميمى 82
تقريظ العلامة الشيخ شعيب بن على شيخ علماء تلمسان 83
تقريظ العلامة الشيخ مولود بن الموهوب مفتى قسنطينة 84
تقريظ العلامة الشيخ العابد بن أحمد بن سودة من علماء المغرب 86

تقريظ العلامة الشيخ مولاى محمد بن العربى 86
تقريظ العلامة الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر (المغرب) 87

☆ ☆ ☆

رد الفعـــل 89
السطو بالشيخ عبد الحميد بن باديس 93
فاجعة الفتك بالاستاذ 94
شجاعة وقوة بدنية وروحية 95
عزيمة وتصميم 96
الاخطار التى تهدد خادم الامة 96
شكر عام للاحساس العام 97
شاهد عيان يروى الحادث كما وقع 98
الاستاذ محمد الصالح بن عتيق شاهد العيان 101
الصحافة العربية وحادث الاعتداء 104
حول حادثة الفتك 106
البلاغ الجزائرى وحادثة الاعتداء 106
صحيفة الشورى والاعتداء 109
مجلة الفتح والاعتداء 110

☆ ☆ ☆

اعتداء جديد على مدير الشهاب 112
من هو أحمد بوشمال ؟ 114
عجز عن القول فاضطر الى الضرب 116
أثر الحادثة وسببه 118
الى الامـــام 120
حركاتنا ذاتية 122
ما مع مثلك يتكلم يا جودى ! 124
تكرر الاعتداء على اصحاب الشهاب 128
اصحاب جريدة « النجاح » 130
الصحافة الفرنسية :
محاولة قتل صحافى أهلى 139
دعاة الباطل والضلال 143
على نمط راسبوتين 144
فى مجلس الجنايات : خمس سنوات فى السجن المضيق 147

اهى جناية عادية ومسألة فردية	149
مسكين ذلك الشقى العليوى مسكين	150
آخر محاولة للسطو بالشيخ ابن باديس	152
ملحق أخير	155

القسم الثانى

هذا القسم	159
الفرسان الثلاثة وتسابقهم فى الميدان	159
فساد فى اللفظ والمعنى	160
نشأة الطريقة العليوية (الشيخ أحمد عليوة من هو ؟ وما هو ؟)	161
شيخه فى السلوك	164
تجديد الشيخ فى الطريقة	165
الخلـــوة	166
كتاب الشهائد والفتاوى	166
أسلوب جديد فى المقاومة	168
عبادة الله بالرقص	169
رقص وغناء يرفع الى حضرة القدس	170
افتراء على الصحابة	170
وضع حديث عن أبى بكر (رضى الله عنه)	171
النسبة الصحيحة لذكر الصدر	172
ولله الاسماء الحسنى	173
الرقص عند الذكر فعل اليهود	174

☆ ☆ ☆

القول بالحلول ووحدة الوجود	175
انكار الفقهاء واهل الفتيا	176
الشطحات متى يؤاخذ عليها ومتى لا ؟	177
ابن باديس يهاجم (شطحة) خطيرة	178
(الشهاب) يهاجم الرقصات والشطحات	178
القوم فى الحضرة	179
هل للشيخ بن عليوة شطحات ؟	182
رواية لسان الدين	184
رواية ثالثة للشيخ الوارزقى	184

☆ ☆ ☆

أقوال فضيعة فى جانب الله : اصرار عجيب 187
ايقاظ وان ناموا 189

☆ ☆ ☆

استدراج الشيطان وتحديه للرحمن 191
لا سلطان لابليس على الصالحين 193

☆ ☆ ☆

الفرسان الثلاثة وسلسلتهم 195
اسناد الطريقة 196

☆ ☆ ☆

تسابق هؤلاء الفرسان فى ميدان الجهر بالسوء من القول 201
من أقوال الشيخ بن عليوة 201
فساد فى اللفظ والمعنى 203
اخذ علم الباطنى وكتمان الرسول ؟! 204
نوم يغنى عن ذكر الله 205
اثبات الجهة للــه 206
الواصلون وعلامة وصلهم 206
الله كل شيء فى الوجود 207
تأكيد القول بوحدة الوجود 209
عن شيخه ورث الحلول : ارتقى للالوهية 209
ليلى وعاشقها 210
هو ذات الرحمان 212
فريد فى الزمان والكل دونه ! 213
تالله لست سواه 214
مع ليلى اشف الغليلا ! 215
جنة رضوان فى مستغانم 215
فتشت عليك يا الله ! 216
هو عينك لست سواه 217
حاكي الكفر ليس بكافر 217
اهو اعراض وصدود ؟ 219
خيال سقيم 222

☆ ☆ ☆

الفارس الثاني : محمد بن الحبيب 224
التلميذ نسخة من أستاذه 225

الكون فى قبضته	226
رؤية الله جهرا !	228
قول بنى اسرائيل ومآلهم	228
ضريحه البيت المعمور	228
رفع الحجب ومشاهدة الله	229
الخمار الاعظم	230
كل قطب وكل ولى خاضع له	230
الفلك الدوار فى قبضته	231

☆ ☆ ☆

الفارس الثالث عدة بن يونس	233
من رآه رأى الله ـ تعالى الله	234
انت مخلق ولست مخلق	235
هل يعلم رسول الله ما فى الضمائر ؟	236
الموتى يتكلمون	237
من رآنى رآه فى حلتى	238
مولى سطوة	238
عبد الله ام عبد مخلوق ؟	239
خاتمة هذا القسم	240

☆ ☆ ☆

النثر لا يقل نكرا وشناعة عن الشعر	242
الشيخ من العلماء	243
المنح القدوسيه ، فى شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية	243
لابن عاشر ظاهر وباطن	244
التنويه بعلم الباطن	244
العلم والولاية والتزهيد في العلوم	245
امثلة من المعانى الباطنية	247
ألوهية البشر	248
انت صم لا تسمع	250
هل العالم قديم ؟	251
انكار المحسوسات	251
قوله فى الطهارة والصلاة	252
ما هى فرائض الوضوء السبع ؟	253

الجمعة معناها وعلى من تجب ومن يحضرها ؟ 254
الذهب والفضة : الحقيقة والشريعة 255
الدخول على الله ! 256
صوم المسلمين وصوم (القوم) 256
الحج عند المسلمين وعند (القوم) 258
العمرة عند المسلمين وعند (القوم) 259

☆ ☆ ☆

توبة الانبياء والمخطئين وتوبة (القوم) 260
خاتمة : كلام أهوج ... وشيطان فى صورة انسان 263

القسم الثالث

العليوية ـ اخت القاديانية 271
اتصال بالفرق المبتدعة 272
العليوية بالجزائر (1) 273
العليوية بالجزائر (2) 276
مجلة المنار تفضح القديانية وزعيمها 277
اصل ارتدادهم عن الاسلام 278
بقايا الباطنية 281
سورى مغرور يدعى النبوة 282
تكذيب أوروبا للدينين الجديدين 283

☆ ☆ ☆

الاتصال برجال الكنيسة 285
المجلة الاهلية تفضح الاتصال 285
الشيخ أحمد بن عليوة ـ المرابط العصرى وصديق فرنسا ـ 286
اعجابه بالمسيح وبالانجيل 287
استحقاقه للمكافاة 288
اطراء بمعلومات فاسدة 290
أصحيح هذا ام باطل ام مبالغ فيه ؟ 292
سكوت مريب 297
براعة ابن باديس فى رد الكيد 298
حقيقة شعوره نحو « مستخدم » الحكومة 299

☆ ☆ ☆

الاتصال بالادارة الفرنسية والتعاون معها 301
هذا التعاون قديم من عهد روش 301
نفور الشعب من العملاء 033
سعيهم لمنع الشهاب من دخول المغرب 305
نجاحهم فى منع دخول الشهاب للمغرب 306
هذا ما كنا نتوقع 307
مقال لصحافى فرنسى حر 309
صحف محجورة ـ تعريف بالشهاب 309
مبدأ الشهاب الدينى والدنيوى 312

☆ ☆ ☆

الشهاب كان موضوعيا 312
تطور الشهاب بتطور الشعب 312

☆ ☆ ☆

اتصال العليويين خاصة بالادارة 316
دعوة صاحب الشهاب القادة للمفاهمة بالحسنى 317
تأسيس جمعية العلماء 317
تدخل فرنسى ناجح ثم الفشل 319
تأسيس جمعية علماء السنة 320

☆ ☆ ☆

سياسة الضغط والارهاب 321
نهاية جمعية علماء السنة العملية 322
الخاتمة : فى بوقاعة ، تبجس البغل 323

☆ ☆ ☆

بيجو يحاول خلود حكم فرنسا 325
ما يقولون عنا 326
ملاحظات على المقال 329

☆ ☆ ☆

محاولة تحطيم النهضة العربية الاسلامية بالجزائر 331
قضية الاستاذ العقبى ، ومصرع الامام بن دالى عمر كحول 332
جريمة قضائية بالجزائر 333
ملاحظات على هذا الفصل 340